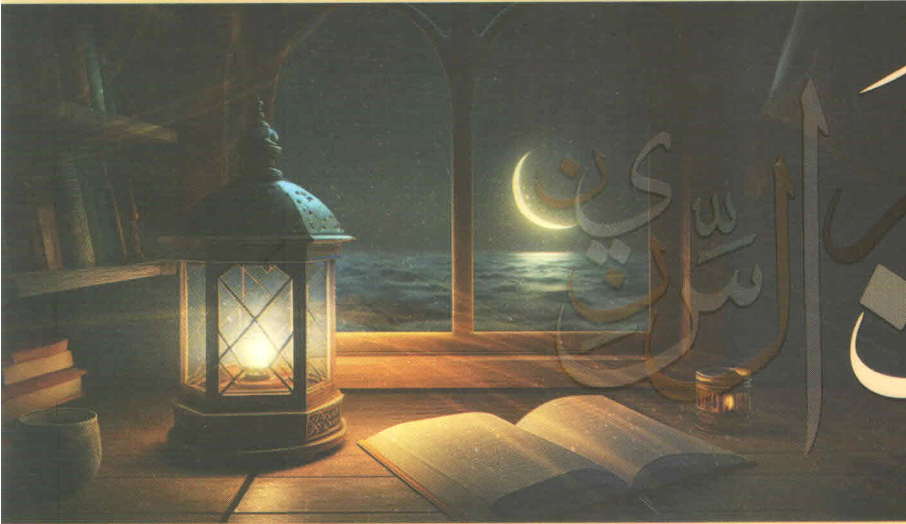


خِتَابُ السَّنِينِ

كَلِمَاتٌ قَصِيْرَةٌ

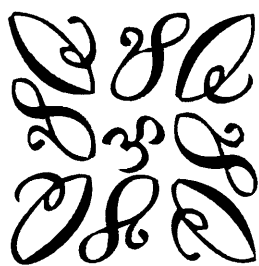
لِلشَّيْخِ فَهْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَاضِي
رَحِمَهُ اللهُ



عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ فَهْدٍ الْقَاضِي



الطبعة الأولى



خَيْرُ السَّنِينَ
كَلِمَاتٌ قَصِيْرَةٌ

ح عبد الرحمن فهد القاضي، ١٤٤٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاضي، عبد الرحمن فهد

ختم السنين / عبد الرحمن فهد القاضي - ط١ - الرياض ١٤٤٥هـ

ص ٠٠ : ٠٠ × ٠٠ سم

ردمك: ٦-٨٣٧١-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١٤٤٥/٧٨٣١

رقم الإيداع

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٧٨٣١

ردمك: ٦-٨٣٧١-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



دار الحضارة للنشر والتوزيع

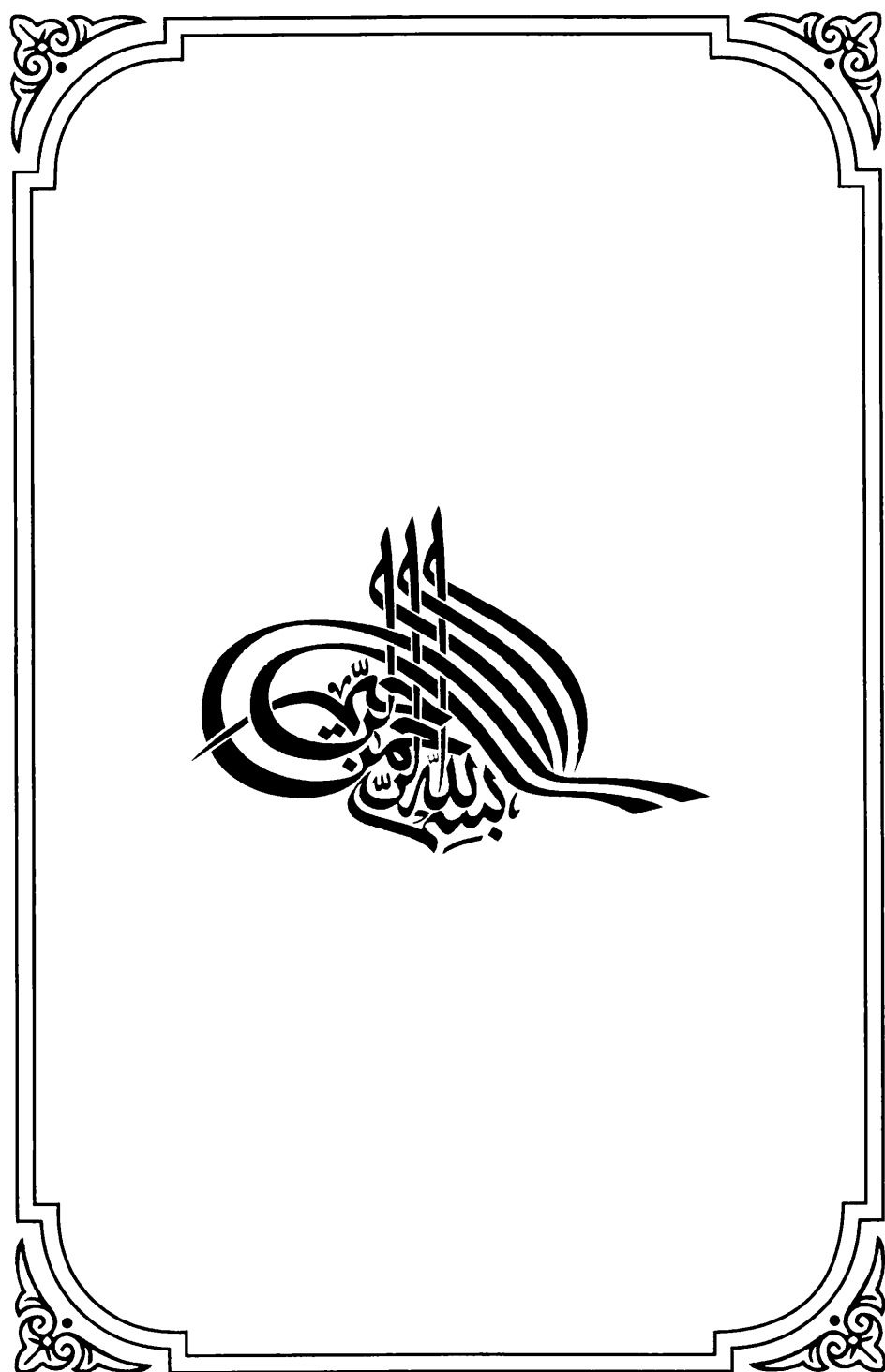
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

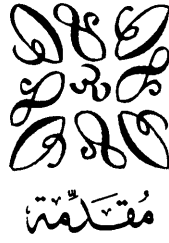
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ - ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩

فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

البريد الإلكتروني: daralhadarah@hotmail.com





الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه المبين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، صلى الله وسلم على نبينا المبعوث بالبشارة والندارة، القائل بأفصح عبارة: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته»^(١)، صلى الله عليه وعلى آله وإخوانه وذريته.

أما بعد:

فهذه كلمات لفضيلة الشيخ فهد بن سليمان القاضي رحمه الله، متعددة المواضيع، متنوعة الأسلوب، باعثها النصح والتوجيه لأولاده وذويه وعموم المسلمين، تناسب الصغير، وتفيد الكبير، بأسلوب سهل بعيد عن التكلف.

وأصل هذه الكلمات: مقاطع صوتية للشيخ رحمه الله، تجاوزت المئتين، سجّلها الشيخ في السنوات الأخيرة من حياته، ثم فرّغت وحوّلت إلى كتابٍ مقروء.

وعندما فرّغ جزء من هذه الكلمات (٥٢ كلمة تقريباً) عرض التفرغ على الشيخ رحمه الله فاستحسنه، وعلّق على مواضع، وطلب مواصلة العمل، ووعد بأنه سيراجع جميع العمل؛ لكن لم يتيسر له ذلك، رحمه الله.

وتلك الكلمات منشورة بصوت الشيخ رحمه الله، ومتاحة لمن أراد الوصول إليها.

ويحسنُ التنبيه إلى أمور:

- أن تحويل الكلام من مسموع إلى مقروء يستدعي نوعاً من التغيير؛ حذفاً وإضافة، وإعادة صياغة لبعض المواضع.

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

- في تخريج الأحاديث تُتَّبَعُ الطريقةُ التاليةُ: إِنْ كَانَ الْحَدِيثُ ضِمْنَ نَقْلِ فَإِنَّهُ لَا يُخْرَجُ؛ اكْتِفَاءً بِالْإِحَالَةِ إِلَى الْمَصْدَرِ الْمَنْقُولِ مِنْهُ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَإِنْ الْعَزْوُ يَكُونُ إِلَى مَصَادِرِ السُّنَّةِ الْأَصْلِيَّةِ بِإِخْتِصَارٍ.

- فِي تَوْثِيقِ النُّقُولِ تُتَّبَعُ الطَّرِيقَةُ التَّالِيَةُ: مَا نُقِلَ بِالنَّصِّ فَإِنَّهُ يُجْعَلُ بَيْنَ عَلَامَتَيْ تَنْصِيسٍ، هَكَذَا: «...»، وَمَا نُقِلَ بِالْمَعْنَى فَإِنَّهُ يَكُونُ خَالِيًا مِنْ ذَلِكَ، وَيَكْتُبُ فِي الْهَامِشِ: يُنْظَرُ: ...

- تَوْجَدُ كَلِمَاتُ لِلشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ مُتَشَابِهَةٌ الْمَحْتَوَى، وَالْعَمَلُ تَجَاهُهَا: اعْتِمَادُ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، وَضُمُّ مَا زَادَ مِمَّا سِوَاهَا إِلَيْهَا.

- الْأَصْلُ أَنْ مَا فِي الْهُوَامِشِ - مِنْ تَخْرِيجٍ لِلْأَحَادِيثِ أَوْ إِحَالَةٍ إِلَى مَرْجِعٍ أَوْ تَعْلِيقٍ - لَيْسَ مِنْ وَضْعِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمَا كَانَ لِلشَّيْخِ فَإِنَّهُ يُنْبَهُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ بِكِتَابَةِ: «الْمُؤَلَّفِ»، بَعْدَ ذَلِكَ التَّعْلِيقِ.

- هَذَا الْعِنَاوَانُ «خَتَامُ السَّنِينَ» لَيْسَ مِنْ وَضْعِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

- طَرَقَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ مَوَاضِيعَ شَتَّى تَتَنَاسَبُ مَعَ وَقْتِ إِقَاءِ الْكَلِمَةِ، فَاجْتَهَدْنَا فِي تَرْتِيبِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ حَسَبَ مَوْضُوعَاتِهَا، وَجَعَلْنَاهَا تَحْتَ أَحَدٍ عَشَرَ قِسْمًا، كَمَا يَلِي:

١ - وَقَفَاتٌ مَعَ الْآيَاتِ.

٢ - رَقَائِقُ.

٣ - مَوَاسِمُ الطَّاعَاتِ.

٤ - الصَّلَاةُ.

٥ - الصَّدَقَةُ.

٦ - أَذْكَارٌ وَأَدْعِيَةٌ.

٧ - الزُّهْدُ وَالْوَرَعُ.

٨ - فَوَائِدُ تَرْبِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ.



٩ - مسائل وفوائد.

١٠ - أسئلة وأجوبة.

١١ - قصص وعبر.

هذا، ونرجو أن يكون الكتاب عوناً على عمارة المجالس بذكر الله تعالى، وذلك بالقراءة منه في المجالس العائلية، واللقاءات الأخوية، والقراءة منه على المصلين بعد الصلوات، ونحو ذلك، فهذا هو المقصد الأول للمؤلف رحمه الله.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات الشيخ فهد القاضي، وأن يرحمه رحمة واسعة. آمين.

ولا ننسى من الشكر والدعاء من كان له توجيه أو إسهام في إخراج هذا العمل، والحمد لله رب العالمين^(١).



(١) نسعد بتواصلكم معنا عبر هذا البريد: (Fahd.s.Alqadi@gmail.com)، أو عبر

الجوال: (+٩٦٦٥٤٢٨٨٢٨١٦).



القسم الأول

وقفات مع الآيات

قصة أنبياء الله داود وسليمان عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (١)

هذا استعراض لبعض الآيات الواردة في قصة نبي الله داود وابنه نبي الله سليمان، عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، وسوف يورد مُجَزَّأً.

قول الله ﷻ في سورة سبأ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجَالُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَنَّا لَهُ الْخَادِعُونَ﴾ [سبأ: ١٠].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «ومن نعمه عليه: ما خصه به من أمره تعالى الجمادات كالجبال والحيوانات من الطيور أن تُؤَوِّبَ معه وتُرَجَّعَ التسبيح بحمد ربها مُجَاوِبَةً له، وفي هذا من النعمة عليه: أن كان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك يكون مُنْهَضًا له ولغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات تتجاوب بتسبيح ربها وتمجيده وتكبيره وتحميدِهِ: كان ذلك مما يُهَيِّجُ على ذكر الله تعالى.

ومنها: أن ذلك - كما قال كثير من العلماء - أنه طَرَبًا لصوت داود، فإنَّ الله تعالى قد أعطاه من حسن الصوت ما فاق به غيره، وكان إذا رَجَّعَ التسبيح والتهلِيلَ والتمجيدَ بذلك الصوت الرَّخِيمَ الشَّجِيَّ المطرَّب: طَرَبَ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجَنِّ حَتَّى الطَّيْرِ وَالْجِبَالِ، وسبحت بحمد ربها»^(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٧٩٤ - ٧٩٥).

قول الله ﷻ في سورة ص: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧ - ١٨). [ص: ١٧ - ١٨].

«الأيدي»: القوة، والعرب يقولون: آذ الرجل يئيد، إذا قوي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]؛ أي: بقوة^(١).

أما «أيدي»: فهي جمع يد، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّمَاءٍ أَيْدِينَ أَنْعَمَّا فَهُم لَهَا مَلِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: قال الشوكاني: «الأواب: الرجاء عن كل ما يكرهه الله - سبحانه - إلى ما يحبّه»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ﴾، قال الشيخ محمد العثيمين: «سَخَّرَ الله الجبال، أي: ذللها حتى تسبح بتسبيح داود»^(٣).

يعني أن هذا غير التسبيح العام المذكور في قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُنَا بِالْعِشِيِّ﴾، العشي: آخر النهار، ويبدأ من زوال الشمس، ولهذا جاء في الحديث: «صلى النبي ﷺ إحدى صلاتي العشي...»^(٤)؛ يعني: الظهر أو العصر^(٥).

قال في «القاموس المحيط»^(٦): «صلاتا العشي: الظهر والعصر، والعشاءان: المغرب والعتمة».

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٧/٧).

(٢) فتح القدير (٤٢٤/٤ - ٤٢٥).

(٣) تفسير سورة ص (٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٢، ١٢٢٧)، ومسلم (٥٧٣).

(٥) ينظر: تفسير سورة ص (٩٣).

(٦) ص (٣١٢).

ولهذا قال الشيخُ ابنُ بازٍ رَحِمَهُ اللهُ في وقتِ قراءةِ أذكارِ المساءِ: إنه يبدأ من زوالِ الشمسِ^(١).

وقوله: ﴿وَالْإِشْرَاقُ﴾: قال الشيخُ محمدُ العثيمينُ: «الإشراقُ: ارتفاعُ الشمسِ حتى يصحو ضوؤها، وتكونَ بيضاء»^(٢).

أما الشروقُ فهو بزوغُ الشمسِ وطلوعُها^(٣).

قوله تعالى: ﴿كُلُّ لَهْ أَوْبٍ﴾ [ص: ١٩]: قال في «تفسيرِ الجلالين»^(٤): «رَجَّاعٌ إلى طاعته بالتسيح».



قصةُ أنبياءِ الله داودَ وسليمانَ عليهما وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاةِ والسلامِ (٢)

قال الله تبارك وتعالى في قصةِ نبيِّ الله داودَ - عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاةِ والسلامِ - في سورةِ ص: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَارُوا بِالْمِحْرَابِ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ يَمْنَعُ وَنَسْعُونَ نَجْعَةً وَلِيَ نَجْعَةٌ وَجِدَّةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢١ - ٢٤].

قال الشيخُ محمدُ العثيمينُ رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيرِ سورةِ آلِ عمران»^(٥): المحرابُ: مكانُ العبادة، وليس هو طاقُ القبلة كما هو عند الناس، بل هو

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (٧٢/٢٦).

(٢) تفسير سورة ص (٩٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق.

(٤) ص (٦٠٠).

(٥) ينظر: (٢٢٣/١).

مكانُ العبادة، سواءً كان طاقاً، أو مربعاً، أو حجرةً، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾.

وقال الشوكاني رحمه الله: «المحرابُ: الغرفة؛ لأنهم تَسَوَّرُوا عليه وهو فيها، كذا قال يحيى بن سَلام»^(١).

وقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾، قال في «تفسير الجلالين»^(٢): «الخلطاءُ الشركاء».

قوله: ﴿لَبِغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، قال الشيخ محمد العثيمين: «فالمؤمنُ العاملُ للصالِحَاتِ لا يَحْدُثُ منه البغي؛ لما معه من الإيمان والعملِ الصالح، ومن فاته شيءٌ من هذا الوصفِ حصلَ منه من البغي بمقدارٍ ما فاته من الوصفِ، فمن نقصَ إيمانه حصلَ منه البغي، ومن قَلَّتْ أعماله الصالحة حصلَ منه البغي»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾، قال الشيخ محمد العثيمين: فَسَّرَ المؤلفُ رحمه الله - أي في «تفسير الجلالين» - الركوعَ بالسجود، فقال: أي ساجداً، وذلك لأن الركوعَ الذي هو الانحناء لا يُمكنُ أن يكونَ فيه خروجٌ، فالتعبيرُ بالركوعِ عن السجودِ من بابِ التعبيرِ بالمعنى العامِّ عن المعنى الخاصِّ، فالذي عَيَّنَ أن يكونَ الركوعُ هنا بمعنى السجودِ قوله: ﴿وَحَرَّ﴾، ولكنَّه عَبَّرَ بالركوعِ عن السجودِ لإظهارِ أن هذا الركوعُ ركوعُ ذُلٍّ لله ﷻ^(٤).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «هذا الذنبُ الذي صدرَ من داودَ عليه السلام لم يذكُرْهُ الله لعدمِ الحاجةِ إلى ذكْرِهِ، فالتعرضُ له من بابِ التَّكْلُفِ،

(١) فتح القدير (٤/٤٢٥).

(٢) ص (٦٠١).

(٣) تفسير سورة ص (١١١).

(٤) ينظر: المرجع السابق (١١٧ - ١١٨).

وإنما الفائدةُ ما قَصَّه اللهُ علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محلُّه، فكان بعد التوبة أحسنَ منه قبلها»^(١).

وفي بعضِ الكتبِ قصةٌ: أنَّ داودَ عليه السلام - وحاشاه عما نُسِبَ إليه - كان لأحدِ رعيته زوجةً جميلةً، فأراد داودُ عليه السلام أنْ يُظْفَرَ بها، فزَجَّ به في حربٍ، أو عَرَضَهُ لهلاكٍ؛ حتى يُقتَلَ ويُظْفَرَ بها، وحاشاه عليه السلام.

ومثلُ هذه الافتراءاتِ على أنبياءِ الله لا تُستكثرُ ولا تُستغربُ من اليهودِ، فإنهم ما اكتفوا بالافتراءِ على أنبيائهم؛ بل وصلَ الحدُّ بهم إلى القتلِ، ﴿فَقَرِيفًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيفًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، بل - نسألُ الله العافية - بَلَغَتْ جُرْأتُهُم على الله تعالى في مثلِ قولهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ فَعِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، فمثلُ هذه لا تُستغربُ ولا تُستكثرُ من افتراءاتِ اليهودِ.



قصةُ أنبياءِ الله داودَ وسليمانَ عليهما وعلى نبينا أفضلُ الصلاة والسلام (٢)

قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (٢٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٢٥) فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٤ - ٣٦].

هذه الآياتُ تُظهِرُكَ على جانبٍ من يقينِ الأنبياءِ وفقهِهم في أسماءِ الله وصفاته ومعرفتهم فضلَ الله الواسعِ.

فهذا نبيُّ الله عليه السلام لما تابَ وأنابَ إلى ربِّه لم تقتصرْ همتهُ ورغبتهُ وثقتهُ برَبِّه على مجردِ المغفرةِ، وإنما قرَنَ بهذه الدعوةِ الطلبَ الآخرَ.

وهذا بخلافِ ما عليه كثيرٌ من الصالحينَ إذا تابوا إلى ربِّهم وأنابوا كان لسانُ حالِ كثيرٍ منهم: عسى ربي أن يغفرَ لي، وبركةُ إنْ حَصَلْتُ هذا المطلبَ.

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٨٣٩).

ولا شك أن مغفرة الذنوب من أعظم البركات؛ لكن انظر إلى نبي الله ﷺ كيف أحسن الظنَّ برَّبِّه، والله تعالى يقول في الحديث القدسي: «أنا عند ظنِّ عبدي بي»^(١).

فلم يقتصر على طلب المغفرة؛ بل قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ [ص: ٣٥]، ما شأن هذا الملك؟ ﴿لَا يَبْنِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ فما كان نتيجة ذلك؟ ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٦) وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٦ - ٣٨].

قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله في شأنِ الرِّيح: «﴿رُخَاءً﴾ أي: ليناً في سيرها وهبوبها، ليناً في طاعتها لا تستعصي»^(٢)، وقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَسَلِمْنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١]؛ أي: سريعة، لأنَّ غُدُوها شهرٌ، ورواحها شهرٌ، فهي ليناً في سيرها وهبوبها، وسريعة في سيرها، غُدُوها شهرٌ، ورواحها شهرٌ، تمشي في الصباح ولا يأتي زوالُ الشمسِ إلا وقد قطعت مسافة شهرٍ، وبعد الزوال تمشي ولا يأتي الغروب إلا وقد قطعت مسافة شهرٍ^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٣٨).

﴿كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾: يبني الأبنية العجيبة.

﴿وَعَوَاصٍ﴾: في البحر يستخرج اللؤلؤ.

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٣٨) أي: مشدودين في الأصفاد، وهي القيود، بجمع أيديهم إلى أعناقهم، سخر الله له الشياطين؛ أي: دَلَّلَهُمْ له، يطيعونه وينفذون أوامره، وقد صنفهم حسب قدراتهم واختصاصاتهم، منهم من يبني

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) تفسير سورة ص (١٧٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص (١٧٤).

له البناء الشامخ العجيب، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَفُؤُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [سبأ: ١٣]، والقسم الآخر: غواص، يغوصون في البحار، يأتون له بأنواع اللؤلؤ والمرجان والدرر وغيرها، يأتون بكل ما يريد.

وفيهم قوم مردة من الشياطين يؤذون الناس، وربما يتمردون عليه ويعصونه، هؤلاء يُقرنهم في الأصفاذ، ويشد أيديهم إلى أعناقهم، ويحبسهم في الأصفاذ^(١).

وقوله تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩] قال في «الجلالين»^(٢): «وقلنا له ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾ أعط منه من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن الإعطاء ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لا حساب عليك في ذلك».

هذه منقبة، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الفصص: ٦٨].

قوله: ﴿فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَتَابٍ﴾ [ص: ٢٥] قال في «الجلالين»^(٣): ﴿لَزُلْفَى﴾: «زيادة خير في الدنيا، ﴿وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ مرجع في الآخرة».

وقال الشوكاني: «الزُلْفَى: القربة والكرامة بعد المغفرة لذنبه»^(٤)، ﴿وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ «حسن المرجع، وهو الجنة»^(٥).

قال الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَتَابٍ﴾: دَفَعَ تَوَهُمَ أَنَّ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا يَنْقُصُ ثَوَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٦).



(١) ينظر: المرجع السابق، ص (١٧٤ - ١٧٥).

(٢) ص (٦٠٢).

(٣) ص (٦٠١).

(٤) فتح القدير (٤/٤٢٧).

(٥) المرجع السابق.

(٦) ينظر: تفسير سورة ص (١٨٤).

قصة أنبياء الله داود وسليمان عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (٤)

قال الله ﷻ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧]، وفي الحديث الذي خَرَّجَهُ البخاريُّ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن داودَ كان يصومُ يومًا، ويفطرُ يومًا، ولا يَفِرُّ إذا لاقى»^(١).

يعني: مع مداومته عليه السلام على صيام يوم وإفطار يوم فإنَّ هذا لم يُضعِفْ بدنه؛ بل كان قويَّ البدن، قويَّ القلب أيضًا، فكان إذا لاقى العدوَّ لا يَفِرُّ.

ذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمته الله في فوائد هذه الآية: «أنَّ الله تعالى يمدحُ ويحبُّ القوةَ في طاعته، قُوَّةَ القلبِ والبدنِ، فإنه يحصلُ منها من آثارِ الطاعة وحسنها وكثرتها ما لا يحصلُ مع الوهنِ وعدمِ القوة، وأنَّ العبدَ ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدمُ الركونِ إلى الكسلِ والبطالةِ المُخِلَّةِ بالقُوَى المضعفةِ للنفس»^(٢).

وفي قولِ الله ﷻ: ﴿إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١]، ذكر الشيخ عبد الرحمن السعديُّ في فوائدها: أنَّ داودَ عليه السلام كان في أغلبِ أحواله مُلازمًا محرابه لعبادةِ ربِّه، ولهذا سَوَّرَ الخصمانِ عليه المحرابَ، لأنَّه كان إذا خلا في محرابه لا يأتيه أحدٌ، فلم يجعلْ كلَّ وقتِه للناسِ، مع كثرةِ ما يَرُدُّ عليه من الأحكامِ، بل جعلَ له وقتًا يَخْلُو فيه برَبِّه، وتَقَرَّرَ عينُه بعبادته، وتُعِينُهُ على الإخلاصِ في جميعِ أموره^(٣).

وفي قولِ الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٤]؛ الْخُلَطَاءِ: «الشركاء»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٧)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص (٨٤١).

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص (٨٤١).

(٤) تفسير الجلالين، ص (٦٠١).

ذَكَرَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّ الْمَخَالَطَةَ بَيْنَ الْأَقَارِبِ وَالْأَصْحَابِ وَكَثْرَةَ التَّعْلِقَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْمَالِيَّةِ مُوجِبَةٌ لِلتَّعَادِي بَيْنَهُمْ، وَبَغْيٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا اسْتِعْمَالُ تَقْوَى اللَّهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْأُمُورِ، بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنَّ هَذَا مِنْ أَقَلِّ شَيْءٍ فِي النَّاسِ»^(١)، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعَثِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [ص: ٢٤]: «فَالْمُؤْمِنُ الْعَامِلُ لِلصَّالِحَاتِ لَا يَحْدُثُ مِنْهُ الْبَغْيُ؛ لِمَا مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمِنْ فَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ حَصَلَ مِنْهُ مِنَ الْبَغْيِ بِمَقْدَارٍ مَا فَاتَهُ مِنَ الْوَصْفِ، فَمِنْ نَقَصِ إِيْمَانِهِ حَصَلَ مِنْهُ الْبَغْيُ، وَمِنْ قَلَّتْ أَعْمَالُهُ الصَّالِحَةُ حَصَلَ مِنْهُ الْبَغْيُ»^(٢).



قِصَّةُ نَبِيِّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ (٥)

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيُّ فِي الْمَلِكِ وَالنَّبُوَّةِ، وَلَيْسَ الْمَرَادُ وَرَاثَةُ الْمَالِ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تَوَرَّثُ أَمْوَالَهُمْ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(٣).

وَقَوْلُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْهَدِيدِ: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧] هَذَا فِيهِ مِنْهَجٌ لَتَلَقِّي الْأَخْبَارِ الْمُسْتَعْرَبَةِ، بِعَدَمِ الْاسْتِعْجَالِ فِي قَبُولِهَا أَوْ رَدِّهَا. وَقَوْلُ الْمَلِكَةِ: ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ [النمل: ٣٢] إِلَى قَوْلِهَا: ﴿وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ يَمْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٨٤٢).

(٢) تفسير سورة ص (١١١).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥/٢١٣).

أرادت أن تختبر صدق دعواه، هل هو ﷺ مَلِكٌ كسائر الملوك، أهدأهم التوسع والازدياد من الأموال والممالك؟ فإن كان كذلك فإن هذه الهدية النفيسة الثمينة تسد شيئاً من طموحاته، وإن لم يَلْتَفِتْ إليها فهو نبي صادق.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانَكُمْ بَلْ أَنتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦]، هذا الموقف من نبي الله ﷺ هو من عزة النفس ومن القناعة ومن العفاف ومن الصدق ومن الثبات على المبدأ وعدم التزحزح عنه والطمع في عَرْضٍ من أعراض الدنيا.

وهذه أخلاق الأنبياء ومن اقتدى بهم، وإلا فالإنسان كما قال ﷺ: «لو أن لابن آدم واديين من ذهبٍ لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(١)، وقال ﷺ: «يهرم ابن آدم وتشب معه خصلتان: الحرص والأمل»^(٢)، وقال ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»^(٣).

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَتَابِعَا أَمَلُوكُمَا أَيْتَنِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٢٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿[النمل: ٣٨ - ٣٩].

قال في «الجلالين»: العفريت: القوي الشديد^(٤).

﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾ ذكر المفسرون أن المعنى: قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي أنت فيه، فقبل أن يحين انصرافك من مجلسك إليك به. وذكر أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار، يعني: يقعد للقضاء بين الناس والنظر في شؤون الدولة والرعية^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (١٠٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٢١)، ومسلم (١٠٤٧)، وأحمد (١٢١٤٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين ص (٤٩٩).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٦٧/١٨).

وقول الله ﷻ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

هذا موقفٌ عظيمٌ من مواقف الشاكرين، فمع هذا الحدثِ النادرِ وقوعه الخارقِ للعادة: مجيءُ هذا العرشِ بهذه السرعةِ الخاطفة؛ مع كبرِ حجمه، وثقلِ وزنه، وبُعْدِ مكانه، ثم ما احتواه من زينةٍ تذهبُ بالألبابِ، وتخطفُ الأبصارَ، كلُّ هذا وغيره لم يشغلُ عبدَ الله ورسوله سليمانَ ﷺ عن الشكرِ، فقال في الحالِ: ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

وهذا كموقفه ﷺ لما سمع النملة تقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مِنكُمْ لَآ يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٨) فنبَّسَ صاحِبًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٨ - ١٩].

والذي يتكررُ حصوله من أكثرِ الناس: أنَّ الواحدَ منهم إذا تجددتْ له نعمةٌ: انشغل عن شكرِ الله عليها بفرحته بها التي أنستهُ الشكرَ، أو انشغلَ بشكرِ من كتبَ الله هذه النعمةَ على يديه، ولم يشكرِ الله، أو انشغلَ بالتخطيطِ والترتيبِ: كيف يعملُ بها؟ وكيف يستثمرُها ويستمتعُ بها؟ إلى غيرِ ذلك من الصوارفِ.

أما من يستحضرُ في الحالِ نعمةَ الله عليه، ويبادرُ بواجبِ الشكرِ: فقليلٌ، قال الله ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

ولا يعني هذا عدمَ شكرِ المحسنِ وصاحبِ المعروف؛ بل شكرُهما مطلوبٌ، وفي الحديثِ عن النبي ﷺ: «من صنعَ إليكم معروفًا فكافئوه»^(١)، لكن لا يُلهِكْ شكرُهُ عن شكرِ الخالقِ الرازقِ ﷻ، أبدًا بحمده ﷻ.



(١) أخرجه أبو داود في السنن (١٦٧٢)، والنسائي في المجتبى (٢٥٦٧).

قصة نبي الله سليمان عليه وعلى نبيينا أفضل الصلاة والسلام (٦)

قال الله تعالى في قصة الملكة: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١].

قوله: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾، قال في «الجلالين»^(١): «أي غَيَّرُوهُ إِلَى حَالٍ تُنْكِرُهُ إِذَا رَأَتْهُ، فَصَدَّ بِذَلِكَ اخْتِبَارَ عَقْلِهَا».

في كثير من الأحيان يَحْسُنُ لمن أراد أن يُقَابَلَ أَحَدًا أن يكونَ عنده معرفةٌ عامةٌ به وبثقافته ومستوى ذكائه ونحو ذلك؛ ليتعاملَ معه على حسب ذلك، وهذا من مهارات التواصل.

ولعل من شواهد ذلك: قول النبي ﷺ لمعاذ لما أراد أن يبعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ»^(٢).

ولعل منه أيضًا: ما هاهنا من قول سليمان ﷺ: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾، كما قال في «الجلالين»^(٣): «قصد بذلك اختبارَ عقْلِهَا».

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢] قال الشوكاني: «لم يَقُلْ: هذا عَرْشُكِ؛ لئلا يكونَ ذلك تلقينًا لها، فلا يتم الاختبارُ لعقْلِهَا»^(٤).

قوله: ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢] قال عكرمة: كانت حكيمةً، قالت: إِنْ قُلْتُ هُوَ هُوَ: خَشِيتُ أَنْ أُكْذِبَ، وَإِنْ قُلْتُ لَا: خَشِيتُ أَنْ أُكْذَبَ، فقالت: كَأَنَّهُ هُوَ»^(٥).

وقوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ

(١) ص (٤٩٩) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٣) ص (٤٩٩).

(٤) فتح القدير (١٤١/٤).

(٥) المرجع السابق.

مُمرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ [النمل: ٤٤].

﴿الَصَّرَحُ﴾: قال أبو عبيد: كلُّ بناءٍ عالٍ مرتفع^(١).

﴿مُمرَّدٌ﴾ الممرَّد: قال الشوكاني: «المحكوكُ المُملَّسُ»^(٢).

من الحكمة في الدعوة تَلَمُّسُ أبلغ الأسباب المؤثرة في المدعو، ودعوته من خلالها، ولعل من شواهد ذلك:

أولاً: ما جاء في «صحيح البخاري» في قصة صلح الحديبية لما صدت قريشُ النبي ﷺ ومن معه عن دخول مكة، وهذا أمرٌ ما جرت به العادة مطلقاً؛ أن من جاء ليعتمر أنه يُصدُّ؛ لكن أخذتهم الحمية حمية الجاهلية، فلما صدَّ وبقي النبي ﷺ، جاء رجلٌ من بني كنانة، سيدُ قبيلةٍ من قبائل العرب، وقال لقريش: دعوني آتِه - أي النبي ﷺ -؛ ليُفاوضَ النبي ﷺ، فقالوا - أي المشركون - : آتِه، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسولُ الله ﷺ: «هذا فلان»، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له «فبعثت له، واستقبله الناسُ يُلبُّون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدُّوا عن البيت، فرجع إلى قريشٍ مُحطَّطاً لهم في صدِّهم النبي ﷺ عن البيت، ولم يصل إلى رسولِ الله ﷺ؛ إعظاماً لما رأى^(٣).

ثانياً: الذين يَحْتَفُونَ بصفات السخاء والكرم، وهي عندهم من أهم معايير تقويم الرجال، وكان عامة العرب هكذا: عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «ما سئل رسولُ الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غنماً

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة»^(١).

كأنه أدرك ورأى أن الكرم والجود والسخاء يبقى له سقفٌ مُعَيَّن، أما عطاء النبي ﷺ فقد تجاوز ذلك كله، فعرف أنه نبي مرسلٌ من عند الله تعالى. قال أنس رضي الله عنه: «وإن كان الرجل يُسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»^(٢).

ثالثًا: استثارة الغيرة لدى الشخص في ترغيبه في الخير أو تنفيره من الشر، كقصة ذلك الشاب الذي جاء يستأذن النبي ﷺ في الزنى، فالتبى ﷺ قال: «أتُحبُّه لأُمَّك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أُتُحبُّه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم» قال: «أُتُحبُّه لأختك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» قال: «أُتُحبُّه لعمتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم» قال: «أُتُحبُّه لخالتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر، ذنبه وظهر قلبه، وحسن فرجه»^(٣).

رابعًا: قد يؤثر في الشخص اهتمامات شخصية لذلك المدعو، ولعل من شواهد ذلك: أن رجلاً من قريش اسمه رُكَّانَة، كان متميزًا بقوته البدنية، فكان يجتمع عليه الثَّغر من الناس فيغلبهم. روى أبو داودَ مرسلاً عن سعيد بن جبيرة قال: كان رسولُ الله ﷺ في البطحاء في مكة، فأتى عليه رُكَّانَة ومعه إبلٌ له، وفي رواية: يرعى غنماً، فقال: يا محمد! هل لك أن تصارعني، وكان

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٢١١).

من الأشداء، فقال: «ما تُسَبِّحُنِي؟» فقال: شاةٌ، فصارعهُ النبيُّ ﷺ فصْرعه فأخذ الشاةَ، فقال ركانةُ: هل لك في العودة؟ ففعل ذلك مراراً، فقال ركانةُ: يا محمد! ما وضع أحدٌ جنبي إلى الأرضِ، وما أنت بالذي تصرعني، فأسلم. فَرَدَّ عليه النبيُّ ﷺ غَنَمَهُ (١).

ولعل من صور ذلك - وهو أنَّ من الحكمة في الدعوة تَلَمُّسَ أبلغ الأساليب في نفس المدعوِّ -: ما هاهنا في قصة نبيِّ الله سليمانَ عليه السلام مع تلك الملكة، فإن نبيَّ الله ﷺ لما أراد أن يُبينَ لهذه المرأة أنه نبيُّ مرسلٌ يدعوها إلى توحيدِ الله ﷻ والاستسلام له - سبحانه - أراها من المصنوعات - أو إن شئتَ قل: من المُنجَزاتِ - ما يَتَبَيَّنُ لها أنَّ هذا خارجٌ عن قدرة البشرِ مهما أوتوا من قدراتٍ أو مَلَكاتٍ أو إمكاناتٍ أو مواهبٍ أو أعوانٍ، فلذلك هياً لها ذلك الصرح.

قوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ [النمل: ٤٤]، فدخلتِ الصرحَ وهي ترى الماءَ يجري أمامها لا ترى أنه يجري تحت شيءٍ ولا تشكُّ في ذلك، ومن ثمَّ اضطُرَّتْ وهي الملكةُ أن ترفعَ طرفَ ثوبها، والمتكبرونَ من الناسِ فضلاً عن ملوكهم يأبونَ إلا إطالة ثيابهم ويأنفون من تقصيرها أو رفعها، لاسيما وهي امرأةٌ، لكنها اضطُرَّتْ لذلك حيث حَسِبَتْهُ لجةَ ماءٍ مكشوفٍ غيرِ مسقوفٍ فتحتاجُ لخوضه بقدميها، فأخبرت أنه مسقوفٌ بسقفٍ زجاجيٍّ بلغَ غايةً من الدقة في صنعه وصفائه وشفافيته.

قوله: ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ فَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤]. فحينها عَلِمَتْ أَنَّ الملوكَ مهما بلغت قدراتهم فإن لهم سقفاً لا يتجاوزونه، أما سليمانُ فقد تجاوزَ ذلك كله.

قال البغوي رحمه الله - عن بعض السلف -: «لما رأت السريرة والصرح علمت أن مُلك سليمان من الله»^(١).

فلهذا وصلت الرسالة بجلاء ووضوح، ومن ثم قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].



قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم

قصة موسى عليه السلام قد تكررت في كتاب الله في مواضع كثيرة، وفيها دروس وعبر وتوجيهات وتحذيرات وإشارات ونذارات؛ فيها لنبينا صلى الله عليه وسلم من التثبيت والتصبير، وفيها للامة من البشارة والنذارة ونحو ذلك - الشيء الكثير.

ففي فواتح سورة البقرة قال الله تعالى في ق [البقرة: ٤٧] يعني: العالمين في زمانهم، أما التفضيل المطلق فلا ممة محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

حصلت النعمة بالإنجاء، ومزيذاً على ذلك: بإغراق عدوهم، ثم كان أشقى لصدورهم أن إغراقهم وهم ينظرون، فهذا أشقى للصدر من هذا العدو الذي ساءهم سوء العذاب، وذبح أبناءهم؛ فلذات أكبادهم - نسأل الله العافية -، واستحى نساءهم، إلى غير ذلك.

وقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١].

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: يُعطى في نهايتها التوراة.

(١) تفسير البغوي (٦/١٦٨).

قوله: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ فُتِنُوا بِهِ؛ بَلْ وَأَشْرَبَتْ حُبَّهُ قُلُوبُهُمْ؛ مع أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ بَيْنَ الْبُطْلَانِ، فَالْقُلُوبُ إِذَا كَانَتْ مُهَيَّأَةً لِلْفِتْنَةِ تَكُونُ مَحْضَنًا لَهَا مَهْمَا كَانَ مِنْ وَهْيِهَا وَتَسَاقَطِهَا، نَسَأُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

وقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]: فَسَرَتْ بَعْدَهُ تَفْسِيرَاتٌ؛ لَكِنَّ الْإِمَامَ الشَّنْقِيطِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ - صَاحِبَ «أَضْوَاءِ الْبَيَانِ» - اخْتَارَ: لِيَقْتُلَ الَّذِينَ لَمْ يَعْبُدُوا الْعِجْلَ الَّذِينَ عَبَدُوهُ^(١). فَالْمُؤْمِنُونَ كَالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]: يَعْنِي «لِيُسَلِّمَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ»^(٢).

وقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧]، لَمَّا أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ رَفَضُوا، وَقَالُوا: ﴿إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢]، إِلَى قَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦] لَا يَهْتَدُونَ إِلَى سَبِيلٍ فِي تِلْكَ الصَّحَرَاءِ؛ عِقَابَهُ لِهِمْ لَمَّا بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا.

وَفِي هَذِهِ الصَّحَرَاءِ مَعَ أَنَّهَا عِقَابُهُ لِهِمْ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ لَطَفَ بِهِمْ، فَظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى.

وُفْسِرَ «الْمَنَّ» بِأَنَّهُ: مَادَةٌ تَسْمَى التَّرَنْجِبِينَ، مَادَةٌ عَسَلِيَّةٌ، تَشْبُهُ الْعَسَلَ فِي طَعْمِهَا وَقَوَامِهَا، يَقُولُونَ: كَانَتْ إِذَا هَبَطَتْ وَعَلِقَتْ بِالشَّجَرِ أَوْ الْحَجَرِ تَنْعَقِدُ وَتَكُونُ مِثْلَ الْعَسَلِ^(٣).

(١) ينظر: العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير (١/ ٩٩ - ١٠٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٨٧).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٧٠٠) وما بعدها.



و«السُّلوى»: فُسِّرَ بأنه طائرُ السُّمَانِي^(١). الطائرُ المعروف الذي يُباعُ في مَحَلَّاتِ بيعِ لحومِ الدجاجِ ونحوه، واللهُ الحمدُ.

وقيلَ في معنى «الْمَنِّ»: هو كُلُّ رزقٍ مَنَّ اللهُ بهِ على عباده من غيرِ كُفْءٍ، ومنه: هذا التَّرَنُّجِيينِ والسُّلوى^(٢)، كما جاءَ في «صحيحِ مسلم»^(٣) عن النبي ﷺ: «الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ، وماؤُها شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ».

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَطَّلَنَّا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧]: روى ابنُ جريرٍ رحمه الله في تفسيره عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: «غمامٌ أبرُدٌ من هذا وأطيب»^(٤).

لعلَّ صوابها: غمامٌ أبرُدٌ من هَذَا وأطيب.

«الهِدَا» المنطقةُ المعروفةُ في الطائفِ، ومعروفٌ أنَّ ابنَ عباسٍ رضي الله عنهما في آخرِ عمرِه سكنَ الطائفَ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

في قصةِ آدَمَ قُدَّمَ قوله تعالى: ﴿رَعَدًا﴾، وهُنَا أُخِّرَ إلى آخرِ الجملة: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: فقل - واللهُ تعالى أعلم -: إِنَّ الرَّعَدَ هُنَاكَ أبلغُ وأتمُّ، فهو هُنَا حاصلٌ؛ لكنَّهُ هُنَاكَ أبلغُ وأتمُّ.

قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، روى البخاريُّ ومسلمٌ^(٥) وغيرُهما من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا يَرْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِمَ - يعني على أديبارهم -، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ»، نَسَأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

(١) ينظر: المرجع السابق (١/٧٠٤).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١/٢٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٨)، ومسلم (٢٠٤٩).

(٤) تفسير الطبري (١/٦٩٩).

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٠٣)، ومسلم (٣٠١٥).

تأملات في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

من حكمة الله تعالى البالغة ولطفه بعبده يوسف عليه السلام: أن قدر أن ينسى صاحبه في السجن ما أوصاه به، لمّا قال له: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، وما ترتب على ذلك، حيث ترتب على نسيانه: أن مكث في السجن بضْعَ سنين، وهذا أمر فيه من المشقة والابتلاء العظيم ما لا يخفى؛ حيث سُجِنَ ظُلْمًا، ثُمَّ نُسِيَ، ثُمَّ إِنَّهُ فِي بِلَادٍ غَرِيبَةٍ، فلا قريب ينصره، ولا صديق يسأل عنه، أو يسعى في مصلحته، لكن كان في علم الله تعالى أن في هذا من الخير المُدَّخِرِ ليوسف عليه الصلاة والسلام ما لو بلغ الموصى ما وُصِّيَ به لفات كثير منه.

ولعل من ذلك الخير: أنه لو شفع له لدى الملك في ذلك التوقيت لرُبَّمَا لم يقبل شفاعته، أو ينبعث بعض من كان وراء سجنه مُحَرِّضِينَ الملك على عدم قبول هذه الشفاعة، ثُمَّ لو أَنَّ الملك قَبِلَ تلك الشفاعة في ذلك الوقت، وأمرَ بالإفراج عنه، فقال يوسف للرسول: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]، فيغلب على الظن أن امرأة العزيز وصَوَاحِبَاتِهَا سَيُكَايِرْنَ وَيَجْحَدْنَ الحقيقة، فالقضية مازالت حية في أذهان الناس؛ بخلاف ما حصل بعد أن تقادم العهدُ بها، وذلك مما يتكرر على خاطر الشخص من عتاب النفس، ولَوَمِ الضمير، وإكبار مواقف العفاف والكمال. فكل ذلك ونحوه لعله مما هَيَّأَهُنَّ وَشَجَّعَهُنَّ على الإقرار بالحق، والاعتراف ليوسف بالصدق والعفاف.

ثُمَّ إِنَّ يَوْسُفَ عليه السلام لو قال للرسول: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ...﴾، وهو لم يُمَضِّ في السِّجْنِ إلا فترة يسيرة: ما ظهر من حلمه وصبره ما ظهر حين قال ذلك بعد أن مكث في السِّجْنِ بِضْعَ سنين، فحينذاك ظهر للملك أنه أَمَامَ



أُ نموذج نادرٍ من الحلم والأناة والعقلِ وبُعْدِ النظرِ؛ مما كَانَ سببًا في قوله له: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].



تأملاتٌ في قصةِ مريمَ عليها الصلاة والسلامُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَو كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْفَرِمُ أَنْ لِي هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ آل عمران: ٣٥ - ٣٧.

قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعِثِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مُحَرَّرًا»؛ أي: «مُحَرَّرًا مِنْ خِدْمَتِي؛ لِيَكُونَ خَادِمًا لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(١).

فهذه المرأةُ الصالحةُ - امرأةُ عمرانَ - تنازلتُ عن حَقِّها في هذا الجَنِينِ؛ زُهْدًا في الدُّنْيَا، ورغبةً فيما عِنْدَ اللَّهِ ﷻ، فآثرتُ رضوانَ اللَّهِ تعالى وثوابه على هوى النفسِ وحُظوظِها.

فالوالدانِ لَا يَمْلَآنِ من رُؤيةِ أولادِهِم، يَتَصَبَّحُونَ بِهِم وَيَتَمَسَّسُونَ، وَأَيْضًا يُؤْمَلُونَ فِيهِم: أَنْ يَقُومُوا بِخِدْمَةِ وَالِدَيْهِم وَحَاجَتِهِم إِذَا كَبُرُوا.

لَكِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ زَهَدَتْ فِي هَذَا كُلِّهِ، وَهَذَا يُشْبِهُ فِعْلَ أُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا جَاءَتْ بِابْنِهَا أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ عَمْرُهُ عَشْرَ سِنَوَاتٍ - لِيَخْدَمَ النَّبِيَّ ﷺ^(٢).

(١) تفسير سورة آل عمران (٢١٣/١).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٦٦)، ومسلم (٢٤٨١)، ولفظه: عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءني بي أمي أم أنسٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقد أَرَزَّنِي بنصفِ خمارِها، ورَدَّنِي بنصفه، فقالت: =

إذن؛ تنازلت عن حقها؛ ليكون محرراً مُعْفًى من خدمتها؛ ليكون خادماً للمسجد الأقصى، ويتفرغ لعبادة الله.

سؤال: ما الذي يديرها أن هذا الولد المندور سيكون صالحاً يُنفذ رغبة والدته؟

الجواب: حسن ظنّها بالله تعالى.

سؤال: هل تحقق لها ذلك؟

الجواب: نعم، تحقق ذلك بأكثر مما أملت، فصارت ابنتها هذه أمّاً لنبيٍّ من أولي العزم - عليهم الصلاة والسلام -، وجعلها الله تعالى وابنتها آيةً للعالمين، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

قوله: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّكَ كَآنُتَنِي وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ انظر إلى لجوئها إلى الله ﷻ واستمداد الحفظ منه - سبحانه -، فهذه المرأة عوّدت ابنتها من الشيطان الرجيم؛ مع أنها وليدة، عُمرها لم يتجاوز بضعة ساعات.

وهكذا الصالحون، يلجؤون إلى الله تعالى في كل حاجتهم؛ أن يكفيهم الله ما أهمهم، فهذا موسى عليه السلام لما هدّده فرعون وقال: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ [غافر: ٢٦]، قال موسى: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

وهذا أبو موسى الأشعري عليه السلام يقول: كان النبي ﷺ إذا خاف قوماً قال: «اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم، ونُدرأ بك في نحورهم»^(١).

قوله: ﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأُنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا

= يا رسول الله، هذا أنيس ابني، أتيتك به يخدمك فادع الله له، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده».

(١) أخرجه أبو داود في السنن (١٥٣٧).



زَكْرِيَّا الْمَحْرَبَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴿ تَأَمَّلْ فِي هَذِهِ الْجَمَلِ الْأَرْبَعِ، وَفِي شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَتِلْكَ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ الصَّادِقَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْغَفُورُ الشَّكُورُ.

وهذا يُذَكِّرُكَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، فعلى قدر تقوى العبدِ وصدقِهِ: يكونُ القبولُ.

قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا﴾: قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَرَنَهَا - يَعْنِي مَرِيَمَ - بِالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، تَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ الْخَيْرَ وَالْعِلْمَ وَالْدِّينَ، وَإِنَّمَا قَدَّرَ اللَّهُ كُونَ زَكْرِيَّا كَافِلَهَا لِسَعَادَتِهَا، لَتَقْتَبَسَ مِنْهُ عِلْمًا جَمًّا نَافِعًا، وَعَمَلًا صَالِحًا، وَلَئِنَّهُ كَانَ زَوْجَ خَالَتِهَا، وَقِيلَ: زَوْجُ أُخْتِهَا؛ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ^(١): «فَإِذَا يَبْحِي وَعَيْسَى، وَهَمَا ابْنَا الْخَالَةِ»^(٢).

قوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمَحْرَبَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «الْمَحْرَبُ فِي اللُّغَةِ: أَكْرَمُ مَوْضِعٍ فِي الْمَجْلِسِ»^(٣).

أَمَّا هُنَا؛ فَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الْعَثِيمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْمَحْرَبُ هُوَ مَكَانُ الْعِبَادَةِ، وَلَيْسَ هُوَ طَاقُ الْقِبْلَةِ - يَعْنِي الْمَقْوَسَ - كَمَا هُوَ عِنْدَ النَّاسِ؛ بَلْ هُوَ مَكَانُ الْعِبَادَةِ؛ سِوَاءٍ كَانَ طَاقًا، أَوْ مَرْبَعًا، أَوْ حَجْرَةً، وَسُمِّيَ الْمَحْرَبُ مُحْرَبًا؛ لِأَنَّ الْمُتَعَبِّدَ فِيهِ يَحَارِبُ الشَّيْطَانَ^(٤).

وَوَقْفَةٌ عِنْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا﴾: مِنْ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَحْرُسُ عَلَيْهَا الْوَالِدَانِ الْحَرِيصَانِ عَلَى حَسَنِ تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِمْ وَيَهْتَمُونَ لَهَا كَثِيرًا: مَعْلُومُ أَوْلَادِهِمْ - بَنِينَ أَوْ بَنَاتٍ -، فَيَفْرَحُونَ كَثِيرًا إِذَا وَفَّقُوا لِلْمُعَلِّمِينَ الصَّالِحِينَ النَّاصِحِينَ الْمُبَارَكِينَ، وَأَيْضًا: يَحْرُسُونَ عَلَى صِلَاحِ الْبَيْتَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا

(١) فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ لَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ يَحْيَى وَعَيْسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. «الْمُؤَلَّف».

(٢) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ (٣٥/٢) بِاخْتِصَارٍ.

(٣) تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ (٧١/٤).

(٤) يَنْظُرُ: تَفْسِيرُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (٢٢٣/١).



الولد - ابناً كان أو بنتاً -؛ زملاء المدرسة، وجيرانه في الحي، وأصحابه في الحلقة، وأقرانه من أقاربه، ونحوهم.

وفي الآية إرشادٌ إلى سببٍ مهمٍّ في توفيقِ الوالدين إلى ما تَقَدَّمَ، وهو صلاح أولادهم، فسببُ القبول: التقوى، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وفي هذه الآياتِ إشارةٌ للوالد إذا اتقى الله وصدق في رغبته في صلاح أولاده، وذلك بأن يكون القصد: تعبيدهم لله؛ لا لحظٍّ من حظوظ النفس، ذلك أن بعض الناس قد تكون رغبته في صلاح أولاده مشوبةً بحظوظ النفس، فيتمنى أن يكون أولاده صالحين ويفرح بذلك؛ لكن لو تعارضت أسباب صلاحهم مع مصلحة دنياء: قدَّم مصلحة دنياء. أو لا تكون رغبته متمحضةً لله؛ بل يريد صلاحهم لكي يحسن سلوكهم فلا يجرون عليه مشكلات، ويكونوا طائعين له، ونحو ذلك من المصالح الشخصية الدنيوية. فمثل هذا قد يفوته ما يفوته مما أَمَّلَ من صلاحهم.

أما من صدق الله، وكان قصده تعبيدهم لله؛ بأن يكونوا على الحال التي يحبها الله ﷻ، ولو قوت هذا عليه شيئاً من مصالح الدنيا؛ فالله ﷻ أكرم من أن يردَّ من كان هذا قصده خائباً.

قوله: ﴿قَالَ يَزِيمُ أَيْ لَبَّ هَذَا﴾، ﴿أَنْ﴾: استفهامٌ عن الشيء المستغرب أو المستبعد. وجاء في «لسان العرب»^(١) أن كلمة «أنى» استفهامٌ عن الجهة، تقول أنى يكون هذا؟ أي: من أيِّ جهة وطريق.

فذكرنا يسأل هذا السؤال الذي فيه استغرابٌ عن هذا الرزق الذي يأتيها كلما دخل عليها.

(١) ينظر: لسان العرب (٤٣٧/١٥).

قوله: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: في تدبّر هذه الآية ثمرات:

١ - الإيمان بهذا - أن الله يرزق من يشاء بغير حساب ..

٢ - صحة التوكّل على الله.

٣ - حسن الظن بالله ﷻ. فمهما ضَعُفَت الأسبابُ فالأمرُ مردها إلى الله، ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، أيّا ما كان؛ قدرته، قوّته، تسببه، إلى غير ذلك.



﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾

الله ﷻ هو أكرم الأكرمين: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]، وهو ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ في جوده وكرمه وبرّه وإحسانه وسائر صفاته - سبحانه ..

وقد قال تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٤]، فليس أحدٌ يُثِيبُ كثوابِ الله، فالله هو الشكور، يجزي على القليل بالكثير، وبما لا يخطرُ على قلبِ الإنسان، يُثِيبُ على الحسنةِ بعشرِ أمثالِها، إلى سبعِ مئةٍ ضعيفٍ، إلى أضعافٍ كثيرةٍ لا يُحِصُّ بها البشرُ، ويُثِيبُ على الصيامِ إثابةً خاصةً أكثرَ من التضعيفِ بعشرٍ أو سبعِ مئةٍ، فلا يَحْصُرُها عددٌ.

وتقريباً لمعنى قولِ الله ﷻ: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٤] أوردُ قصةَ أحدٍ من الناسِ - من المعروفين - ممن بَسَطَ اللهُ لَهُ في الرزقِ، حيثُ ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ في طفولته في حالٍ من شَطَطِ العيشِ، وأنَّ زملاءَهُ في المرحلةِ الابتدائيةِ رَتَّبُوا مع معلمهم أن يَخْرُجُوا في نُزْهَةٍ إلى البرِّ، وكانَ رسومُ الاشتراكِ رِيَالًا، فَعَمَّهُ ذَلِكَ وأحزنه؛ فمن أين يأتي بالريالِ؟ وبقيَ على مشاعره وأحزانه، فتفطّنَ لَهُ أحدُ المعلمين - جزاهُ اللهُ خيرًا -، من فلسطين، فدفعَها عنه، ففرحَ فرحًا بالغًا، وشاركَ زملاءَهُ...

كَبَرَ هَذَا الطَّالِبُ وَمَرَّتِ السَّنُونَ، وَوَسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَانْفَتَحَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا،
فَمَا نَسِيَ مَعْرُوفَ ذَاكَ الْمَعْلَمِ؛ لَكِنْ أَيْنَ يَجِدُهُ بَعْدَ هَذِهِ الْعُقُودِ؟
يَسَّرَ اللَّهُ لَهُ فَلَقِيَهُ.. لَمَّا التَقَى بِهِ ذَكَرَهُ بِمَعْرُوفِهِ وَجَمِيلِهِ، فَكَانَ مِنْ شُكْرِ
هَذَا الطَّالِبِ لِمَعْرُوفِ مَعْلَمِهِ وَإِثَابَتِهِ إِيَّاهُ عَلَى إِحْسَانِهِ ذَلِكَ - كَمَا ذَكَرْنَا فِي
الْقِصَّةِ -: أَنْ أَعْطَاهُ سَيَّارَةً، وَبَيْتًا، وَأَجْرَى لَهُ رَاثِبًا طَوَلَ الْحَيَاةَ.

هَذَا خُلِقَ كَرِيمٌ - وَهُوَ شُكْرُ صَاحِبِ الْمَعْرُوفِ -: كَمَا فِي الْحَدِيثِ عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَيْتُوهُ»^(١).

فَإِذَا كَانَ هَذَا إِثَابَةً لِلْمَخْلُوقِ لِلْمَخْلُوقِ؛ فَاللَّهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
[الشورى: ١١]؛ فِي كَرَمِهِ وَجُودِهِ وَسَعَةِ فَضْلِهِ وَإِثَابَتِهِ مَنْ عَمِلَ خَيْرًا: ﴿هُوَ خَيْرٌ
نَوَّابًا﴾ [الكهف: ٤٤].

وَمِنْ هُنَا: كَانَ حَرِيًّا بِالْعَبْدِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَكَرَمٍ مِنْ هَذَا مِنْ كَرَمِهِ، وَيُعْظَمَ
رَغْبَتُهُ لِمَا عِنْدَهُ - سُبْحَانَهُ -، فَاللَّهُ ﷻ يُحِبُّ الَّذِي يُكْثِرُ الدَّعَاءَ، وَيُلِحُّ فِي دَعَائِهِ
وَلَا يَيْأَسُ، وَيُعْظَمُ الرِّغْبَةُ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ:

الْأَوَّلُ: كَثْرَةُ الدَّعَاءِ، وَاللَّجُوءُ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ مَا يُتَوَكَّلُ؛ مِنْ كَبِيرِ الْأُمُورِ
وَصَغِيرِهَا.

الثَّانِي: الْإِلْحَاحُ وَعَدَمُ الْيَأْسِ.

الثَّالِثُ: تَعْظِيمُ الرِّغْبَةِ.

مِثَالٌ عَلَى إِعْظَامِ الرِّغْبَةِ: مَا قَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤].

سُؤَالٌ: مَاذَا قَالَ سُلَيْمَانُ ﷺ؟

الْجَوَابُ: أَحَدُنَا إِذَا وَفَّقَ لِلتَّوْبَةِ فَلَسَانُ حَالِهِ هُوَ: يَا رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَبَرَكَتُهُ
إِنْ حَصَلَتْ هَذَا الْمَطْلَبُ. وَهَذَا مِنْ قِصَصِ الْعِلْمِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَغْفِرَةَ مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي السَّنَنِ (١٦٧٢)، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْمَجْتَبَى (٢٥٦٧).



أَعْظَمَ الْبَرَكَاتِ؛ لَكِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ الَّذِي يَعْرِفُ مَا اللَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ قَالَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

فَانظُرْ كَيْفَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَعْظَمَ الرِّغْبَةَ، وَتَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

سؤال: ماذا كَانَ جوابُ رَبِّهِ ﷺ؟

الجوابُ: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٦) وَالشَّيْطَانِ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرِ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ لَمْ عِنْدَنَا لُزْغٌ وَحُسْنٌ مَنَاقِبٍ﴾ [ص: ٣٦ - ٤٠].

مثالٌ آخَرُ: موسى ﷺ لما دَعَا اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ أَخَاهُ نَبِيًّا رَسُولًا: ﴿وَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) هَازِمٌ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩ - ٣٢].

يُنْقَلُ إِنْسَانٌ مِنْ كَوْنِهِ رَجُلًا مِنْ عَامَةِ النَّاسِ إِلَى نَبِيِّ رَسُولٍ؟! هَذِهِ مِنْهُ عَظِيمَةٌ، وَمَوْهَبَةٌ مَا تَحْطُرُ عَلَى الْبَالِ - نَسَأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ -؛ بِسَبَبِ دَعْوَةِ أَخِيهِ الْبَارِّ. والامثلة كثيرة في القرآن.

والنبي ﷺ أَكَّدَ عَلَى هَذَا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ ﷺ - فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١) -: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ؛ وَلَكِنْ لِيَعْرِزِ الْمَسْأَلَةَ، وَلِيُعْظَمِ الرِّغْبَةُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

فَادْعُ لِنَفْسِكَ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَخَيْرِ الْآخِرَةِ، وَعَظِّمِ الرِّغْبَةَ، وَلَا تَسْتَكْثِرْ عَلَى رَبِّكَ شَيْئًا؛ فَإِنَّكَ تَسْأَلُ رَبًّا كَرِيمًا، يُحِبُّ مِنْكَ أَنْ تُعْظَمَ رَغْبَتُكَ، وَهَكَذَا ادْعُ لَوَالِدَيْكَ، وَلِزَوْجِكَ، وَلِذَرِيَّتِكَ، وَلِأَهْلِكَ، وَعَشِيرَتِكَ، وَلِعُمُومِ إِخْوَانِكَ الْمُسْلِمِينَ.

وَمِمَّا يَحْسُنُ التَّنْبِيهُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ: أَلَّا تَجْعَلَ دَعْوَاتِكَ وَطَلِبَاتِكَ بِمَا تَرَاهُ يَلِيقُ بِحَالِكَ وَوَضْعِكَ وَعَمَلِكَ؛ بَلْ اجْعَلْ دَعْوَاتِكَ وَطَلِبَاتِكَ مِمَّا يَلِيقُ

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

بكرم ربك ﷻ، وجوده، وعظم فضله، وسعة رحمته، فهو ﷻ ﴿حَيْرٌ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٤]، يُثِيبُ مَنْ دَعَاهُ وَأَحْسَنَ بِهِ الظَّنَّ فَوْقَ مَا دَعَا، وفوق ما يخطرُ على باله؛ كما في البخاري^(١) عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي».

ثُمَّ انظُرْ: أصحابُ الرُّتَبِ العُلَيَّا - نَسَأُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ - نَالُوا ذَلِكَ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، سَبَقُوا بِإِذْنِ اللهِ!.

وفي الحديث: «لَنْ يُجَبِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ»^(٢).

فَالْأُمُورُ مَنُوطَةٌ بِرَحْمَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ وَإِذْنِهِ، فَتَعَلَّقْ بِمَنْ هَذَا شَأْنُهُ، نَعَمْ؛ اجْتَهِدْ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَالتَّوَسُّلِ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ؛ لَكِنْ لَا تَرْبِطْ طَلِبَاتِكَ بِمَا تَرَى أَنَّهُ يَلِيقُ بِحَالِكَ.



الاعتصام بالله

سَبَقَ أَنْ وَصَلْتَنِي رِسَالَةً نَصِيَّةً يَقُولُ مُرْسِلُهَا:

آيَةُ اسْتَوْقَفْتَنِي طَوِيلًا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

انتهت الرسالة.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦).



فرجعتُ إلى كلام العلامة ابن القيم^(١) وتفسير الشيخ محمد العثيمين^(٢) رحمها الله ونقلتُ منهما ما يلي:

الاعتصامُ هو التمسكُ بما يعصمُك ويمنعُك من المحذورِ والمخوفِ.

الاعتصامُ هو الاحتماء، وهو نوعان:

النوع الأول: اعتصامٌ بالله، وهو: الاعتمادُ عليه، والتوكلُ عليه، والاستعانةُ به.

النوع الثاني: اعتصامٌ بحبله، يعني: بشرعه ﷺ.

ومدارُ السعادةِ الدنيويةِ والأخرويةِ على الاعتصامِ بالله والاعتصامِ بحبله، ولا نجاةَ إلا لمنْ تمسكَ بهاتينِ العصمتينِ، فالاعتصامُ بالله ﷻ يعصمُ من الهلكةِ، والاعتصامُ بحبلِ الله يعصمُ من الضلالةِ؛ وذلك أنَّ السائرَ إلى الله كالسائرِ على الطريقِ نحوَ مقصدٍ له، فهو محتاجٌ إلى هدايةِ الطريقِ لئلا يتيهَ، ومحتاجٌ أيضًا إلى السلامةِ أثناءِ الطريقِ؛ وذلك بأخذِ العُدَّةِ والقوةِ والسلاحِ التي تُحصِّلُ له السلامةَ من قطاعِ الطريقِ، وآفاتِ الطريقِ.

إذن؛ الاعتصامُ بالله والاعتصامُ بحبله عليهما مدارُ السعادةِ الدنيويةِ والأخرويةِ.



﴿مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في «رياضِ الصالحين»^(٣):

«بابُ الحثِّ على الازديادِ من الخيرِ في أواخرِ العمرِ، قالَ اللهُ تعالى:

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٤٥٧/١) وما بعدها.

(٢) ينظر: تفسير سورة آل عمران (٥٩٤/١) وما بعدها.

(٣) ص (٦٦) باختصار.

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا بَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَحَآءَكُمْ أَلَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٧]: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه والمحققون: معناها أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ سَتَيْنَ سَنَةً؟. وَيُؤَيِّدُهُ الْحَدِيثُ الَّذِي سَنَدَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١)، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَقِيلَ: الْبَلُوغُ، وَقِيلَ: أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَالْكَلْبِيُّ وَمَسْرُوقٌ، وَنَقَلُوا أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ كَانُوا إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً تَفَرَّغَ لِلْعِبَادَةِ.



آيَتَانِ مِنْ سُورَةِ الزُّمَرِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي خَوَاتِيمِ سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا ۖ﴾ [الزمر: ٧١]، وَقَالَ تَعَالَى بَعْدَهَا: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ۖ﴾ [الزمر: ٧٣].

فَالْمَوْضِعُ الْأَوَّلُ فِي سَوَقِ الَّذِينَ كَفَرُوا: بَدُونِ زِيَادَةِ الْوَإِ، وَفِي سَوَقِ الْمُتَّقِينَ: بَزِيَادَةِ الْوَإِ؛ فَمَاذَا أَفَادَتِ الْوَإِ فِي هَذَا السِّيَاقِ؟

الْجَوَابُ - وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى - كَمَا قَالَ الشُّوْكَانِيُّ رحمته الله - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَقْوَالَ -: «وَقِيلَ: إِنَّ زِيَادَةَ الْوَإِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَبْوَابَ فُتِحَتْ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا؛ لِكِرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ، وَحُذِفَتِ الْوَإِ فِي قِصَّةِ أَهْلِ النَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ، وَفُتِحَتْ بَعْدَ وَقُوفِهِمْ؛ إِذْ لَا وَتَرَوِيْعًا» ^(٢).

وَهَذَا مُشَاهِدٌ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ؛ فَيَمْنُ يُقَادُ إِلَى مَكَانٍ يَكْرَهُهُ، ثُمَّ يُزَجُّ فِيهِ، وَمَنْ يُدْعَى إِلَى مَنَاسِبَةٍ لِإِكْرَامِهِ، فَالثَّانِي تَكُونُ الْأَبْوَابُ مَفْتُوحَةً لِاسْتِقْبَالِهِ قَبْلَ أَنْ يَحْضُرَ، وَأَهْلُ الْمَنَاسِبَةِ يَتَرَقَّبُونَ مَجِيئَهُ لِلْإِحْتِفَاءِ بِهِ وَإِكْرَامِهِ.



(١) وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى أَمْرِي أَخْرَ أَجَلُهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤١٩).

(٢) فَتَحَ الْقَدِيرُ (٤/٤٧٨) بِاخْتِصَارٍ.



تفسير آية

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَنْسِبِينَ لِجَدِيبٍ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قول الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾ قال ابن كثير رحمته الله: «أي: لا ترقبوا الطعام إذا طُبِخَ، حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا يكرهه الله ويذمه، وهذا دليل على تحريم التطفل»^(١).

وقول الله تعالى: ﴿غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾ قال ابن كثير رحمته الله: «غير متحيين نضجه واستواءه»^(٢).



ما الشجرة الملعونة في القرآن؟

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّءَآءَ الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ قال ابن كثير رحمته الله: «يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم محرضاً له على إبلاغ رسالته، ومخبراً له بأنه قد عصمه من الناس، فإنه القادر عليهم، فهم في قبضته، وتحت قهره وغلبيه»^(٣): ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٤٥٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق (٥/٩١).

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الزُّنْيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]: ما هي الرؤيا؟

قال ابن كثير: فَسَّرَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه وغيره من السَّلَفِ ﴿الزُّنْيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ﴾: بَلِيلَةُ الإِسْرَاءِ، يعني: ما رآه النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ ^(١).

قوله: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾: كَانَ نَاسٌ قَدْ رَجَعُوا عَنْ دِينِهِمْ بِسَبَبِهَا بَعْدَ مَا كَانُوا عَلَى الْحَقِّ؛ يعني: بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِهَا، اسْتَبَعَدُوا ذَلِكَ وَلَمْ تَسْتَوْعِبْهَا عَقُولُهُمْ، وَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ ثَبَاتًا وَبَقِيْنًا لآخرينَ، وَرَأْسُهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ^(٢).

قوله: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ ^(٣): قَالَ الْقُسْطَلَانِيُّ: «قِيلَ: لَعْنُهَا إِبْعَادُهَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهَا تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، فَإِنَّهُ أَبْعَدُ مَكَانٍ مِنَ الرَّحْمَةِ» ^(٤)، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: «إِنَّكَ النَّارُ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءَ، وَلِكُلِّكُمَا عَلَيَّ مَلُؤُهَا» ^(٥).



هل يستويان؟

عَلَّقَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ تَيْمِيَّةَ رحمته الله عَلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨].

فَقَالَ رحمته الله: «وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، إِشَارَةٌ إِلَى مَا هُوَ

(١) ينظر: المرجع السابق (٩٢/٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) قال ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٨٧/١٧): «وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا: قول من قال: عَنَى بِهَا شَجَرَةُ الرَّقُومِ».

(٤) إرشاد الساري (٢٠٩/٧).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١١٧٥٤)، والبخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).



لازمٌ لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية؛ غمًا وحزنًا وقسوةً وظلمةً قلبٍ وجهلاً، فإنَّ للكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليمٌ. ولهذا تجدُ غالبَ هؤلاء لا يُطَيِّبونَ عيشَهم إلا بما يُزيلُ العقلَ، ويُلْهي القلبَ؛ من تناولٍ مُسكرٍ، أو رؤيةٍ مُلْهِ، أو سماعٍ مطربٍ، ونحو ذلك. وبإزاء ذلك قوله في المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ سَرَّحْنَهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]، فإنَّ الله يُعَجِّلُ للمؤمنين من الرحمة في قلوبهم وغيرها بما يجدونه من حلاوة الإيمان، ويدوقونه من طعمه، وانسراح صدورهم للإسلام، إلى غير ذلك من السرور بالإيمان والعلم والعمل الصالح بما لا يمكن وصفه^(١).



هل تدبَّرتَها؟

في سورة غافر لما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]: ذَكَرَ ﷻ بعدها مباشرة آياتٍ كريماتٍ دالةً على سعة رحمته، وجزيل فضله، وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، فتأمل - بارك الله فيك - هذه الآيات، وعُدَّ ما ذُكِرَ فيها من آلاءِ الله ونعمه.

يقول الله تعالى بعد الآية السابقة: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْيَلَّ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [٦١] ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا تَوْفُكُونَ﴾ [٦٢] هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦١ - ٦٥].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله^(٢): «تدبَّرْ هذه الآياتِ الكريماتِ الدالة على سعة رحمة الله، وجزيل فضله، ووجوب شكره، وكمال قدرته،

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ١١٠ - ١١١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص (٨٧٦ - ٨٧٧).

وعظيم سلطانه، وسعة مُلكه، وعموم خلقه لجميع الأشياء، وكمال حياته،
واتصافه بالحمد على كُلِّ ما اتَّصَفَ به من الصفات الكاملة، وما فعله من
الأفعال الحسنة، وتمام ربوبيته، وانفراذه فيها، وأنَّ جميع التدبير في العالم
الْعُلُويِّ والسُّفْلِيِّ في ماضي الأوقات وحاضرها ومستقبلها بيد الله تعالى، ليس
لأحد من الأمر شيءٌ، ولا من القدرة شيءٌ.

فينتجُ من ذلك: أنَّه تعالى المألوه المعبود وحده، الذي لا يستحقُّ أحدٌ
من العبودية شيئاً، كما لم يستحقَّ من الربوبية شيئاً.

وينتجُ من ذلك: امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالى، ومحبته، وخوفه،
ورجائه.

وهذان الأمران - وهما معرفته وعبادته - هما اللذان خَلَقَ اللهُ الخلقَ
لأجلهما، وهما الغاية المقصودة منه تعالى لعباده، وهما الموصِلانِ إلى كُلِّ
خيرٍ وفلاحٍ وصلاحٍ وسعادةٍ دنيويةٍ وأُخْرويةٍ.

وهما - أي معرفة الله وعبادته - أشرفُ عطايا الكريم لعباده، وهما أشرفُ
اللذاتِ على الإطلاق، وهما اللذان إنْ فاتا فَاتَ كُلُّ خيرٍ، وَحَضَرَ كُلُّ شرٍّ.

فنسأله تعالى أَنْ يَمْلَأَ قُلُوبَنَا بِمَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ حَرَكَاتِنَا الْبَاطِنَةَ
وَالظَّاهِرَةَ خَالِصَةً لَوَجْهِهِ، تَابِعَةً لِأَمْرِهِ؛ إِنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ سَوْأَلٌ، وَلَا يُخَفِّيه
نَوَالٌ، انتهى كلامه ﷻ.



هَنِيئًا لَهُ يُحْرَسُ

هذه فائدةٌ من تفسير الحافظ ابن كثيرٍ ﷻ على قول الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ
مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَتٌ
مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿[الرعد: ١٠ - ١١].



قَالَ رَبُّهُ: «يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ إِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ سِوَاهُ مِنْهُمْ مَنْ أَسَرَ قَوْلُهُ أَوْ جَهَرَ بِهِ فَإِنَّهُ يَسْمَعُهُ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]»^(١).

«وقوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ﴾؛ أي: مُخْتَفٍ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ، فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ.

﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ أي: ظَاهِرٌ مَاشٍ فِي بَيَاضِ النَّهَارِ وَضِيَائِهِ، فَإِنَّ كُلِيهِمَا فِي عِلْمِ اللَّهِ عَلَى السَّوَاءِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [هود: ٥]»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَهُ، مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ «أي: للعبدة ملائكة يتعاقبون عليه؛ حَرَسٌ بِاللَّيْلِ، وَحَرَسٌ بِالنَّهَارِ، يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْأَسْوَاءِ وَالْحَادِثَاتِ، كَمَا يَتَعَاقَبُ مَلَائِكَةُ آخَرُونَ لِحَفِظِ الْأَعْمَالِ؛ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، مَلَائِكَةُ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ، فَائْتَنَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ يَكْتَبَانِ الْأَعْمَالَ، صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَصَاحِبُ الشَّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ، وَمَلَكَانِ آخَرَانِ يَحْفَظَانِهِ وَيَحْرَسَانِهِ؛ وَاحِدٌ مِنْ وَرَائِهِ، وَآخَرُ مِنْ قُدَّامِهِ، فَهُوَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَمْلَاقٍ بِالنَّهَارِ، وَأَرْبَعَةٍ بِاللَّيْلِ، حَافِظَانِ وَكَاتِبَانِ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَصْعَدُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ -: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُونَ، وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُونَ»»^(٣).



(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٣٧).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق (٤/٤٣٧ - ٤٣٨).

فَائِدَةٌ قِيَمَةٌ مِنْ مَوَاقِفِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَوْلُ اللَّهِ ﷻ فِي سُورَةِ يُوسُفَ عَنْ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - :
﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْبَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

«هذا قمة الأمل والفأل بموعد الله لنصر عباده المؤمنين، رُغم كثرة المصائب، وشدة النكبات والمتغيرات التي تعاقبت على نبي الله يعقوب عليه السلام؛ إلا أن الذي لم يتغير أبداً هو حسن ظنه بالله».



مِمَّا يَعْنِي الْعَبْدَ عَلَى حُسْنِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ

مِنْ تَعْلِيقَاتِ ابْنِ الْجُوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]:

يَبِينُ إِيمَانُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْإِبْتِلَاءِ، فَهُوَ يَبَالُغُ فِي الدَّعَاءِ وَلَا يَرَى أَثْراً لِلْإِجَابَةِ، وَلَا يَتَغَيَّرُ أَمَلُهُ وَرَجَاؤُهُ؛ وَلَوْ قَوِيَتْ أَسْبَابُ الْيَأْسِ؛ لَعَلِمَهُ أَنَّ رَبَّهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِ مِنْهُ، فَيَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَقِيَ ثَمَانِينَ سَنَةً فِي الْبَلَاءِ وَرَجَاؤُهُ لَا يَتَغَيَّرُ، فَلَمَّا فَقَدَ بَنِيَّامِينَ لَمْ يَتَغَيَّرْ أَمَلُهُ، وَقَالَ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ [يوسف: ٨٣].

فَيَاكَ أَنْ تَسْتَطِيلَ زَمَانَ الْبَلَاءِ، وَتَضْجَرَ مِنْ كَثَرَةِ الدَّعَاءِ^(١).



مُبَشَّرَاتٌ

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) هُوَ الَّذِي

(١) ينظر: صيد الخاطر، ص (٤٣٨).



أَرْسَلَ رَسُولُهُ، يَهْدِي وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [التوبة: ٣٢ - ٣٣].

«يقول تعالى: يريد هؤلاء الكفار - من المشركين وأهل الكتاب - ﴿أَنْ يُظْهِرُوا نُورَ اللَّهِ﴾؛ أي: ما بعث به رسوله رسول الله ﷺ من الهدى ودين الحق بمجرّد جدالهم وافتراءهم، فمثّلهم في ذلك كمثّل من يريد أن يُظْفِي شُعاع الشمس أو نور القمر بنفخه، وهذا لا سبيل إليه؛ فكذلك ما أرسل الله به رسوله لا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ ويظهر؛ ولهذا قال تعالى مقابلاً لهم فيما راموه وأرادوه: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]»^(١).

وقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]: «أي على سائر الأديان»^(٢).

ثُمَّ ذَكَرَ رَوَايَاتٍ^(٣)؛ منها: ما رواه الإمام أحمد في مسنده بسنده عَنْ نَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ»^(٤) إِلَّا أَدْخَلَهُ هَذَا الدِّينَ، يُعَزُّ عَزِيْزًا، وَيُذِلُّ ذَلِيلًا، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذِلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ»^(٥).

وَأُورِدَ - أَيْضًا - ^(٦) حَدِيثًا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَسْنَدِهِ عَنْ الْوَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/١٣٦).

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: المرجع السابق.

(٤) «بَيْتُ الْمَدْرِ» أي المبنى، والوَبَرُ؛ أي: خيام الوبر، والمراد بذلك: أهل البوادي والمُذْنِ والقرى. «المؤلف».

(٥) (١/٣٢)، وهو في مسند الإمام أحمد (١٦٩٥٧).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/١٣٦).

بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَتْهُ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، بَعْرٌ عَزِيزٌ، وَبَذَلٌ ذَلِيلٌ، إِمَّا يُعِزُّهُمْ اللَّهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، وَإِمَّا يُذِلُّهُمْ فَيَذْنِبُونَ لَهَا»^(١).

فائدة من خواتيم سورة الحديد

قال الله ﷻ في خواتيم سورة الحديد: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧].

الله تعالى ما فرض عليهم هذه الرهبانية، قال الشوكاني رحمه الله: أي: ما كتبناها نحن عليهم رأساً، ولكن ابتدعوها؛ ابتغاء رضوان الله، فعلموا في العبادة، وحملوا على أنفسهم المشقات؛ في الامتناع من المطعم والمشرب والمنكح، وتعلقوا بالكهوف والصوامع^(٢).

سؤال: فماذا كان نتيجة ذلك؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿فَنَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، حيث حملوا أنفسهم ما لا تطيق - نسأل الله العافية -، فانقلب الحال في كثير منهم إلى ضد ذلك، وهو الفسوق ﴿فَنَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

ثم قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّفُوا اللَّهَ وَءَامَنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

سؤال: هل هذا الخطاب والوعد لأهل الكتاب؟ أم أنه عام يدخل فيه أهل الكتاب والمؤمنون من هذه الأمة؟

الجواب: قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: الظاهر أنه عام، يدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم، وأن الله أمرهم بالإيمان والتقوى الذي يدخل فيه - أي في الإيمان والتقوى - جميع الدين، ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه،

(١) أخرجه أحمد (٢٣٨١٤).

(٢) ينظر: فتح القدير (١٧٨/٥).



وأنهم إن امتثلوا هذا الأمر العظيم: أعطاهم الله ﴿كَفَّالِينَ﴾ - أي نصيبين من الأجر - ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ لا يعلم وصفهما وقدرهما إلا الله تعالى^(١).

وهذا الذي رجحه الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله - من أن الخطاب عام يدخل فيه أهل الكتاب والمؤمنون من هذه الأمة - هو الذي رجحه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»^(٢)، وسيأتي كلامه إن شاء الله.

قوله: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] أي: يعطيكم علماً وهدى ونوراً تمشون به في ظلمات الجهل، ويغفر لكم السيئات^(٣)، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

فرتب الله ﷻ على هذين الأمرين: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ ثلاث ثمرات عظيمة:

١ - ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾.

٢ - ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ نُورًا﴾.

٣ - ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

وقول الله تعالى في آخر هذه السورة: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «فلا يُستَكثَرُ هذا الثواب على فضل ذي الفضل العظيم، الذي عمَّ فضله أهل السماوات والأرض»^(٤).



(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(١٠٠٣).

(٢) ينظر: (٥٥٠/٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص(١٠٠٣).

(٤) المرجع السابق.

فائدةٌ من «أضواء البيان»

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمته الله في تفسيره «أضواء البيان» في تفسير الآية الحادية والثلاثين من سورة الأحزاب، في خطاب الله تبارك وتعالى لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم و:

﴿وَمَنْ يَفْتَنْ مِنْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعَمَلْ صَالِحًا تُوْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣١]، قال الشيخ رحمته الله:

﴿وَمَنْ يَفْتَنْ مِنْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٣١]: «الفتنوت: الطاعة»^(١).

وقوله تعالى: ﴿تُوْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣١]: «ما وعد الله به جلّ وعلا من أطاع منهنّ بإيتائهما أجرهما مرتين في هذه الآية الكريمة، جاء الوعد بنظيره لغيرهنّ في غير هذا الموضع.

فمن ذلك: وعده تعالى لمن آمن من أهل الكتاب بنبيّه ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم بإيتائه أجره مرتين، وذلك في قوله تعالى - في سورة القصص -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِن قَبْلِهِ هُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا بُلِيَ عَلَيْهِمُ فَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ؕ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٤] الآية.

ومن ذلك - أي ممن يؤتون أجرهم مرتين -: وعده تعالى لجميع المطيعين من أمته صلى الله عليه وسلم بإيتائهم كفلين من رحمته تعالى، وذلك في قوله جلّ وعلا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَغَفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٨].

واعلم أنّ ظاهر هذه الآية الكريمة من سورة الحديد الذي لا ينبغي العدول عنه: أنّ الخطاب بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] الآية، عامٌ لجميع الأمة كما ترى، وليس في خصوص مؤمني أهل الكتاب كما في آية القصص المذكورة آنفاً.



وكونه عامًّا هو التحقيق - إن شاء الله -؛ لظاهر القرآن المتبادر الذي لم يصرف عنه صارفٌ؛ لأنَّ المعروفَ عند أهل العلم: أنَّ ظاهر القرآن المتبادر منه لا يجوز العُدُولُ عنه إلاَّ لدليلٍ يجبُ الرجوعُ إليه^(١).



(١) المرجع السابق (٦/ ٢٣٥ - ٢٣٦) باختصار.



القسمُ الثاني

رَقَائِقُ

تمجيدُ الربِّ تعالى (١)

من كلام ابن القيم رحمته الله في «الوابلِ الصَّيْبِ»^(١) في تمجيدِ الربِّ تبارك وتعالى قوله رحمته الله:

«يُعِزُّ وَيُذِلُّ تعالى، وَيُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَيُدَاوِلُ الْأَيَّامَ بَيْنَ النَّاسِ.

والرسلُ من الملائكةِ - عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - بَيْنَ صَاعِدٍ إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ، وَنَازِلٍ مِنْ عِنْدِهِ بِهِ، وَأَمْرُهُ وَسُلْطَانُهُ نَافِذٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَقْطَارِهَا، وَفِي الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهَا وَمَا تَحْتَهَا.

وقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَوَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَحِكْمَةً، وَوَسَّعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، فَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ وَلَا تَشْتَبُهُ عَلَيْهِ؛ بَلْ يَسْمَعُ ضَجِيجَهَا، بِاخْتِلَافِ لُغَاتِهَا، عَلَى تَفَنُّنِ حَاجَاتِهَا، فَلَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، وَلَا تُغْلِظُهُ كَثْرَةُ الْمَسَائِلِ، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِالْحَاجِ الْمُلْحِجِينَ.

وأَحَاطَ بِصُرِّهِ بِجَمِيعِ الْمَرْتَبَاتِ، فِيرَى دَرَجَاتِ النَّمْلَةِ السُّودَاءِ، عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ، فِي اللَّيْلِ الظُّلُمَاءِ، فَالْغَيْبُ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَهُ عِلَانِيَةٌ، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى مِنَ السَّرِّ، فَالسَّرُّ: مَا انْطَوَى عَلَيْهِ ضَمِيرُ الْعَبْدِ وَخَطَرَ بَقْلِهِ وَلَمْ تَتَحَرَّكْ بِهِ شَفَتَاهُ، وَأَخْفَى مِنْهُ - أَيُّ أَخْفَى مِنَ السَّرِّ -: مَا لَمْ يَخْطُرْ بِقَلْبِهِ بَعْدُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَخْطُرُ بِقَلْبِهِ كَذَا وَكَذَا، فِي وَقْتِ كَذَا وَكَذَا.

ولهُ الخلقُ والأمرُ، ولهُ الملكُ ولهُ الحمدُ، ولهُ الدنيا والآخرةُ، ولهُ النعمةُ ولهُ الفضلُ، ولهُ الثناءُ الحسنُ، ولهُ الملكُ كُلُّهُ، ولهُ الحمدُ كُلُّهُ، وبِيدهُ الخيرُ كُلُّهُ، وإِلَيْهِ يَرْجِعُ الأمرُ كُلُّهُ، شملتْ قدرتهُ كُلَّ شيءٍ، وَوَسَّعَتْ رحمتهُ كُلَّ شيءٍ، وَسَعَتْ نعمتهُ إلى كُلِّ حيٍّ، ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

يَغْفِرُ ذُنُوبًا، وَيُفَرِّجُ هَمًّا، وَيَكْشِفُ كَرْبًا، وَيَجْبُرُ كَسِيرًا، وَيُغْنِي فَقِيرًا، وَيُعَلِّمُ جَاهِلًا، وَيَهْدِي ضَالًّا، وَيُرْشِدُ حِيرَانًا، وَيُغِيثُ لَهْفَانًا، وَيَفُكُ عَانِيًا، وَيُشْبِعُ جَائِعًا، وَيَكْسُو عَارِيًا، وَيَشْفِي مَرِيضًا، وَيَعَافِي مَبْتَلًى، وَيَقْبَلُ تَائِبًا، وَيَجْزِي مُحْسِنًا، وَيَنْصُرُ مَظْلُومًا، وَيَقْصِمُ جَبَارًا، وَيُقِيلُ عَثْرَةً، وَيَسْتُرُ عَوْرَةً، وَيُؤَمِّنُ رَوْعَةً، وَيَرْفَعُ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ.

يَمِينُهُ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَعْصُ مَا فِي يَمِينِهِ، ﴿يَعْلَمُ عَلَوًّا كَبِيرًا﴾.



تمجيدُ الربِّ تعالى (٢)

من كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي تَمْجِيدِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إِضَافَةً إِلَى مَا تَقَدَّمَ - قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ:

«قُلُوبُ الْعِبَادِ وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِهِ - سُبْحَانَهُ - ، وَأَزِمَّةُ الْأُمُورِ مَعْقُودَةٌ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ﴾ [الزمر: ٦٧]، يَقْبِضُ سَمَاوَاتِهِ كُلَّهَا بِيَدِهِ، وَالْأَرْضَ بِالْيَدِ الْآخَرَى، ثُمَّ يَهْزُئُ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ...».

لَا يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ، وَلَا حَاجَةٌ يُسَأَلُهَا أَنْ يُعْطِيَهَا.

لَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، وَأَوَّلَ خَلْقِهِ وَآخِرَهُمْ، وَإِنْسَهُمْ وَجَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبٍ رَجُلٍ مِنْهُمْ: مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مَلِكِهِ شَيْئًا.

ولو أَنَّ أَوَّلَ خَلْقِهِ وَآخِرَهُمْ، وَإِنْسَهُمْ وَجَنَّهُمْ كانوا على أَفْجَرِ قَلْبٍ رَجُلٍ منهم: ما نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مَلِكِهِ شَيْئًا.

ولو أَنَّ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، وَإِنْسَهُمْ وَجَنَّهُمْ، وَحَيَّهْم وَمَيِّتَهُمْ، وَرَطْبَهُمْ وَيَابَسَهُمْ قاموا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوهُ فَأَعْطَى كُلًّا مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ: ما نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدَهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

ولو أَنَّ أَشْجَارَ الْأَرْضِ كُلَّهَا مِنْ حِينِ وُجِدَتْ إِلَى أَنْ تَنْقُضِيَ الدُّنْيَا أَقْلَامُ، وَالْبَحْرَ وَرَاءَهُ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ تَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ مِدَادٌ، فَكُتِبَ بِتِلْكَ الْأَقْلَامِ وَذَلِكَ الْمِدَادِ: لَفَيْتِ الْأَقْلَامُ وَنَفَذَ الْمِدَادُ وَلَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ الْخَالِقِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(١).



تمجيدُ الربِّ تعالى (٢)

ذَكَرَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْوَابِلِ الصَّيِّبِ»^(٢) تَمْجِيدًا لِلرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَالظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَالْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. أَحَقُّ مِنْ ذِكْرٍ، وَأَحَقُّ مِنْ عُيْدٍ، وَأَحَقُّ مِنْ حُمْدٍ، وَأَوْلَى مِنْ شُكْرِ، وَأَنْصَرُّ مِنْ ابْتِغْيٍ، وَأَرَأَفُ مِنْ مَلَكٍ، وَأَجْوَدُ مِنْ سُئُلٍ، وَأَعْفَى مِنْ قَدِرٍ، وَأَكْرَمُ مِنْ قَصِدٍ، وَأَعْدَلُ مِنْ انْتِقَمٍ.

هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْفَرْدُ الَّذِي لَا نِدَّ لَهُ، وَالْغَنِيُّ فَلَا ظَهِيرَ لَهُ، وَالصَّمَدُ فَلَا وَلَدَ لَهُ وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَالْعَلِيُّ فَلَا شَيْبَةَ لَهُ وَلَا سَمِيَّ لَهُ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وَكُلُّ مُلْكٍ زَائِلٌ إِلَّا مَلَكُهُ، وَكُلُّ ظِلٍّ قَالِصٌ إِلَّا ظِلُّهُ، وَكُلُّ فَضْلٍ مَنْقُطِعٌ إِلَّا فَضْلُهُ.

(١) الوابل الصيب، ص (١٥٢ - ١٥٣) باختصار.

(٢) ص (١٥٣ - ١٥٤) باختصار.

لَنْ يُطَاعَ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَنْ يُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِهِ وَحُكْمَتِهِ، يُطَاعُ
فَيَشْكُرُ، وَيُعْصَى فَيَتَجَاوَزُ وَيَغْفِرُ، كُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ، وَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ،
أَقْرَبُ شَهِيدٍ، وَأَدْنَى حَفِيزٍ، حَالَ دُونَ النُّفُوسِ، وَأَخَذَ بِالنَّوَاصِي، وَنَسَخَ
الْآثَارَ، وَكَتَبَ الْأَجَالَ، فَالْقُلُوبُ لَهُ مُفْضِيَةٌ، وَالسَّرُّ عَنْدهُ عَلَانِيَةٌ، وَالْغَيْبُ
عَنْدهُ شَهَادَةٌ، عَطَاؤُهُ كَلَامٌ، وَعَذَابُهُ كَلَامٌ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

مِنْ أَخْبَارِ النَّمْلِ وَالنَّحْلِ

هذه أبياتٌ فيها تمجيدٌ للربِّ ﷻ:

الشمسُ والبدْرُ مِنْ أنوارِ حِكْمَتِهِ والبرُّ والبحرُ فَيُضُّ مِنْ عَطَايَاهُ
الطَّيْرُ سَبَّحَهُ وَالْوَحْشُ مَجَّدَهُ والرعدُ كَبَّرَهُ وَالْحَوْتُ نَاجَاهُ
وَالنَّمْلُ تَحْتَ الصَّخْرِ الصُّمُّ قَدَسَهُ والنحلُ يَهْتَفُ حَمْدًا فِي خَلَايَاهُ
وَالنَّاسُ يَعِصُونَهُ جَهْرًا فَيَرْزُقُهُمْ والعبدُ يَنْسِي وَرَبِّي لَيْسَ يَنْسَاهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلُوًّا كَبِيرًا.



مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ

مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ فِي وَصْفِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ - نَسَأُ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَمَا يَقْرُبُ
إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَأَهْلِينَا وَأَحْبَابِنَا وَالْمُسْلِمِينَ -:

قَوْلُهُ ﷺ - فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(١) -: «أَوَّلُ زِمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ
أُمَّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ
إِضَاءَةً، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ».

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٤)، ومسلم (٢٨٣٤).

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضِلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! رَجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(١).

وقال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ الْجَوَادَ الْمُضْمَرَّ السَّرِيعَ مِثْلَ سَنَةِ لَا يَقْطَعُهَا»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٢).

وقال ﷺ: «حُقِّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقِّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(٣).



الشمس تسجد لله

روى البخاري رحمه الله في صحيحه^(٤) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذَنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذَنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، فَيَقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»^(٥).

ورواه مسلم^(٦) وعنده: فقال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٨٧)، مسلم (٢٨٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣١٩٩، ٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩).

(٥) أخرجه البخاري (٣١٩٩، ٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩).

(٦) أخرجه مسلم (١٥٩).



حينَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا»^(١).

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَرَاءُ - حَفَظَهُ اللَّهُ وَوَفَّقَهُ وَبَارَكَ فِيهِ - فِي مَعْنَى سَجُودِ الشَّمْسِ مَا مَعْنَاهُ: دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى مِثْلِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ سَجُودِ الشَّمْسِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨]؛ دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ سَجُودَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ سَجُودٌ حَقِيقِيٌّ، وَلَيْسَ الْمَرَادُ بِسَجُودِهَا مَجْرَدُ كَوْنِهَا خَاضِعَةً لِلَّهِ مُنْقَادَةً، فَإِنَّ الْخُضُوعَ لَهُ وَالانْقِيَادَ حَاصِلٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا، وَلِذَا لَمَّا كَانَ الْمَرَادُ بِالسَّجُودِ هُنَا السَّجُودُ الْحَقِيقِيَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾: يَعْنِي يَسْجُدُونَ لِلَّهِ، ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾: وَهُمْ الَّذِينَ أَبَوْا السَّجُودَ لِلَّهِ.

إِذْنًا؛ سَجُودُ الشَّمْسِ الْمَذْكُورُ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَجُودٌ حَقِيقِيٌّ لَا يَعْلَمُ الْعِبَادُ كَيْفِيَّتَهُ.

وَالْمَخْلُوقَاتُ لَهَا شُعُورٌ بِالْعِبَادِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَهِيَ تُسَبِّحُ وَتُسَجِّدُ وَتُؤَوِّبُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَجِبَالٌ أَوِيٌّ مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠]: يَعْنِي: تُرْجِعُ مَعَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّسْبِيحِ، وَتَخْشَى اللَّهَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].



تَدَبُّرُ آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ

بَعْضُ النَّاسِ - وَرُبَّمَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ - إِذَا قَرَأُوا الْآيَاتِ الْكَثِيرَةَ الْوَارِدَةَ فِي ذِكْرِ السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِيهَا مِنَ التَّذْكِيرِ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَالتَّذْكِيرِ بِنِعْمِهِ؛ فَإِنَّهُمْ

يتبادر لأذهانهم أنَّ ما نشاهدُه فوقنا من زُرْقَةٍ إِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدُ انْعِكَاسِ الْوَانِ؛ فعلى هذه النظرة: يَضَعُفُ فِي النَّفْسِ أَوْ يَضْمَحَلُّ أَثَرُ تِلْكَ الْآيَاتِ الْقِرَائِيَّةِ الْكَثِيرَةِ؛ بِسَبَبِ أَخْذِ تِلْكَ النَّظَرَةِ عَنِ السَّمَاءِ مَا أَخَذَ التَّسْلِيمَ، وَغَفَلُوا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ [ق: ٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَقًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] ونحوهما من الآيات، وَكَذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ الْمُؤَكَّدَةُ لِهَذَا الْمَعْنَى.

إِذْنُ؛ فَلْتَنْتَظُنْ لِهَذَا الْمَزَلَقِ الَّذِي قَدْ يُقَوِّتُ الْمَقْصُودَ الْمَهْمَّ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ: تَدَبُّرُهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِيَذَبَرُوا إِلَيْهِ﴾ [ص: ٢٩].

أَيْضًا: حِينَ يَجْتَهِدُ بَعْضُ النَّاسِ عِنْدَ التَّذْكِيرِ بِعَظَمَةِ هَذَا الْكَوْنِ وَاتِّسَاعِ أَرْجَائِهِ وَعِظَمِ خَلْقِ مَا فِيهِ مِنَ النُّجُومِ وَالْمَجْمُوعَاتِ الشَّمْسِيَّةِ وَالْمَجَرَّاتِ فَقَدْ يَتَكَرَّرُ فِي حَدِيثِهِمْ مَقَارَنَةُ الْأَرْضِ بِهَذِهِ الْأَجْرَامِ، وَأَنَّهَا لَا شَيْءَ عِنْدَهَا؛ بَلْ كَأَنَّهَا هَبَاءٌ، وَقَدْ يُفِيضُونَ وَيَبَالِغُونَ فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْمَعْنَى، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ قَصْدُ صَاحِبِهِ حَسَنًا فَإِنَّهُ بِهَذَا الْأَسْلُوبِ يُلْقِي فِي النَّفُوسِ غَالِبًا - مِنْ حَيْثُ لَمْ يَقْصِدْ قَائِلُهُ - أَثَرًا عَكْسِيًّا؛ بِتَقْلِيلِ مَكَانَةِ الْأَرْضِ فِي هَذَا الْكَوْنِ، وَيُضْعِفُ أَوْ يَصْرِفُ عَنِ الْاعْتِنَاءِ بِتَدَبُّرِ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ الْوَارِدَةِ فِي شَأْنِ الْأَرْضِ، وَيُوقِعُ فِي النَّفْسِ أَنَّ تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ الْأَرْضِ مُخَاطَبٌ بِهَا الْمُتَقَدِّمُونَ الَّذِينَ قَصُرَ عِلْمُهُمْ عَنْ هَذَا الْكَوْنِ، فَظَنُّوا أَنَّ هَذَا الْكَوْنَ قَاعِدَتُهُ الْأَرْضُ، وَسَقَفُهُ السَّمَاءُ فَحَسَبُ.

وَالْقُرْآنُ كِتَابُ اللَّهِ لِلْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، وَاخْتِلَافِ الثَّقَافَاتِ، وَتَفَاوُتِ الْمَعْلُومَاتِ، فَانْظُرْ إِلَى كَثْرَةِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي قُرِنَتْ فِيهَا الْأَرْضُ بِالسَّمَاءِ، فَلَقَدْ ذُكِرَتِ الْأَرْضُ مَقْرُونَةً بِذِكْرِ السَّمَاءِ أَوْ مُفْرَدَةً حِوَالِي أَرْبَعِ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ مَرَّةً؛ مِنْ ذَلِكَ:

قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَيَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاهُ



لِلسَّالِبِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأُنْتِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿فصلت: ٩ - ١٢﴾.

وتلك النظرة - أي: تقليل مكانة الأرض من هذا الكون - كأنها ناشئة من ربط الإعجاز بِكِبَرِ الآيَةِ وَصِغَرِهَا، ولا شك أن هذا وجهٌ من وجوه الإعجاز وبيان عظمة الخالق ﷻ، حيثُ خَلَقَ هذه الأجرام العظيمة؛ لكنَّ الإعجاز لا يقتصرُ على كِبَرِ تلك الآيَةِ، فهذا الإنسان من أعظم آياتِ الله؛ مع أنه من أصغرها؛ كما قيل:

وَتَزَعُمُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ
إِذْ؛ فَلْتَنَحَّرَ الْحِكْمَةُ عِنْدَ تَذْكِيرِ النَّاسِ بِآيَاتِ اللَّهِ فِي الْآفَاقِ، وَلْتَحْذَرْ مِنَ الْإِيغَالِ الَّذِي قَدْ يُفَوِّتُ الْمَقْصُودَ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ.

وختامًا: فأيا ما كان؛ من الموافقة على ما تقدّم أو المخالفة، فالذي لا يُخْتَلَفُ عليه: أهمية تدبّر كلام الله تعالى كُلِّهِ، ومنه: الآيات الواردة في خَلْقِ السماوات والأرض، وهذا من أهم أسباب تحقيق التوحيد وزيادة الإيمان.



متى يورث العلم الخشية

سؤال: كيف يُعَلِّمُ طالبُ العلمِ علماً يورثُ الخشيةَ معَ تحصيلِ العلمِ؟
الجواب: لعلَّ من أسباب ذلك:

السبب الأول: تَرَسُّمُ هَذِي النَّبِيِّ ﷺ مع أصحابه ﷺ في تعليمهم، وتعلُّمهم منه ﷺ؛ في المسجد وغيره، وفي الإقامة والسفر.

السبب الثاني: تَرَسُّمُ هَذِي الصَّحَابَةِ ﷺ في تعليمهم الناس.

وهذان أهم معالم هذا الباب؛ لأنه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان

مُسْتَنَّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَبْرُ هَذِهِ الْأَمَةَ قُلُوبًا، وَأَقْلُهَا تَكْلَفًا»^(١).

سبب ثالث: الاعتدالُ بينَ المبالغةِ في الرزاةِ ووقارِ المجلسِ، وبينَ ضدها.

لعلَّ مَنْ شَوَاهِدِهِ: مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مَرَّةً يَخْطُبُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَدَعَا بِكَرْسِيِّ فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ يَعْلَمُهُ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى خُطْبَتِهِ ﷺ^(٢).

أَيْضًا: قِصَّةُ أَحَدِ السَّلَفِ لَمَّا كَانَ فِي الْحَلْقَةِ وَعِنْدَهُ تَلَامِيذُهُ، فَنَادَتْهُ أُمُّهُ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ: يَا فَلَانُ، أَطْعِمِ الدِّجَاجَ، فَقَامَ وَأَطْعَمَهَا، ثُمَّ عَادَ لِتَلَامِيذِهِ^(٣).

سبب رابع: التَّربِيَةُ وَالتَّعْلِيمُ مِنْ خِلَالِ الْأَحْدَاثِ وَالْمُنَاسَبَاتِ الرَّابِتَةِ وَالْعَارِضَةِ، وَمَا يَحْصُلُ فِي الْحَالِ أَوْ فِي الْمَجْتَمَعِ.

وَلَعَلَّ مَنْ شَوَاهِدِهِ: حَدِيثُ الثَّلَاثَةِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمْ فَنَظَرَ مَكَانًا وَجَلَسَ فِيهِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ فِي آخِرِ الْحَلْقَةِ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَانصَرَفَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٤).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ (١٨١٠).

(٢) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ (٨٧٦) عَنْ أَبِي رِفَاعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَذَرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأَتَانِي بِكَرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمُهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا.

(٣) يَنْظُرُ: الْعَقْدُ الْفَرِيدُ (٩٨/٢)، وَفِيهِ: «وَكَانَ حَيَوُهُ بَنُ شَرِيحٍ يَقْعُدُ لِلنَّاسِ، فَتَقُولُ لَهُ أُمُّهُ: قُمْ يَا حَيَوُهُ أَلْقِ الشَّعِيرَ لِلدِّجَاجِ؛ فَيَقُومُ».

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٦)، وَمُسْلِمٌ (٢١٧٦).



سبب خامس - ولعلّه من أهمّها - : أن يعتني المعلم بنفسه .

قال الذهبي في «تاريخه»^(١) في سيرة محمد بن واسع رحمه الله : «رُوي أن قاصّاً كان قريباً من مجلس محمد بن واسع، فقال^(٢) : مالي أرى القلوب لا تخشع، والعيون لا تدمع، والجلود لا تُقشعر؟! فقال محمد بن واسع : يا فلان! ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك، إن الذّكر إذا خرج من القلب وقّع على القلب» .

السبب السادس : أن يرشد الطالب إلى صفات الشيخ الذي يتلقّى عنه العلم؛ لأنّ أكثر طلبه العلم يقصد من الشيوخ من سهّل الوصول إليه، أو من كان له صيت واشتعار بين الناس، وقد يكون غيره أولى منه .

ذكر الذهبي في «السّير»^(٣) عن أبي العالقة رحمه الله قال : «كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام لأسمع منه، فأنفق صلاته، فإن وجدته يحسنها أقمت عليه، وإن أجده يضيعها رحلت ولم أسمع منه، وقلت : هو لما سواها أضيع» .

سبب سابع : الاعتدال والتوازن في هذا الباب، وألا يُقابل تفريط من فرط وقصر في هذا الشّأن بالإفراط . وكذلك دراسة منهج من كانوا يتحدثون في الحقائق والأحوال وأعمال القلوب، كالحارث المحاسبي، والسري السقطي، والجنيدي، ونحوهم - رحمه الله عليهم -، ممّن كان على منهج حسن؛ كيف آل الأمر بأناس بعدهم ووقعوا في الشطحات؛ بل أوغل بعضهم في الانحرافات .



(١) ص (٣/٥٣٠) .

(٢) أي : القاص، والمراد به : الواعظ . «المؤلف» .

(٣) ص (٤/٢٠٩) .

من مناقب الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ

قال الشيخ محمد الحمد - حفظه الله -؛ رواية عن الشيخ محمد الموسى رَحِمَهُ اللهُ؛ كاتب الشيخ ابن باز، يقول: «كان الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ شديد التعظيم للسنة، مطبقاً لها في شئ أحواله»^(١).

ثم ذكر أمثلة؛ منها: حرصه على متابعة المؤذن، والدعاء بما ورد بعد الأذان، بل كان يقطع الحديث إذا كان يتحدث، ويقول لمن يحدثه أو يهاثفه: يؤذن؛ ليفهم محدثه أنه يريد أن يجيب المؤذن؛ بل إنه إذا أراد دخول الخلاء وسمع المؤذن وقف ليتابع المؤذن، وإذا انتهى من متابعته ومن الأذكار الواردة دخل.

ومن صور تعظيمه للسنة: كثرة الذكر، فلا يكاد لسانه يفتّر من ذكر الله رَحِمَهُ اللهُ.

ومنها: أنه يبدأ بالسلام على من يعرف ومن لا يعرف.

ومن صور تقيده بالسنة وحرصه عليها: أنه كان رَحِمَهُ اللهُ إذا قابل أحداً أو قابله أحد اكتفى بالمصافحة؛ إلا إذا قدم من سفر، ويقول الشيخ: قال أنس رَحِمَهُ اللهُ: كان أصحاب رسول الله رَحِمَهُ اللهُ إذا تلاقوا تصافحوا، فإذا قدموا من سفر تعانقوا^(٢).

يقول الشيخ محمد موسى: وقد رأيت شخصاً سلم على الشيخ وعانقه، وهو لم يقدم من سفر، فقال الشيخ: السنة المصافحة، فقال: أنا أحبك يا شيخ، فقال: السنة مقدمة على حبك.

ومن صور حرصه على السنة: أنه كان يحسّر عن رأسه إذا نزل المطر، ويدعو بالدعاء المأثور.

ومنها: تقصّد الوتر في كل شيء، يقول الشيخ محمد موسى: وكثيراً

(١) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، ص (٤٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٩٧).

ما كَانَ يَسْأَلُنِي إِذَا كَانَ يَأْكُلُ تَمْرًا، فيَقُولُ: كَمْ أَكَلْتُ؟ فَإِذَا عَدَدْتُ لَهُ النَّوَى فَكَانَ شَفْعًا؛ زَادَ لِيَكُونَ وَتَرًّا.

ومنها: حَمْدُ اللَّهِ بَعْدَ الْعَطَاسِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ إِذَا حَمِدَ اللَّهَ، وَتَرَكُ التَّشْمِيتِ إِذَا لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ. وَأَذْكُرُ أَنَّ شَخْصًا عَطَسَ فَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَبَادَرَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ إِلَى تَشْمِيتِهِ، فَقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَلْ حَمِدَ اللَّهَ حَتَّى تُشَمِّتُوهُ؟! انْتَهَى مُخْتَصَرًا^(١).

وَأَنَا أَقُولُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: لَعَلَّ هَذَا مِنْ أَسْرَارِ مَحَبَّةِ النَّاسِ لِلشَّيْخِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

مَتَابَعَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَالْحَرَصُ عَلَى سُنَّتِهِ هَذَا سَبَبٌ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ، وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ - نَسَأَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ - حَبَبَهُ إِلَى خَلْقِهِ، وَوَضَعَ لَهُ الْقَبُولَ فِي الْأَرْضِ^(٢).



قصيدة مؤثرة

هذه أبياتٌ جميلةٌ في التوسلِ إلى الرَّبِّ ﷻ^(٣):

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضُّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٢ - ٤٤).

(٢) روى البخاريُّ في صحيحه (٣٢٠٩)، ومسلمٌ (٢٦٣٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ».

(٣) هذه الأبيات لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، صاحب «الروض الأنف»، وقد ذكر ذلك عدد ممن ترجموا له رَحِمَهُمُ اللَّهُ، ينظر: الوافي بالوفيات (١٨/١٠٠)، البداية والنهاية (١٦/٥٧٥).

يَا مَنْ يُرَجِّى فِي الشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ «كُن»
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ «كُن» مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ حَاشَا لِحُجُودِكَ أَنْ تُقْنِطَ عَاصِيًا
حَاشَا لِحُجُودِكَ أَنْ تُقْنِطَ عَاصِيًا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْرَعُ
يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْرَعُ أَمُنْ فَإِنَّ الْحَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
أَمُنْ فَإِنَّ الْحَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ فَبِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
فَبِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ فَلَيْنَ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَفْرَعُ
فَلَيْنَ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَفْرَعُ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ
إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ



أبيات أخرى^(١):

يَا رَبِّ إِنْ عَظَمْتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا
أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ
فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
إِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ وَجَمِيلُ عَفْوَكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمٌ
وَجَمِيلُ عَفْوَكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمٌ



مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى: «الْمَحِيطُ»

مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى: الْمَحِيطُ ﷻ، وَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ثَمَانِي
مَرَاتٍ؛ مِنْ ذَلِكَ:

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤] هَذِهِ خَاتَمَةُ آخِرِ آيَةٍ فِي
سُورَةِ فَصَّلَتْ.

(١) هذه الأبيات لأبي نواس، ولها قصة مذكورة في تاريخ بغداد (٨/ ٤٧٥)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/ ٤٦١).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦] هذا في سورة النساء.

فإنَّ الله ﷻ هو المحيط بكلِّ شيءٍ علماً، وقدرةً، ورحمةً، وقهراً.
ومن آثار الإيمان باسم الله ﷻ المحيط - كما في كتاب «الله الأسماء الحُسنى»^(١) -:

أنَّ الإيمانَ بإحاطةِ قدرتهِ سبحانه وقهره لكلِّ شيءٍ ثمرٌ في القلبِ تهوينُ قوةَ المخلوقِ من الأعداءِ الكُفْرَةِ والمنافقينَ والذينَ في قلوبِهِم مرضٌ، بَعْدَ الأخذِ بأسبابِ المدافعةِ لشرِّهم؛ لأنَّ الله ﷻ محيطٌ بهم، وقاهرٌ لهم، وإذا حصلَ من المؤمنينَ التقوى والصبرُ فلنَ يضرَّهُم كيدُ الكائدينَ؛ لأنَّ الله ﷻ بما يعملونَ ويكيدونَ محيطٌ، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ نَصِرْكُمْ وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].



اقرأها ثُمَّ أعدْ قراءتها

قولُ النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ - يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ - مِئَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ طَبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فِيهَا تَعِطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»، رواه البخاريُّ ومسلمٌ، واللفظُ لمسلمٍ^(٢).
قال العلامةُ ابنُ القيمِ رحمه الله: «لو تأملتَ العالمَ بعينِ البصيرةِ: لرأيتُهُ ممتلئاً بهذه الرحمةِ الواحدةِ، كامتلاءِ البحرِ بمائه، والجوِّ بهوائِهِ»^(٣).



(١) ينظر: ص (٥٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٣).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ص (٣٧١).

دَعْوَةٌ لِلتَّأَمُّلِ: اسْمُ اللَّهِ «الرَّحْمَنُ»

إِنَّ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى «الرَّحْمَنُ» تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ (٥٧) مَرَّةً. أَكْثَرُ مِنْ رُبْعِ هَذَا الْعَدَدِ جَاءَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ، حَيْثُ تَكَرَّرَ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ «الرَّحْمَنُ» (١٦) مَرَّةً؛ مَعَ أَنَّ السُّورَةَ لَيْسَتْ مِنْ طَوَالِ السُّورِ.

وَهَذَا أَمْرٌ جَدِيرٌ بِالتَّأَمُّلِ.

ثُمَّ إِنَّ نِصْفَ هَذَا الْعَدَدِ - أَيْ ثَمَانِيَةَ مَوَاضِعَ مِنَ السُّورَةِ عَشَرَ مَوَاضِعًا - فِي خَوَاتِيمِهَا، مِنَ الْآيَةِ الثَّامِنَةِ وَالسَّبْعِينَ، إِلَى السَّادِسَةِ وَالتَّسْعِينَ^(١).

عَلَى أَيْ حَالٍ.. فَهِيَ دَعْوَةٌ لِلتَّأَمُّلِ وَمَحَاوَلَةِ مَعْرِفَةِ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِنَذَرُكَ أَإِنَّتَهُ وَلِتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].



مِنْ فَوَائِدِ تَدَبُّرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى

بَيْنَ يَدَيَّ كِتَابُ «الْقَوْلِ السَّيِّدِ فِي مَقَاصِدِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ، وَهُوَ تَعْلِيقَاتٌ عَلَى «كِتَابِ التَّوْحِيدِ» لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ جَمِيعًا.

وَفِي بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ ﷺ:

«أَصْلُ التَّوْحِيدِ: إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَمَعْرِفَةُ مَا اخْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي الْجَلِيلَةِ، وَالْمَعَارِفِ الْجَمِيلَةِ، وَالتَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِهَا، وَدَعَاؤُهُ بِهَا.

فَكُلُّ مَطْلَبٍ يَطْلُبُهُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ مِنْ أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ فَلْيَتَوَسَّلْ إِلَيْهِ بِاسْمِ

(١) وَأَيْضًا فَقَدْ اسْتُفْتُحَتْ سُورَةُ مَرْيَمَ بِلَفْظِ الرَّحْمَةِ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ. «المؤلف».



مناسبٍ له من أسماءِ الله الحُسنى، فَمَنْ دعا بحصولِ الرزقِ فليَسألهُ باسمِهِ الرزاقِ، ولحصولِ رحمةٍ ومغفرةٍ فباسمِهِ الرَّحيمِ، الرحمنِ، البرِّ، الكريمِ، العَفُو، الغفورِ، التوابِ، ونحوِ ذلك.

وأفضلُ من ذلك: أنْ يَدْعُوهُ بأسمائِهِ وصفاتِهِ دعاءَ العبادةِ، وذلك باستحضارِ معاني الأسماءِ الحُسنى، وتحصيلِها في القلوبِ حتى تتأثرَ القلوبُ بآثارِها ومقتضياتِها، وتمتلئَ بأجلِّ المعارفِ، فمثلاً: أسماءُ العَظَمَةِ والكبرياءِ والمجدِ والجلالِ والهيبةِ: تَمَلُّ القلوبُ تعظيمًا لله وإجلالًا له. وأسماءُ الجمالِ والبرِّ والإحسانِ والرحمةِ والجودِ: تَمَلُّ القلبَ محبةً لله وشوقًا له وحمدًا له وشكرًا. وأسماءُ العِزِّ والحكمةِ والعِلمِ والقدرةِ: تَمَلُّ القلبَ خضوعًا لله وخشوعًا وانكسارًا بينَ يديه. وأسماءُ العِلمِ والخبرةِ والإحاطةِ والمراقبةِ والمشاهدةِ: تَمَلُّ القلبَ مراقبةً لله في الحركاتِ والسَّكَنَاتِ وَحِرَاسَةً لِلْخَوَاطِرِ عن الأفكارِ الرديئةِ والإراداتِ الفاسدةِ. وأسماءُ الغنى واللفظِ: تَمَلُّ القلبَ افتقارًا واضطرارًا إليه والتَفَاتًا إليه كُلَّ وقتٍ في كُلِّ حالٍ.

فهذه المعارفُ التي تحصلُ للقلوبِ بسببِ معرفةِ العبدِ بأسمائِهِ تعالى وصفاتِهِ، وتَعَبُّدُهُ بها لله: لا يُحْصَلُ العبدُ في الدنيا أَجَلٌ ولا أَفضلَ ولا أَكَمَلَ منها، وهي أَفضلُ العطايا من الله لعبده، وهي رُوحُ التوحيدِ ورُوحُهُ، ومن انفتحَ له هذا البابُ انفتحَ له بابُ التوحيدِ الخالصِ والإيمانِ الكاملِ الذي لا يَحْصُلُ إلا للكَمَلِ من الموحدين، وإثباتُ الأسماءِ والصفاتِ هو الأصلُ لهذا المطلبِ الأعلى^(١)، إلى آخِرِ ما ذَكَرَ ﷻ.



(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (١٦١ - ١٦٣).

مَنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى: «المَقْدَمُ وَالْمُؤَخَّرُ»

مَنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى: «المَقْدَمُ وَالْمُؤَخَّرُ»، وقد جاءَ هَذَا فِي الْأَسْمَانِ فِي السُّنَّةِ فِي أَحَدِ أَدْعِيَةِ الْإِسْتِفْتَاكِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١).

كَمَا جَاءَ فِي صِفَةِ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢).

جَاءَ فِي كِتَابِ «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»^(٣) قَوْلُ الْمُؤَلِّفِ - حَفَظَهُ اللَّهُ وَوَفَّقَهُ -: «قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْمَقْدَمُ هُوَ الْمَنْزِلُ لِلْأَشْيَاءِ مَنَازِلَهَا، يُقَدَّمُ مَا شَاءَ مِنْهَا، وَيُؤَخَّرُ مَا شَاءَ، قَدَّمَ مَنْ أَحَبَّ مِنْ أَوْلِيَائِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ عِبِيدِهِ، وَرَفَعَ الْخَلْقَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، وَقَدَّمَ مَنْ شَاءَ بِالتَّوْفِيقِ إِلَى مَقَامَاتِ السَّابِقِينَ، وَأَخَّرَ مَنْ شَاءَ، وَأَخَّرَ الشَّيْءَ عَنْ حِينٍ تَوَقَّعَهُ لَعَلِمَهُ بِمَا فِي عَوَاقِبِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ، لَا مَقْدَمَ لِمَا أَخَّرَ، وَلَا مُؤَخَّرَ لِمَا قَدَّمَ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ أَحْسَنُ مِنَ التَّفْرِقَةِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْمَقْدَمُ وَالْمُؤَخَّرُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْمُرْدَوَجَةُ الْمُتَقَابِلَةُ الَّتِي لَا يُطْلَقُ وَاحِدٌ بِمُفْرَدِهِ عَلَى اللَّهِ إِلَّا مَقْرُونًا بِالْآخِرِ، فَإِنَّ الْكَمَالَ فِي اجْتِمَاعِهِمَا، فَهُوَ تَعَالَى الْمَقْدَمُ لِمَنْ شَاءَ، وَالْمُؤَخَّرُ لِمَنْ شَاءَ بِحُكْمَتِهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١١٢٠)، وَمُسْلِمٌ (٧٦٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ...»، وَفِيهِ: «أَنْتَ الْمَقْدَمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، وَلَيْسَ فِي لَفْظِ مُسْلِمٍ: «أَنْتَ الْمَقْدَمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ».

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٧٧١).

(٣) ص (٦٠٧) بِإِخْتِصَارٍ، وَيَنْظُرُ: كِتَابُ شَأْنِ الدُّعَاءِ، لِلْخَطَّابِيِّ (١/٨٦ - ٨٧)، وَكِتَابُ الْحَقِّ الْوَاضِحِ الْمُبِينِ فِي شَرْحِ تَوْحِيدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، لِلْسَّعْدِيِّ، ص (١٠٠).



وهذا التقديم يكون كونياً؛ كتقديم بعض المخلوقات على بعض، وتأخير بعضها على بعض، ويكون شرعياً؛ كما فضّل الأنبياء على الخلق، وفضّل بعضهم على بعض، وفضّل بعض عباده على بعض، وقدمهم في العلم والإيمان والعمل والأخلاق وسائر الأوصاف، وأخر من آخر منهم، وكلّ هذا تبع لحكمته، انتهى كلامه.

ثم ذكر المؤلف - وفقه الله - ^(١) في آثار الإيمان بهذين الاسمين: «أن الإيمان بأنه - سبحانه - المقدم والمؤخر يثمر في قلب المؤمن التعلق بالله وحده، والتوكل عليه - سبحانه -، فمهما حاول البشر تقديم شيء لم يرد الله تقديمه، أو تأخير أمر لم يرد الله تعالى تأخيره: فلن يستطيعوا، وهذا يخلص القلب من الخوف من المخلوق أو رجائه؛ لأنه لا يملك تقديم شيء أو تأخيره إلا بإذن الله تعالى وحده»، انتهى.

أيضاً: يضيفي على القلب الرضا بالقضاء، كما إذا اجتهد وسعى في تقديم كذا، وتأخير كذا، فلم يحصل المقصود؛ فإنه يسلم بأن الله هو المقدم والمؤخر بحكمته.

وأيضاً: لو حاول شخص أو أكثر تحسين صورة شخص أو أشخاص وإضفاء صفات الكمال والمدح عليهم وأن يعجب الناس بهم ويتعلقوا بهم، والله تعالى لم يرد هذا: لم يتمكّنوا؛ مهما تحمّسوا وبذلوا من أسباب.

والعكس: لو أراد شخص أو أكثر تشويه صورة أحد، والله تعالى لم يرد ذلك: فلن يتمكّنوا من مرادهم.

ومما يتفرع عن هذا: أن بعض الناس إذا وقع عليه مظلمة يقول: «أنا ما عندي مانع من العفو؛ لكن فلاناً شؤه سمعتي، فأريد أن أدفع عن نفسي»، لا يمنعه من العفو والمسامحة إلا هذا.

(١) ينظر كتاب: «الله الأسماء الحسنى» ص (٦٠٩).

فيقال: لا يكن هذا حاملاً لك على طلب العقوبة والتسفي، ولا يمنحك هذا من العفو، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، فالذي يلقي الحمد في قلب من شاء لمن شاء هو الله وحده - سبحانه -، فهو المقدم المؤخر. ثم ذكر المؤلف حفظه الله^(١) من آثار الإيمان بأن الله تعالى المقدم المؤخر: «أنَّ التَّقدُّمَ الحقيقيَّ النافع هو التَّقدُّمُ إلى طاعة الله ﷻ وجنته ومرضاته، والتأخر عن ذلك هو التأخر الحقيقي المدموم، أمَّا التَّقدُّمُ في الدنيا والتأخر عنها فليس بمقياس للتقدم والتأخر؛ ولذا ينبغي للعبد أن يتوسَّلَ إلى ربِّه - سبحانه - بهذين الاسمين الكريمين لِنَيْلِ التَّقدُّمِ الحقيقيِّ عنده - سبحانه -، وتَرْكُ كُلِّ ما يؤخر عن جنته ومرضاته.

يقول ابن القيم رحمه الله: فالعبد سائر لا واقف، فإمَّا إلى فوق، وإمَّا إلى أسفل، وإمَّا إلى أمام، وإمَّا إلى وراء، وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف البتة، ما هو إلا مراحل تُطَوَّى أسرعَ طَيٍّ إلى الجنة أو النار، ﴿لَنْ شَأَ مِنْكَ أَنْ يَتَّقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدر: ٣٧]، ولم يذكر تعالى واقفا؛ إذ لا منزل بين الجنة والنار، فمن لم يتقدَّم إلى هذه بالأعمال الصالحة فهو متأخر إلى تلك بالأعمال السيئة»، انتهى كلام ابن القيم رحمه الله^(٢).

ثم ذكر المؤلف - حفظه الله -^(٣) من آثار الإيمان بأنه - سبحانه - المقدم المؤخر: «الإيمان بحكمته - سبحانه - البالغة في تقديم ما قدَّم، وتأخير ما أخر، ومن ذلك: تقديم الآجال وتأخيرها، وتقديم عقوبة أقوام وتأخير آخرين. وكذلك فيما يحصل للمؤمن من تقديم أمر لا يُحِبُّ تقديمه، أو تأخير أمر يكره تأخيرُه، فيرضى المؤمن ويُسلِّمُ ويعتقد بأنَّ الخيرة فيما اختاره الله له». ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين: «تقديم من قدَّمه الله ﷻ، وتأخير من

(١) المرجع السابق.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢٧٨/١) باختصار.

(٣) «ولله الأسماء الحسنى» ص (٦١٠) باختصار وتصرف يسير.



أَخْرَهُ - سبحانه - ، وذلك بأن يكون ميزان التقديم والتأخير ، والحب والبغض ، والولاء والبراء ، هو ميزان الله ﷻ في ذلك كُلِّهِ ؛ لا كما يَزِنُ به أكثرُ الناسِ اليومَ ، حيثُ يُقدِّمونَ أهلَ الجاهِ والمالِ والرئاساتِ وغيرها على أهلِ الدينِ والتقوى^(١).

يقولُ الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ [البقرة : ٢١٢].



سلامة القلب

روى الإمامُ أحمدُ ﷺ في مسنده^(٢) بسندٍ قالَ عنه محققو «المسند» : إسناده صحيحٌ على شرطِ الشيخين : عن أنسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ : إِنِّي لَأَحِبُّ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتُ . قَالَ نَعَمْ . قَالَ أَنَسٌ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ : أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَى وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ ﷻ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا . فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَخْتَقِرَ عَمَلُهُ ، قُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ نَمَّ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) المرجع السابق ، ص (٦١٠ - ٦١١) باختصار .

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦٣٣) ، وأحمد في المسند (١٢٦٩٧) ، واللفظ له .

يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَتْ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِي بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ؛ غَيْرَ أَنِّي لَا أَحْدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ.



مَنْ لَطَفَ اللَّهُ بِعِبَادِهِ

هذه فائدة من كلام الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله، يقول:

العبدُ قد تنزلُ به النازلةُ، فيكونُ مقصوده - من الدعاء - طلبَ حاجته، وتفريجَ كرباته، فيسعى في ذلك بالسؤالِ والتضرع، ثم يكونُ في أوَّلِ الأمرِ قصده حصولَ ذلك المطلوبِ: من الرزقِ أو النصرِ أو العافية، ثم إن ذلك الدعاء والتضرعَ يفتحُ له من أبوابِ الإيمانِ بالله ﷻ ومعرفته ومحبته والتَّعَمُّمِ بذكره ودعائه - ما يكونُ أحبَّ إليه وأعظمَ قدرًا عنده من تلك الحاجة التي أهتمَّته، وهذا من رحمة الله بعباده؛ أنه يسوقهم بالحاجاتِ الدنيويةِ إلى المقاصدِ العليةِ الدنيويةِ^(١).



مَنْ أَلْطَافَ اللَّهُ

قال ابن مفلح رحمه الله في «الآدابِ الشرعية»^(٢): «سُئِلَ الشَّيْخُ: تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله: مَا السَّبَبُ فِي أَنَّ الْفَرْجَ يَأْتِي عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ بِالْخَلْقِ؟ وَمَا الْحِيلَةُ فِي صَرْفِ الْقَلْبِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِهِمْ، وَتَعَلُّقِهِ بِاللَّهِ ﷻ؟

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/٣١٢).

(٢) ص (١/١٤٠) باختصار.



فَأَجَابَ ﷺ: سَبَبُ هَذَا تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ؛ تَوْحِيدَ الرَّبُّوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ، فَالرَّاجِي مَخْلُوقًا طَالِبٌ بِقَلْبِهِ حَاجَتَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ، وَذَلِكَ الْمَخْلُوقُ عَاجِزٌ عَنْهَا، ثُمَّ هَذَا مِنَ الشَّرِكِ، فَمَنْ كَمَالَ نِعْمَتُهُ تَعَالَى وَإِحْسَانِهِ إِلَى عِبَادِهِ أَنْ يَمْنَعَ تَحْصِيلَ مَطَالِبِهِم بِالشَّرِكِ حَتَّى يَصْرِفَ قُلُوبَهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ.

فَمَنْ تَمَامَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: أَنْ يُنْزَلَ بِهِمْ مِنَ الشَّدَةِ وَالضَّرْرِ مَا يُلْجِئُهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ، فَيَدْعُوهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَيَرْجُوهُ لَا يَرْجُونَ سِوَاهُ، وَتَتَعَلَّقَ قُلُوبُهُمْ بِهِ لَا بَغِيرَهُ، فَيَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ وَذَوْقِ طَعْمِهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشَّرِكِ - مَا هُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ مِنْ زَوَالِ الْمَرَضِ وَالْخَوْفِ وَالْجَذْبِ أَوْ حَصُولِ الْيُسْرِ أَوْ زَوَالِ الْعُسْرِ فِي الْمَعِيشَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَذَّةٌ بَدْنِيَّةٌ وَنِعْمَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، قَدْ يَحْصُلُ مِنْهَا لِلْكَافِرِ أَعْظَمُ مِمَّا يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِ. وَأَمَّا مَا يَحْصُلُ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ الْمَخْلَصِينَ لِلَّهِ الدِّينَ فَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُعْبَرَ عَنْهُ بِمَقَالٍ، أَوْ يَسْتَحْضَرَ تَفْصِيلَهُ بَالًا، وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ نَصِيبٌ بِقَدْرِ إِيْمَانِهِ.



سَبْحَانَ مَنْ يَسُوقُ مَا يَشَاءُ إِلَى مَنْ يَشَاءُ

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشَّهَدَاءِ أَشْهَدُهُمْ. فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. قَالَ: فَائْتِنِي بِالْكَفِيلِ. قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجْلِ مَسْمًى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَّمَسَّ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ؛ لِلْأَجْلِ الَّذِي أَجَلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ رَجَعَ مَوْضِعَهَا^(٢)، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ:

(١) أخرجه البخاري (٢٢٩١).

(٢) قال في فتح الباري (٤/٤٧١): «قوله: «ثم رَجَعَ مَوْضِعَهَا» قال الخطابي: أي سَوَى =

اللهمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسْلَفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَضَرَضِي بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، وَإِنِّي أَتَوَدَّعُكُمَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشْبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لَأَتِيكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ. قَالَ: هَلْ بَعَثْتُ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتُ فِي الْخَشْبَةِ، فَانْصَرَفَ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ رَاشِدًا.

❖ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ:

أولاً: التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِإِحْسَانِهِ، وَشُكْرُهُ لِلْمُحْسِنِينَ، فَقَدْ كَانَ فِي دَعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسْلَفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَضَرَضِي بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. فَضَرَضِي بِكَ»؛ يَعْنِي: كَمَا أَنَّ هَذَا قَدْ أَحْسَنَ، فَيَا رَبَّ أَحْسَنَ إِلَيْهِ.

ثانيًا: التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: «وَأَنِّي جَهَّدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ، فَلَمْ أَقْدِرْ».

= مَوْضِعَ النَّقْرِ وَأَصْلَحَهُ، وَهُوَ مِنْ تَرْجِيحِ الْحَوَاجِبِ، وَهُوَ حَذْفُ زَوَائِدِ الشَّعْرِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُودًا مِنْ «الرُّجْجِ»، وَهُوَ النَّصْلُ، كَأَنْ يَكُونَ النَّقْرُ فِي طَرَفِ الْخَشْبَةِ، فَشَدَّ عَلَيْهِ رُجًا لِيَمْسِكَهُ وَيَحْفَظَ مَا فِيهِ. وَقَالَ عِيَاضٌ: مَعْنَاهَا سَمَرَهَا بِسَامِيرِ كَالرُّجْجِ، أَوْ حَسَى شَقِيقَ لَصَاقِهَا بِشَيْءٍ وَرَقَعَهُ بِالرُّجْجِ. وَقَالَ ابْنُ التِّينِ: مَعْنَاهُ أَصْلَحَ مَوْضِعَ النَّقْرِ.



ثالثاً: صدقُ التوكلِ على الله ﷻ، وأنَّ مَنْ صدَقَ اللهَ صدَقَهُ اللهُ، ولهذا يقولُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: في الحديثِ فضيلةُ التوكلِ، وأنَّ مَنْ صَحَّ تَوَكُّلُهُ تَكَفَّلَ اللهُ بنصرِهِ وَعَوْنِهِ^(١).



(١) ينظر: فتح الباري (٤/٤٧٢).



القسم الثالث

مواسم الطاعات

فضل الله على عباده بتوالي مواسم الخيرات

إن الله ﷻ هو أكرم الأكرمين، وهو الوهاب، وهو الواسع، ذو الفضل العظيم، فمن كرمه وجوده وبرّه وإحسانه وفضله: أنه يجزي على الحسنه بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

ومن كرمه وجوده وسعة فضله: أنه يرزق من يشاء بغير حساب.

ومن كرمه وجوده ورحمته بعباده: أنه يدعّوهم إلى أن يسألوه ويدعّوه، فيجيب من عباده أن يدعّوه وأن يعظموا طلباتهم، وأن يؤمّلوا في فضله؛ ولو عظم.

ثم إن جود الربّ - سبحانه - وكرمه يضاعف في بعض المواسم، وهذه المواسم لا يكاد ينقضي موسم فاضل إلا أعقبه موسم آخر.

فنحن الآن في أواخر شهر ذي الحجة، اليوم هو الرابع والعشرون^(١)، فلنستعرض أواخر ما مرّ بنا من المواسم الفاضلة:

قبل ستة أشهر كان شهر رجب، فلما انقضى شهر رجب - وهو أحد الأشهر الحرم - أعقبه شهر شعبان، وكان النبي ﷺ يصوم من شعبان ما لا يصوم من غيره من الشهور، كما في الصحيحين^(٢).

(١) ألقى الشيخ رحمه الله هذه الكلمة في الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٤٣٩ هـ.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (١١٥٦) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ».



ولما انقضى شعبان هلَّ رمضان، وشأنه وفضله أشهر من أن يُذكر.

ولما انقضى رمضان بدأت أشهر الحج التي قال الله تعالى فيها: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وأولها شوال، وفي شوال يستحبُّ صيامُ ستة أيامٍ منه، وجُعِلَ ذلك كمن صامَ الدهرَ.

ولما انقضى شوال هلَّ ذو القعدة، وهو أولُ الأشهرِ الحُرُمِ الثلاثة المتواليَةِ، وكانت عُمُرُ النبي ﷺ الأربع بعد الهجرة كُلُّها في ذي القعدة.

ثم هلَّ ذو الحجة، وفيه عَشْرُهُ التي ورد فيها التَّغْيِيبُ العَظِيمُ، وبعدها أيامُ التَّشْرِيقِ المُنَوَّه عليها في كتابِ الله.

وبعد ذي الحجة شهرُ الله المَحَرَّمُ، وهو مع كونه من الأشهرِ الحُرُمِ؛ فيه عاشوراءُ الذي قال النبي ﷺ عن صيامِهِ: «أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التي قبلَهُ»^(١)، وصيامُ سائرِ أيامِ المَحَرَّمِ له مزيةٌ، فقد روى مسلمٌ في صحيحِهِ عن النبي ﷺ أنه قال: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الَّذِي تَدْعُوهُ المَحَرَّمُ»^(٢).

وهكذا، فالحمدُ لله على واسعِ فضله.



صِيَامُ المَحَرَّمِ (١)

هذه مقتطفاتٌ ممَّا ذَكَرَ الحافظُ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «لَطَائِفِ المَعَارِفِ»^(٣) فِي وَظَائِفِ شَهْرِ اللَّهِ المَحَرَّمِ، قَالَ:

«يَشْتَمِلُ عَلَى مَجَالِسَ:

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٣).

(٣) ص (٨٥).

❖ المجلس الأول: في فضل شهر الله المحرم.

خَرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الَّذِي تَدْعُونَهُ الْمُحَرَّمَ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ قِيَامُ اللَّيْلِ».

ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ الْمُقَارَنَةَ بَيْنَ صُومِ الْمُحَرَّمِ أَوْ شَعْبَانَ؛ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ^(١)، ثُمَّ قَالَ:

«وهذا الحديث صريح في أن أفضل ما تُطَوَّعَ بِهِ مِنَ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ صُومُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَقَدْ سَمَى النَّبِيُّ ﷺ الْمُحَرَّمَ: شَهْرَ اللَّهِ، وَإِضَافَتُهُ إِلَى اللَّهِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِهِ وَفَضْلِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُضِيفُ إِلَيْهِ إِلَّا خَوَاصَّ مَخْلُوقَاتِهِ^(٢)، وَلَمَّا كَانَ الصَّيَامُ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ مُضَافًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى^(٣) نَاسَبَ أَنْ يَخْتَصَّ هَذَا الشَّهْرُ الْمُضَافُ إِلَى اللَّهِ بِالْعَمَلِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ - سَبْحَانَهُ - وَهُوَ الصَّيَامُ^(٤)».



صِيَامُ الْمُحَرَّمِ (٢)

مِمَّا ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وَظَائِفِ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ - لَمَّا ذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ»^(٥) - قَالَ:

«الصَّيَامُ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَلِهَذَا يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «كُلُّ

(١) ينظر: لطائف المعارف، ص (٣٠٧).

(٢) مثل: «نَاقَةُ اللَّهِ» [الشمس: ١٣]، «وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ» [الجن: ١٩]، كلمة الله: عيسى ﷺ. «المؤلف».

(٣) كما في قول الله تعالى في الحديث القدسي: «الصَّوْمُ لِي». «المؤلف».

(٤) المرجع السابق، ص (٨٥، ٩٠ - ٩١) باختصار.

(٥) أخرجه مسلم (١١٦٣).



عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ؛ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي^(١) وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، إِنَّهُ تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي»، وراهُ الشيخان.

وفي الجنة بابٌ يُقالُ لَهُ الرِّيَّانُ، لا يدخلُ منه إلا الصائمونَ، فإذا دخلُوا أُغْلِقَ فلم يدخلُ منه غيرُهُم، وهو جَنَّةٌ للعبدِ من النارِ^(٢)، كَجَنَّةِ أَحَدِكُمْ من القتالِ.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقالَ تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، قالَ مجاهدٌ رحمته الله وغيرُهُ: نَزَلْتُ فِي الصَّوْمِ.

وفي «المسندِ» عن النبي ﷺ قالَ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجْهِ اللهِ تعالى بَعَدَهُ اللهُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ كَبَعْدِ غُرَابٍ طَارَ وَهُوَ فَرُخٌ حَتَّى مَاتَ هَرِمًا».

وفي «المسندِ» أيضًا: أَنَّ أبا أَمَامَةَ رضي الله عنه قالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ».

فكانَ أبو أَمَامَةَ رضي الله عنه وأهلُهُ يصومونَ، فإذا رُؤِيَ في بيَتِهِمْ دُخَانٌ بِالنَّهَارِ عُلِمَ أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ^(٣)، يعني وإلا فَهُمُ فِي نَهَارِهِمْ صَائِمُونَ ﷺ.



صِيَامُ الْمُحَرَّمِ (٢)

مِمَّا ذَكَرَ ابْنُ رَجَبٍ رحمته الله فِي فُضَائِلِ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ وَتَعْلِيْقًا عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّيَّامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الَّذِي تَدْعُوهُ الْمُحَرَّمُ»^(٤)، قالَ:

(١) فِي هَذَا إِشَادَةٌ بِالْعُزَّةِ بِشَأْنِ الصَّوْمِ، وَتَرْغِيبٌ عَظِيمٌ فِيهِ، فَقَدْ خَصَّهُ اللهُ لِنَفْسِهِ. «المؤلف».

(٢) أَي: وَقَايَةُ مِنَ النَّارِ. «المؤلف».

(٣) لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ، ص (٩١ - ٩٣) بِاخْتِصَارٍ.

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١١٦٣).

«قوله ﷺ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ»: إِذَا وَجَدَ ثَوَابَ صِيَامِهِ مَدْحُورًا.

قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا هُوَ غَدَاءٌ وَعِشَاءٌ^(١)، فَإِنْ أَخَّرْتَ غَدَاءَكَ إِلَى عِشَائِكَ: أَمْسَيْتَ وَقَدْ كُتِبَتْ فِي دِيْوَانِ الصَّائِمِينَ.

مَاتَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ رضي الله عنه^(٢) وَهُوَ صَائِمٌ مَا أَفْطَرَ.

وَلَمَّا كَانَ الصِّيَامُ سِرًّا بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ اجْتَهِدَ الْمَخْلُصُونَ فِي إِخْفَائِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ؛ حَتَّى لَا يَطَّلَعَ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ.

لَمَّا دُفِنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ غَالِبٍ رضي الله عنه^(٣) كَانَ يَفُوحُ مِنْ تَرَابِ قَبْرِهِ رَائِحَةُ الْمِسْكِ، فَرُؤِيَ فِي الْمَنَامِ، فَسُئِلَ عَنْ تِلْكَ الرَّائِحَةِ الَّتِي تَوْجَدُ مِنْ قَبْرِهِ؟ فَقَالَ: تِلْكَ رَائِحَةُ التَّلَاوَةِ وَالظَّمِّ^(٤).



فَضْلُ الصَّوْمِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رضي الله عنه فِي «لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ»^(٥): «وَمِمَّا يُضَاعَفُ ثَوَابُهُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ مِنَ الطَّاعَاتِ: الصِّيَامُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ ظَمٍّ الْهَوَاجِرِ؛ وَلِهَذَا كَانَ مَعَاذُ اللَّهِ رضي الله عنه يَتَأَسَّفُ عِنْدَ مَوْتِهِ عَلَى مَا يَفُوتُهُ مِنْ ظَمٍّ الْهَوَاجِرِ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ.

وَوَصَّى عُمَرُ رضي الله عنه عِنْدَ مَوْتِهِ ابْنَتَهُ عَبْدَ اللَّهِ فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِخِصَالِ الْإِيمَانِ - وَذَكَرَ أَوَّلَهَا -: الصَّوْمِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ مِنَ الصَّيْفِ».

(١) أَي: أَنْ بَرْنَامَجَكَ الْيَوْمِيَّ فِي الطَّعَامِ: غَدَاءٌ وَعِشَاءٌ. «المؤلف».

(٢) جَدُّهُ الزَّبِيرُ، وَأَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ. «المؤلف».

(٣) تُوفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ. «المؤلف».

(٤) لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ، (٩٢ - ٩٦) بَاخْتِصَار.

(٥) ص (٦٩٤ - ٦٩٥) بَاخْتِصَار.



وقال القاسم بن محمد: كانت عائشة رضي الله عنها تصوم في الحر الشديد، قيل له: ما حملها على ذلك؟ قال: كانت تبادر الموت.

وكانت بعض الصالحات تتوَحَّى أشدَّ الأيام حَرًّا فتصومه، فيقال لها في ذلك، فتقول: إِنَّ السَّعْرَ إِذَا رُخِصَ اشْتَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ. تُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا تُؤَثِّرُ الْعَمَلَ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ؛ لشدته عليهم، وهذا مِنْ عُلُوِّ الْهَمَةِ.

ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ رَجَبٍ قِصَّةَ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه - وَقَدْ ذَكَرَهَا الْبَزَّازُ -: أَنَّ أَبَا مُوسَى رضي الله عنه كَانَ فِي سَفِينَةٍ فِي الْبَحْرِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قَدْ رَفَعُوا الشَّرَاعَ فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمَةٍ إِذَا هَاتِفٌ فَوْقَهُمْ يَهْتِفُ: يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ قِفُوا أُخْبِرْكُمْ بِقَضَاءِ قَضَاءِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: أَخْبِرْنَا إِنْ كُنْتَ مُخْبِرًا، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ مَنْ أَعْطَشَ نَفْسَهُ لَهُ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْعَطَشِ. يَقُولُ الرَّاوِي: فَكَانَ أَبُو مُوسَى يَتَوَحَّى الْيَوْمَ الشَّدِيدَ الْحَرِّ الَّذِي يَكَادُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَنْسَلَخَ حَرًّا فَيَصُومُهُ^(١).

وَنَزَلَ الْحَجَّاجُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ عَلَى مَوْرِدٍ مَاءٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَدَعَا بَغْدَائِهِ، وَرَأَى أَعْرَابِيًّا، فَدَعَاهُ إِلَى الْغَدَاءِ مَعَهُ: فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ: دَعَانِي مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فَأَجَبْتَهُ. قَالَ الْحَجَّاجُ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: اللَّهُ تَعَالَى، دَعَانِي إِلَى الصِّيَامِ فَصُمْتُ. قَالَ: فِي هَذَا الْحَرِّ الشَّدِيدِ؟! قَالَ: نَعَمْ، صُمْتُ لِيَوْمٍ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ حَرًّا. قَالَ: فَأَفْطِرْ وَصُمْ غَدًا. قَالَ: إِنْ ضَمَنْتَ لِي الْبَقَاءَ إِلَى غَدٍ أَفْطَرْتُ. قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ. قَالَ: فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ^(٢).

«وَرَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ رحمته الله فِي «الْمَوْطَأِ» أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ بِالْعَرَجِ^(٣) يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ وَهُوَ صَائِمٌ مِنَ الْعَطَشِ، أَوْ مِنَ الْحَرِّ.

(١) ينظر: مسند البزار، الحديث رقم: (٤٩٧٤)، لطائف المعارف، ص (٦٩٥ - ٦٩٧).

(٢) ينظر: لطائف المعارف، ص (٦٩٥ - ٦٩٧).

(٣) هو موضع بين مكة والمدينة. «المؤلف».

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: صوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور، وصلُّوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور.

وفي الصحيح عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد الحر، وإن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما في القوم أحد صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

لما صبر الصائمون لله في الحر على شدة العطش والظمأ أفرَدَ لهم باباً من أبواب الجنة، وهو باب الريان، من دخله شرب، ومن شرب لم يظمأ بعدها أبداً، فإذا دخلوا أُغلق على من بعدهم، فلا يدخل فيه غيرهم^(١).



من قصص الصائمين

مات عامر بن عبد الله بن الزبير وهو صائم، وكان رضي الله عنه من المجتهدين في العبادة.

واحتضر إبراهيم بن هاني - وهو من تلاميذ الإمام أحمد رضي الله عنه - وهو صائم، وطلب ماء، وسأل: أغربت الشمس؟ فقالوا: لا، قالوا: قد رخص لك في الفرض وأنت متطوع. قال: أجل، ثم قال: اصبروا، ثم قرأ: ﴿لَيْسَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ﴾ [الصفات: ٦١]، ثم خرجت نفسه وهو صائم^(٢).

وذكر الذهبي عن هشام بن عروة: أن أباه - عروة بن الزبير، الإمام، العَلَمَ، عالم المدينة، أحد الفقهاء السبعة رضي الله عنه - مات وهو صائم، وجعلوا يقولون له: أفطر، فلم يفطر رضي الله عنه^(٣).

(١) لطائف المعارف، ص (٣٦٠، ٦٩٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٤٣١).



كما ذَكَرَ الذهبيُّ أنه عُشِيَ على مسروقٍ بنِ الأجدع - الإمام القدوة العَلم - في يومٍ صائفٍ، وكانتْ له بنتٌ سَمَّاها عائشةً، على أُمِّ المؤمنين رضي الله عنها، وكانَ لا يعصي لابنته هذه شيئاً، فقالتْ له: يا أبتاهُ أَفْطِرْ واشربْ. قالَ: ما أردتْ بي يا بُنيَّةُ؟ قالتِ: الرفقُ. قالَ: يا بُنيَّةُ! إنما طلبتُ الرفقَ لنفسِي في يومٍ كانَ مقداره خمسينَ ألفَ سنةٍ^(١).

وَذَكَرَ ابنُ رجبٍ في «اللطائف»^(٢): أَنَّ ابنَ عمرَ رضي الله عنهما خَرَجَ في سَفَرٍ ومعهُ أصحابُه، فوضَعُوا سُفْرَةً لَهُمْ، فَمَرَّ بِهِمْ راعٍ فدَعَوُهُ إلى أَنْ يأكُلَ معهم، قالَ: إني صائمٌ. فقالَ ابنُ عمرَ: في مثلِ هذا اليومِ الشديدِ حرِّه وأنتَ بينَ هذه السَّعَابِ في آثارِ هذه الغنمِ وأنتَ صائمٌ؟ فقالَ: أُبَادِرُ أيامي هذه الخالية. فعجِبَ مِنْهُ ابنُ عمرَ وقالَ له - يعني مختبراً -: هلْ لَكَ أَنْ تبيعنا شاةً مِنْ غَنَمِكَ ونُطعمَكَ من لحمِها ما تُفْطِرُ عليه ونعطيك ثَمَنَها؟ قالَ: إِنَّها ليستْ لي، إِنَّها لمولاي. قالَ: فما عَسَيْتَ أَنْ يَقولَ لَكَ مولاكَ إِنْ قُلْتَ أَكَلْها ذئبٌ؟ فمَضَى الراعي وهو رافعٌ أصبعَهُ إلى السماءِ وهو يقولُ: فأينَ اللهُ؟! فلم يَزَلِ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يُرَدِّدُ كلمتَهُ هذه، فلمَّا قَدِمَ المدينةَ بَعَثَ إلى سيدِ الراعي فاشترى مِنْهُ الراعي والغنمَ، فأعتقَ الراعي، ووهبَ لَهُ الغنمَ.



حبذا عبادةٌ وأنا نائمةٌ

قال الحافظُ ابنُ رجبٍ رحمته الله في «لطائف المعارف»^(٣):
«قوله رحمته الله: «للصائم فرحتان: فرحةٌ عندَ فِطْرِهِ، وفرحةٌ عندَ لقاءِ رَبِّهِ»،
أما فرحةُ الصائمِ عندَ فِطْرِهِ: فإنَّ النفوسَ مجبولةٌ على الميلِ إلى ما يلائمُها

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٧ - ٦٨).

(٢) ينظر: ص (٦٩٧).

(٣) لطائف المعارف، ص (٣٦٦ - ٣٦٩) باختصار وتصرف يسير.

مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَمَنْكَحٍ، فَإِذَا مُنِعَتْ مِنْ ذَلِكَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ثُمَّ أُبِيحَ لَهَا فِي وَقْتٍ آخَرَ، فَرِحَتْ بِإِبَاحَةِ مَا مُنِعَتْ مِنْهُ.

فَاللَّهُ تَعَالَى مَنَعَ الصَّائِمَ فِي نَهَارِ الصَّيَامِ مِنْ تَنَاوُلِ تِلْكَ الشَّهَوَاتِ، وَأَذِنَ لَهُ فِيهَا فِي لَيْلِ الصَّيَامِ، بَلْ أَحَبَّ مِنْهُ الْمَبَادِرَةَ إِلَى تَنَاوُلِهَا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَآخِرِهِ، فَأَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ أَعْجَلُهُمْ فَطْرًا، وَاللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمَتَسَحِّرِينَ، فَالصَّائِمُ تَرَكَ شَهَوَاتِهِ لِلَّهِ بِالنَّهَارِ؛ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ وَطَاعَةً، وَبَادَرَ إِلَيْهَا بِاللَّيْلِ؛ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ وَطَاعَةً، فَهُوَ مَطِيعٌ لِرَبِّهِ فِي الْحَالِينَ.

وَفِي أَثَرٍ: «نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةً»، وَكَانَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ سِيرِينَ رَحِمَهَا اللَّهُ تَقُولُ: يَا حَبِذَا عِبَادَةً وَأَنَا نَائِمَةٌ عَلَى فِرَاشِي.

فَالصَّائِمُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ فِي عِبَادَةٍ، وَيُسْتَجَابُ دَعَاؤُهُ فِي صِيَامِهِ وَعِنْدَ فَطْرِهِ، فَهُوَ فِي نَهَارِهِ صَائِمٌ صَابِرٌ، وَفِي لَيْلِهِ طَاعِمٌ شَاكِرٌ.

وَأَمَّا فَرَحُهُ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ: فَفِيمَا يَجِدُهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ثَوَابِ الصَّيَامِ مُدَّخَرًا، فَيَجِدُهُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَقْضُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

قَالَ ابْنُ عِينَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثَوَابُ الصَّيَامِ لَا يَأْخُذُهُ الْغَرَمَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمِظَالِمِ، بَلْ يَدْخُرُهُ اللَّهُ عِنْدَهُ لِلصَّائِمِ حَتَّى يُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ^(١).



هل اغتنمت هذه الفرصة؟ (اليوم الثامن من المحرم)

إِنَّ الْأَوْلَادَ نِعْمَةً عَظِيمَةً تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ، وَأَمَانَةٌ جَسِيمَةٌ تَسْتَوْجِبُ حُسْنَ الرِّعَايَةِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

(١) قَارَنَ كَلَامَ ابْنِ عِينَةَ بِمَا فِي «الْمَفْهَمِ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمٍ» (٣/٢١٢).

وَقُوْذَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴿التَّحْرِيمُ: ٦﴾ الآية، ويقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - تكررت دعواتهم لأولادهم وذرائعهم بالصلاح، وحكى الله أن هذا من شأن الصالحين؛ يدعون لذرائعهم بالصلاح.

و«خيرُ الأصحابِ عندَ الله خيرُهم لصاحبه»^(٢)، وأولى الناس بالبرِّ هم الأقربون، وهذه الخيرية لا تقتصرُ على حُسنِ التعاملِ واللفظِ وقضاءِ حاجاتهم وطلباتهم ونحو ذلك، هذا جانبٌ مهمٌّ منها؛ لكنَّ الأهمَّ هو نفعهم في دينهم بما يُمكن؛ اعتناءً بالفرائض، وحرصاً على النوافل.

ومن ذلك: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يُصومون صبيانهم عاشوراء، حتى إنهم إذا بكوا للطعام أخذوهم معهم إلى المسجد، ودفعوا إليهم اللعبة من العهن^(٣).

وحيث إنَّ اليومَ هو الثامنُ من شهرِ المحرم، وغداً التاسع؛ فَحَرِيٌّ بالمسلم أن يصومَ هذا اليومَ العظيمَ والمناسبةَ الثمينةَ، ويحثُّ أهله، ويحثُّ غيرهم؛ لكنَّهُ يجتهدُ في ترغيبِ زوجته وأبنائه وبناته؛ حتى الصغار، من كان مطيقاً للصيام فإنه يحثُّ ويشجِّعُ ويرعِّبُ، فإن تيسرَ أن يصومَ عاشوراءَ ويوماً قبله فهذا حسنٌ، وإن شقَّ عليه ذلك أو كان هذا مُثَبِّطاً له عن صيامِ اليومينِ كليهما واقتصَرَ على اليومِ العاشرِ فالحمدُ لله، يحصلُ به المقصودُ - بإذنِ الله تعالى -.

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (١٩٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٦٠)، ومسلم (١١٣٦) عَنِ الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ: «مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِماً، فَلْيُتِمِّمْ صَوْمَهُ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِراً، فَلْيُتِمِّمْ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ» فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصَّغَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَتَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ.

وليكن هذا منهجاً له وديناً في ترغيبهم بالفضائل، يعتني بالفرائض، ويحثهم ويندبهم ويرغبهم ويشجعهم على النوافل.

ويكون معتدلاً في كلِّ أموره، لا يبالغ أو يستعجل فيقدم ما حقه التأخير أو ما أشبه ذلك، وإنما يكون حكيماً، والتوفيق بيد الله، والعبد إذا بذل الأسباب الشرعية واستعان بالله؛ فالأمر إلى الله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، وسنة الله الكونية والشرعية والجزائية التي عودها عباده: أَنْ مَنْ حَرَصَ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا...»^(١)، الحديث.

ويتزوّد دائماً بالدعاء لنفسه ولذريته ولوالديه وسائر أهله ومن له حق عليه ولكافة إخوانه المسلمين؛ صغارهم وكبارهم، فالجزاء من جنس العمل، ومن نصّح لإخوانه المسلمين فالله ﷻ شكور، فإذا كان هذا إحسان المخلوق للمخلوق فالله ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ في إحسانه وجميع صفاته ﷻ.



استقبال السلف لشعبان

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيته ﷺ في شهرٍ أكثرَ صياماً منه في شعبان، كان يصوم شعبان كله، كان يصومه إلا قليلاً»^(٢).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في «لطائف المعارف»^(٣): «قيل^(٤) في صوم شعبان معنى آخر: أن صيامه كالتمرين على صيام رمضان؛ لثلاث يدخل في صوم

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (١١٥٦).

(٣) ص (٣١٩).

(٤) يعني: في الحكمة من استحباب صيام شعبان.



رمضان على مشقة وكلفة؛ بل يكون قد تمرّن على الصيام واعتاده، ووَجَدَ بصيام شعبان قَبْلَهُ حلاوة الصيام ولذّته، فيدخلُ في صيام رمضان بقوة ونشاطٍ.

ثمّ ذَكَرَ ابنُ رجبٍ حالَ السَّلَفِ في شعبان، فقال:

«رُوينا بإسنادٍ ضعيفٍ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كَانَ المسلمون إِذَا دخلَ شعبانُ أَكْبُوا على المصاحفِ فقرؤوها، وأخرجوا زكاةَ أموالهم؛ تقويةً للضعيفِ والمسكينِ على صيامِ رمضان.

وقال سلمةُ بنُ كهيلٍ: كَانَ يُقالُ: شهرُ شعبانَ شهرُ القُرَاءِ. وكانَ حبيبُ بنُ أبي ثابتٍ إِذَا دخلَ شعبانُ قالَ: هذا شهرُ القُرَاءِ. وكانَ عمرو بنُ قيسٍ المُلانِيّ إِذَا دخلَ شعبانُ أَغْلَقَ حَانُوتَهُ، وتفرَّغَ لقراءةِ القرآنِ»^(١).



فَضْلُ صَوْمِ شَعْبَانَ

قالَ ابنُ رجبٍ رحمته الله في «لطائف المعارف»^(٢): «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ من شعبانَ ما لا يَصُومُ من غيرِهِ من الشهورِ، ففي الصحيحينِ عن عائشةَ رضي الله عنها قالتُ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ». وزاد البخاريُّ في روايةٍ: «كَانَ يَصُومُ شعبانَ كُلَّهُ». ولمسلم في روايةٍ: «كَانَ يَصُومُ شعبانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ شعبانَ إِلَّا قَلِيلًا». وفي روايةٍ للنسائي عن عائشةَ رضي الله عنها قالتُ: «كَانَ أَحَبَّ الشهورِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَصُومَ: شعبانُ، كَانَ يَصِلُهُ بِرَمَضَانَ».

قالَ ابنُ رجبٍ: «وَقَدْ رَجَّحَ طائِفَةٌ من العلماءِ - منهم ابنُ المبارك وغيرُهُ -: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَسْتَكْمِلْ صِيَامَ شَعْبَانَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَصُومُ أَكْثَرَهُ.

وخرَجَ الإمامُ أحمدُ والنسائيُّ من حديثِ أسامةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنه قالَ: قلتُ:

(١) المرجع السابق.

(٢) ص (٣٠٥).

يا رسولَ الله، إِنَّكَ تَصُومُ لَا تَكَادُ تُفْطِرُ، وَتُفْطِرُ حَتَّى لَا تَكَادَ تَصُومُ؛ إِلَّا يَوْمَيْنِ
إِنْ دَخَلَا فِي صِيَامِكَ وَإِلَّا صُمْتَهُمَا، قَالَ: «أَيُّ يَوْمَيْنِ؟» قُلْتُ: يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ،
وَيَوْمُ الْخَمِيسِ، قَالَ: «ذَاكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَأَحَبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»، قُلْتُ: وَلَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنَ الشُّهُورِ
مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ،
وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷻ، وَأَحَبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا
صَائِمٌ»^(١)، وَهَذَا الْحَدِيثُ قَالَ عَنْهُ مُحَقِّقُو «الْمُسْنَدِ»: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ^(٢).



سَبَبُ اخْتِصَاصِ شَعْبَانَ بِاسْتِحْبَابِ الصِّيَامِ

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي فَضْلِ صِيَامِ شَعْبَانَ تَعْلِيْقًا عَلَى حَدِيثِ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
لَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ سَبَبِ إِكْثَارِهِ مِنَ الصِّيَامِ فِي شَعْبَانَ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ»^(٣).

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: «فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ عِمَارَةِ أَوْقَاتِ غَفْلَةِ النَّاسِ
بِالطَّاعَةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُحِبُّوبٌ لِلَّهِ ﷻ».

وَمِنْ ذَلِكَ: الْقِيَامُ فِي وَسْطِ اللَّيْلِ؛ لَشُمُولِ الْغَفْلَةِ لِأَكْثَرِ النَّاسِ فِيهِ عَنْ
الذِّكْرِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ
السَّاعَةِ فَكُنْ».

وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى فَضِيلَةِ التَّفَرُّدِ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لَا يُوجَدُ
فِيهِ ذَاكِرٌ لِلَّهِ؛ وَلِهَذَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الذِّكْرِ فِي الْأَسْوَاقِ مَا وَرَدَ؛ مِنَ الْحَدِيثِ
الْمَرْفُوعِ، وَالْآثَارِ الْمَوْقُوفَةِ.

(١) المرجع السابق، ص (٢٩٣ - ٣٠٥) باختصار.

(٢) ينظر: حاشية مسند أحمد، طبعة الرسالة (٨٦/٣٦).

(٣) أخرجه النسائي في المجتبى (٢٣٥٧).



❖ وفي إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد:

منها: أنه يكون أخفى، وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل؛ لا سيما الصيام؛ فإنه سرٌّ بين العبد وربّه.

ومن فوائد إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة: أنه أشقّ على النفوس، وسبب ذلك: أن النفوس تتأسى بما تُشاهده من أحوال أبناء الجنس، فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم: كثُر أهلُ الطاعة بكثرة المقتدين بهم، فسُهِّلَت الطاعة، وإذا كثُرَت الغفلات وأهلُها: تأسَى بهم عمومُ الناس، ويشقُّ على نفوس المتيقظين طاعاتهم؛ لِقِلَّة من يقتدون بهم فيها، ولهذا المعنى قال النبي ﷺ: «لِلْعَامِلِ مِنْهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ، إنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون»، وقال ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، وفي رواية: قيل: ومن الغرباء؟ قال: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»، وفي صحيح مسلم من حديث معقل بن يسارٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ»، وَخَرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَلَفْظُهُ: «الْعِبَادَةُ فِي الْفِتْنَةِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ»^(١).



الدعاء ببلوغ رمضان

رُويَ أَنَّ السَّلَفَ كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَبْلُغَهُمْ رَمَضَانُ، ثُمَّ يَدْعُونَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنْهُمْ^(٢).

إنَّ الاستعدادَ لمواسم الطاعة قبلَ وقتِها والتَّهَيُّؤَ لها: سببٌ لِأَنْ يَوْفَقَ الْعَبْدُ وَيُعَانَ عَلَى حُسْنِ اسْتِغْلَالِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ شَكُورٌ، وَهُوَ ﷻ يَتَعَالَى عَنْ أَنْ يَخْذَلَ عَبْدَهُ الْحَرِيصَ عَلَى طَاعَتِهِ وَيُرَدِّدَهُ خَائِبًا.

(١) لطائف المعارف، (٣١٠ - ٣١٤) بتصرف يسير واختصار.

(٢) ينظر: لطائف المعارف، ص (٤٧٥).

ومن صور ذلك الاستعداد والتَّهَيُّؤُ: أن يحرص على التبكير بالنوم ليلة الجمعة حتى يتيسر له التبكير إلى صلاة الجمعة.

ومن صورهِ أيضًا: أن يستعدَّ لرمضانَ قبلَ حلولهِ بالدعاء - كما تقدَّم عن السلف -، ثُمَّ إذا قُرِبَ: اجتهد أن يتخلَّص من الشواغل، مثل: توفير حاجات الأهل من الطعام ونحوه، وكذلك صدقةَ الفطرِ يجهزها قبلَ رمضان؛ توفيرًا للوقت، وأهمُّ من ذلك: ملابسُ العيدِ له ولبنينهِ ولبناتِهِ؛ كلُّ هذه وأمثالها يُنجزها قبلَ رمضان، وهكذا.

ومن كرم الله ﷻ وجوده وشكره وهو الوهاب الجواد الشكور: أن من تقرب منه شبرًا تقرب منه ذراعًا، ومن تقرب منه ذراعًا تقرب منه باعًا، ومن أتاه يمشي أتاه هرولةً ﷻ^(١).

اللهم بلغنا رمضانَ بأحسنِ حالٍ، وأهله علينا بالآمن والإيمان، والسلامة والإسلام، وسلِّمهُ لنا وسلِّمنا له وسلِّمهُ مِنَّا مُتَقَبِّلًا، ووفقنا لصيامه وقيامه إيمانًا واحتسابًا، وارزقنا فيه الجدَّ والاجتهاد والنشاط، وأعِزَّنَا فيه من الفتن، واجعلْ لنا من فضلك فيه أوفرَ الحظِّ والنصيب.



حَدَّثَ كَوْنِي فِي رَمَضَانَ

في غروبِ شمسِ آخرِ يومٍ منْ شعبانَ تبدأُ أولُ ساعاتِ شهرِ رمضانَ، وحينها تحصلُ أحداثٌ كونيةٌ كبرى؛ منها: تفتيحُ أبوابِ الجنة، وتغليقُ أبوابِ النار، وسلْسَلَةُ الشياطين.

(١) أخرج البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً».



سؤال: وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِعِدَّةِ الْفَاطِ؛ مَا هَذِهِ الْأَلْفَافُ؟

الجواب: وَرَدَ ذَلِكَ بِعِدَّةِ الْفَاطِ؛ مِنْهَا: «فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ»^(١)، وَفِي لَفْظٍ: «فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ»^(٢)، وَوَرَدَ بِلَفْظٍ: «فُتِحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ»^(٣).
إِذَنْ: أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، أَبْوَابُ السَّمَاءِ، أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ.

أَمَّا سَلْسَلَةُ الشَّيَاطِينِ؛ فَقَدْ وَرَدَ بِلَفْظٍ: «سُلْسَلَتِ الشَّيَاطِينُ»^(٤)، وَوَرَدَ: «صُفِدَتِ الشَّيَاطِينُ»^(٥)، وَوَرَدَ بِلَفْظٍ: «تُعَلُّ فِيهِ مَرْدَةُ الشَّيَاطِينِ»^(٦).
إِذَنْ: سَلْسَلَةُ الشَّيَاطِينِ وَرَدَ بِلَفْظٍ: السَّلْسَلَةِ، وَالتَّصْفِيدِ، وَالْعَلُّ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ نَرَى الشَّرَّ وَالْمَعَاصِيَ وَاقِعَةً فِي رَمَضَانَ كَثِيرًا؟

الجواب: أَنَّهَا إِنَّمَا تُعَلُّ عَنِ الصَّائِمِينَ الصَّوْمَ الَّذِي حُوْفِظَ عَلَى شُرُوطِهِ، وَرُوعِيَتْ آدَابُهُ. أَوْ يُقَالُ: الْمَصْفَدُ بَعْضُ الشَّيَاطِينِ، وَهُمْ الْمَرْدَةُ لَا كُلُّهُمْ. أَوْ يُقَالُ: الْمَقْصُودُ تَقْلِيلُ الشَّرِّ فِيهِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُحْسُوسٌ، فَإِنَّ وَقُوعَ ذَلِكَ فِي رَمَضَانَ أَقَلُّ مِنْ غَيْرِهِ، إِذْ لَا يَلْزَمُ مَنْ تَصْفِيدِ جَمِيعِهِمْ أَنْ لَا يَقَعَ شَرٌّ وَلَا مَعْصِيَةٌ؛ لِأَنَّ لَذَلِكَ أَسْبَابًا غَيْرَ الشَّيَاطِينِ، كَالنَّفْسِ الْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ، وَالْعَادَاتِ الْقَبِيحَةِ، وَشَيَاطِينِ الْإِنْسِ. انْتَهَى كَلَامُهُ^(٧).



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٨٩٨)، وَمُسْلِمٌ (١٠٧٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٨٩٩).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢/١٠٧٩).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٨٩٩)، وَمُسْلِمٌ (١٠٧٩).

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٠٧٩).

(٦) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْمَجْتَبَى (٢١٠٦).

(٧) يَنْظُرُ: فَتْحُ الْبَارِيِّ (١١٤/٤).

احذروا السارق في رمضان

يا أيُّها المسلمون! احذروا السارق في رمضان!.

قَدْ يَغْتَنِمُ بَعْضُ الْأَشْرَارِ ظُرُوفَ رَمَضَانَ وَسَاعَاتِ انْشِغَالِ النَّاسِ فِيهِ بِصَلَاتِهِمْ أَوْ نَوْمِهِمْ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ بِالسَّرْقَةِ مِنْ بَيْوتِهِمْ أَوْ مَتَاجِرِهِمْ؛ لَكِنْ... لَيْسَ هَذَا هُوَ الْمَرَادُ فِي حَدِيثِي هَذَا.

المرادُ هُنا: التحذيرُ من الأسبابِ التي يُسْرِقُ فيها الوقتُ في هذا الشهرِ الفضيلِ، فتمضي الساعاتُ فيما لا يُجدي على صاحبه شيئاً، أو على أحسنِ الأحوالِ: في مطالعاتٍ ومتابعاتٍ وأمورٍ مفضولةٍ قَوَّتْ ما هو أفضلُ منها وأنفعُ لصاحبها عندَ ربِّه، وهذا من كيدِ الشيطانِ ومداخله على الصالحينَ لَمَّا أعجزوه أنْ يُغَيِّرَهُمْ بمشاهدةِ المسلسلاتِ ونحوِها اِلْتَفَّتْ عليهم فأتاهم من هذا البابِ، فشغلَّهم بهذه الأجهزة التي سَرَقَتْ من وقتهم ساعاتٍ ثمينةٍ سيُسألون عنها؛ كما جاء في الحديثِ عن النبي ﷺ: «لا تزولُ قَدَمًا عبدٌ حتى يُسألَ عن عُمرِهِ فيما أَفْنَاهُ» الحديث^(١)، فهي خسارةٌ في سائرِ الدَّهرِ، فما بالك في رمضان؟.

واعتادَ كثيرٌ من هؤلاءِ على هذا الوضعِ؛ فتراهُ حتى لو اعتكفَ في العشرِ الأواخرِ أو ذهبَ إلى المسجدِ الحرامِ أو غيرِ ذلكِ في المواسمِ الفاضلةِ قَدْ أَسْرَتْهُ هذه العادةُ.

فتنبَّهوا - بارك اللهُ فيكم -، واحزمُوا، وَلْيُنَبِّهْ بعضُكم بعضاً، تواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصبرِ، وكونوا في هذا الرَّمْضَانَ خيراً منكم فيما قَبْلَهُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خَسْرٍ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾ [العصر: ١ - ٣].



رمضان شهر المواساة

قال ابن رجب رحمته الله: «الصائم يدع طعامه وشرابه لله، فإذا أعان الصائمين على التقوي على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوة لله، وأثر بها أو وأسى منها، ولهذا يُشرع له تفطير الصّوام معه إذا أفطر؛ لأنّ الطعام يكون محبوباً له حينئذٍ، فيؤاسي منه؛ حتى يكون ممن أطعم الطعام على حبه، ويكون في ذلك شكر لله على نعمة إباحة الطعام والشراب له وردّه عليه بعد منعه إيّاه، فإنّ هذه النعمة إنما عُرف قدرها عند المنع منها.

وسئل بعض السلف: لم شرع الصيام؟ قال: ليدوق الغني طعم الجوع، فلا ينسى الجائع. وهذا من بعض حكم الصوم وفوائده.

وكان كثير من السلف يؤاسون من إفطارهم، أو يؤثرون به ويَطْوُونَ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين، فإذا منعهم أهلُه عنه لم يتعشّ تلك الليلة.

وكان رضي الله عنه إذا جاءه سائلٌ وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه السائل.

واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاماً - وكان صائماً - فوضع بين يديه عند فطره، فسمع سائلاً يقول: من يُفرض المَلِيّ الوفيّ الغني؟ فقال: عبده المُعْدَم من الحسنات، فقام فأخذ الصّحفة، وخرَج بها إليه.

وجاء سائلٌ إلى الإمام أحمد رحمته الله فدفع إليه رغيفين كان يُعدهما لفطره. وكان الحسن البصري يُطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً، ويجلس يروّحهم وهم يأكلون^(١).

وكان ابن المبارك يُطعم إخوانه الألوان من الحلواء وغيرها في السفر وهو صائم.

(١) يروّحهم يعني - بلهجتنا الدارجة -: يَهْفُ عليهم. «المؤلف».

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَحَبُّ لِلرَّجُلِ الزِّيَادَةُ بِالْجُودِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِحَاجَةِ النَّاسِ فِيهِ إِلَى مَصَالِحِهِمْ، وَلِتَشَاغِلِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ عَنْ مَكَا سِبِهِمْ^(١).



فَضْلُ الْجُودِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

هَذِهِ نَقُولُ مِنْ كِتَابِ «لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ»^(٢) لِابْنِ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ:

«مَجْلِسُ فِي فَضْلِ الْجُودِ فِي رَمَضَانَ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ:

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ فَيَدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، وَكَانَ جَبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

وَحَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِزِيَادَةٍ فِي آخِرِهِ: «لَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أُعْطِيَ».

وَكَانَ ﷺ يَتَضَاعَفُ جُودُهُ وَإِفْضَالُهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ لِقُرْبِ عَهْدِهِ بِمُخَالَطَةِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَثْرَةِ مَدَارِسَتِهِ لَهُ هَذَا الْكِتَابَ الْكَرِيمَ الَّذِي يَحُثُّ عَلَى الْمَكَارِمِ وَالْجُودِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُخَالَطَةَ تُؤَثِّرُ وَتُؤَرِّثُ أَخْلَاقًا مِنَ الْمُخَالَطِ.

وَفِي تَضَاعُفِ جُودِهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ - بِخُصُوصِهِ - فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ:

مِنْهَا: شَرَفُ الزَّمَانِ وَمُضَاعَفَةُ أَجْرِ الْعَمَلِ فِيهِ.

وَمِنْهَا: إِعَانَةُ الصَّائِمِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالذَّاكِرِينَ عَلَى طَاعَاتِهِمْ، فَيَسْتَوْجِبُ الْمُعِينُ لَهُمْ مِثْلَ أَجْرِهِمْ؛ كَمَا أَنَّ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ

(١) لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ، ص (٣٩٢ - ٣٩٣) بِاخْتِصَارٍ.

(٢) ص (٣٨٠ - ٣٨٩) بِاخْتِصَارٍ.



فقد غزا، وفي حديث زيد بن خالد عن النبي ﷺ قال: «من فطَّر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء».

ومنها: أن شهرَ رمضانَ شهرٌ يجودُ اللهُ فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتيق من النار - لا سيما في ليلةِ القدرِ -، والله تعالى يرحمُ من عباده الرحماء، كما قال ﷺ: «إنما يرحمُ اللهُ من عباده الرحماء»، فمن جاد على عبادِ الله: جاد اللهُ عليه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنسِ العمل».



لرمضان خصوصية بالقرآن

قال ابنُ رجبٍ رحمه الله في «لطائف المعارف»^(١): «وفي حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن المدارسَ بينَ النَّبِيِّ ﷺ وبينَ جبريلَ كانتَ ليلاً، فدلَّ على استحبابِ الإكثارِ من التلاوة في رمضانَ ليلاً؛ فإنَّ الليلَ تنقطعُ فيه الشواغلُ، وتجتمعُ فيه الهَمَمُ، ويتواطأ فيه القلبُ واللسانُ على التدبيرِ؛ كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦].

وشهرُ رمضانَ لَهُ خصوصيةٌ بالقرآن؛ كما قالَ تعالى: ﴿رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وكانَ النَّبِيُّ ﷺ يُطِيلُ القراءةَ في قيامِ رمضانَ بالليلِ أكثرَ من غيره. وقد صَلَّى مَعَهُ حذيفةُ رضي الله عنه ليلةً في رمضانَ، فقرأَ بالبقرة، ثُمَّ النساءِ، ثُمَّ بآلِ عمرانَ، لا يَمُرُّ بآيةٍ تخويفٍ إلا وقفَ وسألَ، قالَ: فما صلى ركعتينِ حتى جاءهُ بلالٌ فأذنه بالصلاة».

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قالَ: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ مِنَ الشَّهْرِ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا فِي



السَّادِسَةِ، وَقَامَ بِنَا فِي الْخَامِسَةِ حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ نَفَلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ، قَالَ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا حَتَّى بَقِيَ ثَلَاثُ لَيَالٍ مِنَ الشَّهْرِ، وَصَلَّى بِنَا فِي الثَّالِثَةِ، وَدَعَا أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ فَقَامَ بِنَا حَتَّى تَخَوَّفْنَا الْفَلَاحَ، قُلْتُ: وَمَا الْفَلَاحُ؟ قَالَ: السَّحُورُ^(١).

«قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: كَانَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ نَفَرَ - أَوْ يَفِرُّ - مِنْ قِرَاءَةِ الْحَدِيثِ وَمُجَالَسَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَقْبَلَ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَصْحَفِ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَاقِ: كَانَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ تَرَكَ جَمِيعَ الْعِبَادَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ.

وكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقْرَأُ فِي الْمَصْحَفِ أَوَّلَ النَّهَارِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ نَامَتْ»^(٢).

وَذَكَرَ ابْنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مِنَ السَّلَفِ مَنْ كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَتَيْنِ. وَكَانَ قِتَادَةُ يَخْتُمُ فِي كُلِّ سَبْعٍ دَائِمًا، وَفِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ، وَفِي الْعَشْرِ الْآخِرِ كُلِّ لَيْلَةٍ. وَكَانَ لِلشَّافِعِيِّ فِي رَمَضَانَ سِتُّونَ خْتَمَةً يَقْرَأُهَا فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ. وَكَانَ الزُّهْرِيُّ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ قَالَ: فَإِنَّمَا هُوَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ^(٣).

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَإِنَّمَا وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ عَلَى الْمَدَاوِمَةِ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَّا فِي الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ، كَشَهْرِ رَمَضَانَ - خُصُوصًا اللَّيَالِي الَّتِي يُطَلَّبُ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ -، أَوْ فِي الْأَمَاكِنِ الْمَفْضَلَةِ، كَمَكَّةَ - شَرَّفَهَا اللَّهُ - لِمَنْ دَخَلَهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا فَيَسْتَحِبُّ الْإِكْثَارُ فِيهَا مِنْ تِلَاوَةِ

(١) أخرجه أبو داود (١٣٧٥)، والترمذي (٨٠٦)، والنسائي (١٣٦٤)، وابن ماجه (١٣٢٧).

(٢) لطائف المعارف، ص (٤٠٠).

(٣) ينظر: لطائف المعارف، ص (٣٩٩) وما بعدها.



القرآن؛ اغتنامًا للزمان والمكان، وهذا قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره^(١).



جِهَادَانِ

هذه فائدة من «لطائف المعارف» لابن رجب رحمته الله: من حقوق القرآن على صاحبه القيام به في الليل، قال رحمته الله:

اعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين، ووفى بحقوقهما، وصبر عليهما: وُفِّي أجره بغير حساب^(٢).

وقد ذكر النبي ﷺ رجلاً فقال: «ذاك لا يتوسد القرآن»؛ يعني: لا ينام عليه فيصير له كالوسادة.

وخرَج الإمام أحمد من حديث بُريدة رضي الله عنه مرفوعاً: «إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفْنِي؟ أَنَا صَاحِبُكَ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَكُلُّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، فَيُعْطَى الْمُلْكُ بِبَيْمِينِهِ وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغْرِفَهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذَا كَانَ أَوْ تَرْتِيلاً»^(٣).

وقال ابن رجب رحمته الله عن أحد الصالحين: «إني لأقرأ القرآن وأنظر في آية آية»^(٤)

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٠٠).

(٢) «إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [الزمر: ١٠]. «المؤلف».

(٣) لطائف المعارف، ص (٤٠١).

(٤) هكذا في بعض النسخ، وفي أخرى: «وأنظر فيه آية آية»، وفي ثالثة: «وأنظر في آية»، وفي بعضها: «وأنظر في آية».

فَيَحِيْرُ عَقْلِي بِهَا ، وَأَعْجَبُ مِنْ حُقَافِ الْقُرْآنِ ؛ كَيْفَ يَهْنِيْهِمُ النُّوْمُ وَيَسْعُهُمْ أَنْ يَشْتَغَلُوا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَهُمْ يَتْلُوْنَ كَلَامَ اللَّهِ ، أَمَّا إِنْهُمْ لَوْ فَهِمُوا مَا يَتْلُوْنَ ، وَعَرَفُوا حَقَّهٗ وَتَلَذَّذُوا بِهِ ، وَاسْتَحَلُّوا الْمُنَاجَاةَ بِهِ : لَذَهَبَ عَنْهُمْ النُّوْمُ ؛ فَرَحًا بِمَا قَدْ رَزَقُوا^(١) .

وَذَكَرَ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ أَثَرًا عَنْ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «يَنْبَغِي لِقَارِئِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بَلِيلَهُ إِذَا النَّاسُ يَنَامُونَ ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْطُرُونَ ، وَبِبَكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ ، وَبِوَرَعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلِطُونَ ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ ، وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَحْتَالُونَ . . . »^(٢) .



اِخْتِمَ رَمَضَانَ بِخَيْرٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُ﴾ [الحجر: ٩٩] ، فَلَا حَدَّ لِعِبَادَةِ الْمُسْلِمِ رَبَّهُ إِلَّا الْمَوْتُ ، وَرَمَضَانُ مُوسَمٌ لِلْاجْتِهَادِ وَالتَّزَوُّدِ مِنَ الْخَيْرِ .

مِنَ الْأَخْطَاءِ الْمَتَكَرِّرَةِ لَدَى بَعْضِ النَّاسِ : أَنََّّهُمْ إِذَا مَضَتْ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ يَفْتُرُونَ عَنِ الطَّاعَةِ ، وَيَقِلُّ اجْتِهَادُهُمْ ، وَكَأَنَّ مَنَشَأَ ذَلِكَ : كَوْنُهُمْ جَزَمُوا أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ قَدْ مَضَتْ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي السَّابِقَةِ ، وَهَذَا حَرَمَانٌ وَخَطَأٌ مِنْ عِدَّةٍ وَجَوِّهِ :

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ : أَنَّ لَيَالِيَ الْعَشْرِ كُلَّهَا مَظَنَّةٌ لِلَّيْلِ الْقَدْرِ .

الْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ رَمَضَانَ كُلَّهُ مُوسَمٌ لِلْاجْتِهَادِ ، فَعَلَى فَرَضٍ أَنَّهَا مَضَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، فَشَهْرُ رَمَضَانَ بِمَزَايَاهُ وَخَصَائِصِهِ وَفَضَائِلِهِ بَاقٍ ؛ تَفْتِيحُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ لَا يُغْلَقُ مِنْهَا بَابٌ ، وَتَغْلِيْقُ أَبْوَابِ النَّيْرَانِ ، وَتَصْفِيْدُ مَرَدَّةِ الشَّيَاطِينِ ، «وَيُنَادِي

(١) لطائف المعارف ، ص (٤٠٤) .

(٢) المرجع السابق .



مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ^(١)، إلى نهاية الشهر.

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي حَدِيثٍ: «أُرِيتُ لَيْلَتَكُمْ أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ»^(٢)؛ ففي حديثٍ: أَنَّهَا كَانَتْ لَيْلَةً إِحْدَى وَعَشْرِينَ^(٣)، وفي حديثٍ: لَيْلَةٌ ثَلَاثٌ وَعَشْرِينَ^(٤). وعلى كلا الأمرين: بَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِ الْعَشْرِ: «شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ»^(٥)، إِلَى خِتَامِ الشَّهْرِ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

الوجه الثالث: أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي كَثْرَةِ الصَّلَاةِ - وَقيام الليل خصوصًا - من الفضل والثواب العظيم ما وَرَدَ، فمن الجُرْمَانِ أَنْ يُفَوَّتَ المرءُ على نفسه هذا الخير العظيم، فمن ذلك: قولُ النَّبِيِّ ﷺ فيما رواه مسلم^(٦): «عليك بكثرة السجود؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ»، وما جاء في حديثِ ربيعةَ بنِ كعبِ الأسلميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فَآتَيْهُ بَوْضُوئُهُ وَحَاجَتُهُ فَقَالَ: «سَلْ»، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مِرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ»، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السَّجُودِ»^(٧). وقوله ﷺ: «أَفْضَلُ صَلَاةٍ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٨).

وهذا الفضلُ وهذا الثوابُ يزدادُ في شهرِ رمضانَ كُلِّهِ.

(١) أخرجه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وأصله متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري (٨١٣)، ومسلم (١١٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٢٧)، ومسلم (١١٦٧).

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٨).

(٥) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(٦) أخرجه مسلم (٤٨٨).

(٧) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٨) أخرجه مسلم (١١٦٣).

الوجه الرابع: أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، لَكِنْ؛ هَلْ هَذَا يَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ أَعْلَى حَدٍّ لِفَضْلِ اللَّهِ؛ أَنَّ لَيْلَةً وَاحِدَةً خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ؟ وَبِالْعِبَارَةِ الدَّارِجَةِ: هَلْ فَضْلُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ سَقْفٌ مُحَدَّدٌ، وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ تُمَثِّلُ الْحَدَّ الْأَعْلَى لَهُ؟ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاهِلُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا!.

إِنَّ فَضْلَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَدْرِكَهُ الْأَذْهَانُ، وَأَوْسَعُ مِمَّا يَخْطُرُ بِالْبَالِ، اللَّهُ ﷻ وَصَفَ فَضْلَهُ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ: «السَّعِيدُ مَنْ اغْتَنِمَ مَوَاسِمَ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ وَتَقَرَّبَ فِيهَا إِلَى مَوْلَاهُ بِمَا فِيهَا مِنْ وَظَائِفِ الطَّاعَاتِ، فَعَسَى أَنْ تُصِيبَهُ نَفْحَةٌ مِنْ تِلْكَ النَّفَحَاتِ؛ فَيَسْعَدَ بِهَا سَعَادَةً يَأْمُنُ بَعْدَهَا مِنَ النَّارِ وَمَا فِيهَا مِنَ اللَّفَحَاتِ»، ثُمَّ ذَكَرَ أَثَرًا: «اطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يَصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»^(١).

الوجه الخامس: أَنَّ الْأَعْمَالَ بِالْخَوَاتِيمِ.

الوجه السادس: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ اعْتِقَادٌ وَقَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ^(٢)، فَلَا ضِلُّ أَلَّا الْعَبْدَ إِذَا اجْتَهَدَ أَوَّلَ الشَّهْرِ يَزِيدُ إِيْمَانَهُ، فَإِذَا زَادَ إِيْمَانُهُ زَادَ عَمَلُهُ، فَإِذَا زَادَ عَمَلُهُ زَادَ إِيْمَانُهُ، وَهَكَذَا لَا يَزَالُ هَذَا الدُّوْلَابُ مُسْتَمِرًّا وَفِي تَرَقُّ، فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَكْمَلٍ مَا يَكُونُ مِنَ الْجَهْدِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْخَيْرِ.

أَمَّا أَنْ يَعْكِسَ الْأَمْرَ، وَفِي آخِرِ الشَّهْرِ يَنْتَابُهُ الْفُتُورُ وَالْكَسَلُ - نَسْأَلُ اللَّهَ

(١) لطائف المعارف، ص (٤٠).

(٢) نَقْلُ الْإِجْمَاعِ عَلَى ذَلِكَ عَدَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، قَالَ ﷺ فِي التَّمْهِيدِ (٢٣٨/٩): «أَجْمَعَ أَهْلُ الْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَالْإِيمَانُ عِنْدَهُمْ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَالطَّاعَاتُ كُلُّهَا عِنْدَهُمْ إِيْمَانٌ...».



العافية -؛ فهذا يحتاجُ أَنْ يُرَاجَعَ نَفْسُهُ، وَيَسْتَغْفَرَ، وَيَجْتَهِدَ فِي الدَّعَاءِ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ، وَيَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ فِي هَذِهِ الْمَوَاسِمِ حَقًّا وَنَصيبًا، وَلَا يَحْرِمَهُ فَضْلُهُ بِذُنُوبِهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.



الحنينُ لمواسمِ الطاعةِ

أثناء محادثتي لإحدى بناتي ذَكَرْتُ تَجَرِبَتَهَا مَعَ أَحَدِ أَبْنَائِهَا أَوْ بَنَاتِهَا، لِمَحَاوَلَةٍ أَنْ تَبْقَى لِرَمَضَانَ فِي النَّفْسِ ذَكْرِيَّاتٌ جَمِيلَةٌ.

الحقيقةُ أَنَّهُ قَدْ أَعْجَبَنِي هَذَا الْمَلْحَظُ، فبَعْضُ الْحَرِيصِينَ عَلَى الْخَيْرِ قَدْ يَتَرْتَبُ عَلَى تَرْغِيهِ أَوْلَادَهُ عَلَى الْخَيْرِ وَتَشْجِيعِهِ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَنْ يَتَجَاوَبُوا وَيَتَفَاعَلُوا مَعَ هَذَا الْحَثِّ؛ لَكِنْ قَدْ يَبْقَى لِهَذَا التَّجَاوُبِ آثَارٌ فِي النَّفْسِ تَرْتَبُ بِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ، فَكُلَّمَا تَذَكَّرَ رَمَضَانَ تَذَكَّرَ أَنَّهُ مَطْلُوبٌ مِنْهُ أَنْ يَقْرَأَ كَذَا مِنَ الْقُرْآنِ، وَيُصَلِّيَ كَذَا؛ مِمَّا قَدْ يَجْعَلُ مُشَاعِرَهُ تَجَاهَ هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ مُرْتَبِطَةً بِقَدْرِ مِنَ الْإِسْتِقَالِ.

فَالْمَوْفَّقُ مِنْ اسْتِطَاعِ الْجَمْعِ بَيْنَ تَدْرِيبِهِمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَتَعْوِيدِهِمْ عَلَيْهَا وَإِعْلَاءِ شَأْنِهَا فِي نَفْسِهِمْ وَتَرْغِيْبِهِمْ فِي الْخَيْرِ وَالْمُنَافَسَةِ فِي الطَّاعَاتِ، مَعَ مِرَاعَاةِ الْمَعْنَى الَّتِي تَقْدَمُ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْمَشَاعِرَ وَالْإِنْطِبَاعَاتِ تَصَاحِبُ الْمَرْءَ - فِي الْغَالِبِ - سِنَوَاتٍ طَوِيلَةً مِنْ عُمْرِهِ.

عَلَى أَيِّ حَالٍ: الْمَوْفَّقُ مِنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا عَلَى الْعَبْدِ إِلَّا أَنْ يَجْتَهِدَ وَيَتَحَرَّى هَدْيَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلْيُبَشِّرْ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].



فضل المبادرة بالسَّتِّ

قَالَ الحَافِظُ النُّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح صحيح مسلم»^(١): «قوله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»، قَالَ أَصْحَابُنَا^(٢): والأفضل أَنْ تُصَامَ السَّتَّةُ متواليةً عَقِبَ يَوْمِ الْفِطْرِ، فَإِنْ فَرَّقَهَا أَوْ أَخَّرَهَا عَنْ أَوَائِلِ شَوَالٍ إِلَى أَوَاخِرِهِ حَصَلَتْ فَضِيلَةُ الْمَتَابَعَةِ، لِأَنَّهُ يَصْدُقُ أَنَّهُ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ؛ لِأَنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرٍ أَمْثَالِهَا، فَرَمَضَانُ بَعَشْرَةُ أَشْهُرٍ، وَالسَّتَّةُ بِشَهْرَيْنِ، وَقَدْ جَاءَ هَذَا فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ فِي كِتَابِ النَّسَائِيِّ، انْتَهَى.



دَعْوَةٌ لِإِعْفَاءِ اللَّحِيَةِ بِمُنَاسِبَةِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: إِعْفَاءُ اللَّحِيَةِ، فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ - بَعْدَ الْفَاطِ - أَنَّهُ قَالَ: «أَعْفُوا اللَّحِيَّ»^(٣)، «أَرْخُوا اللَّحِيَّ»^(٤)، «وَقُرُّوا اللَّحِيَّ»^(٥).

وَفِي الْآيَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَتَّبَ عَلَى مَتَابَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ ثَمَرَةً عَظِيمَةً جَلِيلَةً، أَلَا وَهِيَ: مَحَبَّةُ ﷺ.

وِطَاعَةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ سَبَبٌ لِسَعَادَتِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَصَلَاحِ أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ،

(١) (٥٦/٨) باختصار.

(٢) يعني: الشافعية. «المؤلف».

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٠).

(٥) أخرجه البخاري (٥٨٩٢).



والعكس، فالمعاصي سبب لكل مصيبة تصيب العبد في نفسه، أو أولاده، أو ماله، أو غير ذلك.

فَادْعُوا كُلَّ مَنْ يَخْلُقُ لِحَيْتِهِ أَوْ يَأْخُذُ مِنْهَا: أَنْ يَسْتَجِيبَ لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ الصريح، وليعلم أنه في كل مرة يخلق لحيته أنه يعصي ربه، ويزداد عظم هذه المعصية بتكرارها والإصرار عليها.

لذا؛ فلتكن هذه العشر - والأكثر مُمَسِّكُونَ عَنْ حَلْقِ لِحَاهُمْ لِأَجْلِ الْأُضْحِيَّةِ - لتكون بداية مباركة للاستجابة لله ورسوله ﷺ، والتوبة عما سلف من خلقها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].



تنبيهات للحجاج

قال النبي ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»، رواه الشيخان^(١).
قال ابن رجب رحمه الله: يكون الحج مبرورًا باجتماع أمرين فيه، أحدهما: الإتيان بأعمال البر، والآخر: اجتناب أفعال الإثم^(٢).
ولهذا، فيوصي الحاج: بالاجتهاد بالأعمال الصالحة؛ اعتناء بالفرائض، واستكثارًا من النوافل، وأعظم ذلك وأهمه وأفضله: الصلاة، فيحرص على الصلوات الخمس ويعتني بهن، ويستكثر من النوافل بالليل والنهار.
قال ابن رجب رحمه الله: «كان السلف يواظبون في الحج على نوافل الصلاة، وكان النبي ﷺ يواظب على قيام الليل على راحلته في أسفاره كلها، ويوتر عليها» انتهى^(٣).

(١) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(٢) ينظر: لطائف المعارف، ص (٥١٣، ٥١٨).

(٣) لطائف المعارف، ص (٥١٩).

وبعض الناس يظنُّ أنَّ المسافر لا يُسنُّ في حقِّه صلاةُ النافلة، وهذا فهمٌ غيرٌ صحيح؛ الذي لا يُسنُّ له: هو صلاةُ راتبةِ الظهرِ والمغربِ والعشاء، أما ما سوى ذلك من النوافلِ في الليلِ والنهارِ فإنَّها باقيةٌ على استحبابِها.

هكذا قالَ الشيخُ عبدُ العزيزِ بنُ بازٍ والشيخُ محمدُ العثيمينُ رحمهما اللهُ، وغيرُهما من العلماءِ.

بل لا يبعدُ أنْ يقالَ: إنَّ التنفلَ بالصلاةِ في الحجِّ يتأكَّدُ استحبابُه؛ لثلاثةِ أسبابٍ: لشرفِ الزمانِ، والمكانِ، والحالِ.

فالزمانُ: أيامُ العشرِ أو أيامُ التشريقِ، وهي مواسمٌ فاضلةٌ. والمكانُ: الحرمُ، فإنَّ منى من الحرمِ، وأغلبُ إقامةِ الحاجِّ في منى. والحالُ: حالُ شريفةٍ يحبُّها اللهُ ﷻ.

ومما يتأكَّدُ استحبابُه في حقِّ الحاجِّ: كثرةُ ذكْرِ اللهِ ﷻ، كما قالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقالَ تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقالَ تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ [الحج: ٢٨]، وقالَ تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وفي مسندِ الإمامِ أحمدَ^(١): عن معاذِ بنِ أنسٍ أنَّ رجلاً قالَ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ الجهادِ أعظمُ أجراً؟ قالَ: «أكثرُهم لله ذكراً»، قالَ: فأَيُّ الصائمينِ أعظمُ أجراً؟ قالَ: «أكثرُهم لله ذكراً». ثُمَّ ذَكَرَ الصلاةَ والزكاةَ والحجَّ والصدقةَ، كُلُّ ذَلِكَ ورسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «أكثرُهم لله ذكراً»، فقالَ أبو بكرٍ رضي الله عنه: يا أبا حفصٍ: ذهبَ الذاكرونَ بكلِّ خيرٍ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَجَلٌ».

ومن الذِّكْرِ؛ بل أفضلُه: تلاوةُ القرآنِ؛ فليحرصِ الحاجُّ على أنْ يختَمَ القرآنَ في أيامِ الحجِّ، وقد جاءَ نحوُ هذا عن بعضِ السلفِ، والوقتُ فيه سعةٌ،



لكنَّ الظاهرة المتكررة أنَّ النفوسَ تميلُ إلى إِرْجَاءِ الوقتِ بالأحاديثِ أو التحديقِ في شاشةِ الجوالِ ومتابعةِ الأخبارِ ومطالعةِ المقاطعِ ونحوِ ذلك مما فيه إهدارٌ لأيامِ هذا الموسمِ وساعاتِهِ التي لا تقدرُ قيمَتُها بثمنٍ بما لا طائلَ وراءَهُ.

ومما يتأكدُ على الحاجِّ التفتُّنُ لَهُ والتحرُّزُ مِنْهُ: ألا يكونَ أكبرَ همِّهِ في حجهِ طعامُهُ وشرابهُ، يَرْضَى لأجلِهِ ويسخُطُ لأجلِهِ، فقد يكونُ حينئذٍ لَهُ نصيبٌ مِنْ قولِ النبيِّ ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ»^(١).

والحمدُ لله، لا حَرَجَ عَلَيْكَ أَنْ تُمَتِّعَ نَفْسَكَ بالطيباتِ مِنَ الرِّزْقِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلْ واشربْ والبسْ مِنْ غيرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ»^(٢)؛ لكنَّ المحذُورَ: كثرةُ التذمُّرِ واللَّغْطِ وارتفاعُ الأصواتِ والجدالِ والخصوماتِ لأجلِ ذَلِكَ.

وأسوأُ مِنْ ذَلِكَ: ما يَقَعُ فِيهِ بعضُ الحجاجِ مِنْ تناوُلِ مديرِ الحملةِ أو مشرفِها بالذمِّ، وأنَّهم قَصَّروا في كذا، ووعدوا بكذا فأخلفوا، ونحوُ ذَلِكَ، وهذا مِنَ الغيبةِ.

وقد تقدَّم مِنْ كلامِ الحافظِ ابنِ رجبٍ أَنَّ بَرَّ الحَجِّ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِاجْتِنَابِ أفعالِ الإثمِ.

نعم، لَكَ حَقٌّ عَلَى حَمَلَتِكَ أَنْ يُؤْفُوا بِمَا التزموا بِهِ مِنْ حَقِّكَ؛ فِي المَطْعَمِ والمَبِيتِ والنَقْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ لَكِنْ إِذَا رَأَيْتَ أَنَّهُمْ قَدْ قَصَّروا فِي حَقِّكَ مِنْ حَقِّكَ، وَأَرَدْتَ اسْتِيفَاءَهُ فَاسْلُكْ لِذَلِكَ الْمَسَالِكَ الشَّرْعِيَّةَ وَالنِّظَامِيَّةَ، وَلَا تَجْمَعْ عَلَى نَفْسِكَ تَفْوِيتَ حَقِّكَ مِنَ المَطْعَمِ أَوْ نَحْوِهِ وَتَفْوِيتَ مَا هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْظَمُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ حُجَّكَ مَبْرُورًا.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) أخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥).

نَبِيَّهُ ثَالِثٌ: رَوَى مُسْلِمٌ^(١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبِيدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟».

لَعَلَّ مِنَ الْأَنْفَعِ لِلْحَاجِّ أَنْ يَحْرَصَ عَلَى أَلَّا يُجْهَدَ نَفْسُهُ ضُحَى يَوْمِ عَرَفَةَ، وَأَنْ يُوَفِّرَ اجْتِهَادَهُ لِلْعَشِيِّ، وَذَلِكَ مِنْ بَعْدِ زَوَالِ الشَّمْسِ^(٢).

وَالَّذِي يَحْصُلُ مِنْ بَعْضِ الْحِجَاجِ أَنَّهُ حِينَ يَصِلُ إِلَى مَخِيمِهِ ضُحَى يَوْمِ عَرَفَةَ قَدْ يَأْخُذُهُ الْحِمَاسُ وَالرَّغْبَةُ بِالْخَيْرِ فَيَنْهَمُكُ بِالتَّلَاوَةِ أَوْ الصَّلَاةِ، ثُمَّ إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ وَبَدَأَ وَقْتُ الْجَهَادِ فَإِذَا هُوَ مُجْهَدٌ يَحْتَاجُ أَنْ يَرْقُدَ، فَلْيَكُنْ حَازِمًا وَلْيَدْخُرْ نَشَاطَهُ.

وَمِمَّا يُنبِّهُ إِلَيْهِ الْحَاجُّ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ: أَنْ يَحْرَصَ عَلَى أَنْ يَكْسِبَ الدَّقِيقَةَ قَبْلَ السَّاعَةِ؛ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُ لَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ وَأُذِّنَ لِلظَّهْرِ، خُطِبَ، ثُمَّ صَلَّى الظَّهَرَ وَالْعَصَرَ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى رَاحِلَتِهِ يَدْعُو رَافِعًا يَدَيْهِ، حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ^(٣).

وَالَّذِي يَحْصُلُ مِنْ بَعْضِ الْحِجَاجِ: تَقْوِيَةُ هَذِهِ السَّاعَةِ النَّفِيسَةِ، فَتَرَاهُ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الظَّهَرَ وَالْعَصَرَ جَمْعًا، قَرَأَ أَوْ دَعَا قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَجَعَ، ثُمَّ أَوْقَظَ لِلْغَدَاءِ، ثُمَّ انْشَغَلَ بَعْدَهُ بِاحْتِسَاءِ الشَّايِ أَوْ الْقَهْوَةِ، ثُمَّ لَمَّا بَقِيَ عَلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ نَحْوُ سَاعَةٍ وَنِصْفٍ - وَهَذِهِ مِنْ أَنْفُسِ سَاعَاتِ هَذَا الْيَوْمِ - دَعَاهُ مَشْرِفُ الْحِمْلَةِ أَنْ يَجْمَعَ أَغْرَاضَهُ تَهَيُّوًا لِمَغَادِرَةِ الْمَخِيمِ.

فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْعَبْنِ، بَيْنَمَا كَانَ الْأَوَّلَى بِهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي حِفْظِ الْوَقْتِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٣٤٨).

(٢) أَي: مِنْ دُخُولِ وَقْتِ صَلَاةِ الظَّهْرِ.

(٣) كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ، وَفِيهِ: «ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصَوَاءِ إِلَى الصَّخْرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمَشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصَّفْرَةُ قَلِيلًا، حَتَّى غَابَ الْقَرَصُ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٢١٨).



وعِمَارَتِهِ بالدعاء ونحوه، ثُمَّ إِذَا دُعِيَ إِلَى مَغَادِرَةِ الْمَخِيمِ - وَكَانَ قَدْ بَقِيَ عَلَى الْمَغْرِبِ وَقْتُ - فَلْيَبْقَ عَلَى دُعَائِهِ وَذِكْرِهِ واجتهاده، حتى وهو يسيرُ إلى الحافلة أو محطة القطار.

التنبيه الخامس: من مواطن الدعاء: بعد رمي الجمرتين؛ الصغرى والوسطى، وكان النبي ﷺ يطيلُ الوقوفَ للدعاء جَدًّا، حتى رويَ أَنَّ ذَلِكَ نَحْوُ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ^(١).



رسالة إلى الإشراف الثقافي في الحملات

قَدْ جَرَتْ عَادَةٌ كَثِيرٌ مِنْ حَمَلَاتِ الْحَجِّ بِإِيكَالِ مَسْأَلَةِ إِفَادَةِ الْحَاجِّ إِلَى شَخْصٍ أَوْ أَشْخَاصٍ - فِيمَا اضْطُلِحَ عَلَيْهِ بِمَسْمَى «المشرف الثقافي» أو «الإشراف الثقافي» -، وَيَقُومُ هَؤُلَاءِ بِجُهِودٍ مَشْكُورَةٍ فِي إِفَادَةِ أَفْرَادِ الْحَمَلَةِ؛ فِي تَرْتِيبِ الْكَلِمَاتِ، وَالْمَحَاضِرَاتِ، وَاسْتِضَافَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَبَيَانِ أَعْمَالِ كُلِّ يَوْمٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَلَعَلَّ مِمَّا يَتَأَكَّدُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ: أَنَّ بَعْضًا مِنْهُمْ دَرَجَ عَلَى تَنْظِيمِ بَرْنَامِجٍ لَيْلِيٍّ، صِبْغَتُهُ الْعَامَّةُ: الْفِكَاهَةُ، وَقَدْ يَمْتَدُّ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ مَدَّةَ سَاعَتَيْنِ، وَرُبَّمَا زَادَ.

(١) إطالة وقوف النبي ﷺ أخرجه البخاري (١٧٥١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه أَنَّهُ كَانَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصَيَّاتٍ، يُكَبِّرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يُسْهَلَ، فَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا، وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْوُسْطَى، ثُمَّ يَأْخُذُ ذَاتَ الشَّمَالِ فَيَسْتَهْلُ، وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا، وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، وَيَقُومُ طَوِيلًا، ثُمَّ يَرْمِي جَمْرَةَ ذَاتِ الْعَقْبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَيَقُولُ: «هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَفْعَلُهُ».

وأما كون الوقوف مقدار ما يقرأ الرجل سورة البقرة فأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤٣٤٣) موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنهما.

وهذا الاجتهاد - بهذه الصورة - لا شكَّ أنَّه اجتهادٌ أحسنُ ما يُقالُ فيه: إنَّه مفضولٌ؛ بل قد لا يُتَحَرَّجُ أن يُقالَ: اجتهادٌ خاطئٌ؛ لأنَّ الوقتَ ثمينٌ، وثمانٌ جدًّا، فليكنْ في كَسْبِ فضلِ البقعةِ والزمانِ والحالِ التي عليها هؤلاء، وهم - في الغالبِ - لم يَظُلْ عليهم الوقتُ إلى درجةٍ يصلونَ فيها إلى حَدٍّ من الاكتئابِ أو الحزنِ أو المللِ أو الضجرِ؛ حتى يكونَ مثلُ هذا البرنامجِ له محلٌّ.

لا بأسَ بالدعابةِ وشيءٍ من الترويحِ أو ما أشبهَ ذلكَ؛ لكنَّ أن يكونَ هو الصَّبْغَةُ العامَّةُ - كما هو متكرِّرٌ في برامجٍ كثيرٍ من المشرفينِ وكثيرٍ من الحملاتِ - لا شكَّ أنَّ هذا خطأ، ومن الخُسْرِ وتضييعِ الوقتِ، وليسَ من النَّصَحِ لإخوانه.

بل المشاهدُ: أنَّ الجَوَّ العامَّ هو الاستعدادُ من الحجاجِ والتَّقبُّلُ للفائدةِ. وكونه قد أُلْقِيَ عليهم محاضرةٌ أو كلمةٌ في اليومِ أو ما أشبهَ ذلكَ: لا يُسَوِّغُ حَرْقَ هذه الساعاتِ، من هذه اللياليِ النفيسةِ التي تُعدُّ على أصابعِ اليدِ الواحدةِ، والنفوسُ مقبلةٌ.

لا أقولُ ليكنِ البرنامجُ جادًا مئةً في المئة؛ لكنْ بالشكلِ القائمِ والمتكرِّرِ: تَعْلُو الضحكاتُ من حينٍ أن يبدؤوا إلى أن ينتهوا، وتكونُ هذه صبغته، وقد يُطْعَمُ ببعضِ الفوائدِ أو ما أشبهَ ذلكَ؛ مما لا يُؤثِّرُ في الجَوِّ العامِّ، والسَّمرُ يَمْتَدُّ في هذه اللياليِ المتميزةِ، والنَّبِيُّ ﷺ نهى عن السَّمرِ بعدَ العشاءِ^(١)؛ إلا ما استثنى، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

ثمَّ لننظرْ حالَ الصحابةِ رضي الله عنهم، لما خرجوا مع النَّبِيِّ ﷺ في حجةِ الوداعِ، فأمرهم النَّبِيُّ ﷺ أن يُحوِّلُوا حَجَّهم إلى عمرَةٍ، ثمَّ أخبرهم - لما قضوا أعمالَ العمرَةِ - أنَّه حلَّ لهم كُلُّ شيءٍ حُرِّمَ عليهم بالإحرامِ، فكَبَّرَ ذلكَ عليهم، وقالوا:

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٩) في السنن، وأصله في البخاري (٥٤٧)، ومسلم (٦٤٧).



يا رسول الله، أيأتي أحدنا عرفه وهو كذا وكذا؟ يعني وقد عادَ إلى شهوات الدنيا ومُتَعِها ومعاشرَةِ النساءِ ونحوِ ذلك من المُتَعِ المباحة^(١). . . كأنَّهم كانوا يَظْمَحُونَ أَنْ يَكُونَ الْجَوْ كُلُّهُ جَوْ عِبَادَةٍ، وَجَوْاً فِي أَعْمَالِ الآخِرَةِ، وَيَتَعَدُّوا عَنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ لَهُمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ.

المقصودُ: أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ التَّرْتِيبَاتِ وَالِاجْتِهَادَاتِ مِنْ بَعْضِ مُشْرِفِي الْحَمَلَاتِ - وَفَقَّهَمُ اللَّهُ وَسَدَّدْنَا وَإِيَّاهُمْ وَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْهُمْ وَنَفَعَهُمُ اللَّهُ وَنَفَعَ بِهِمْ - تَحْتَاجُ إِعَادَةَ نَظَرٍ وَتَصْحِيحٍ.

وَفَقَّ اللَّهُ الْجَمِيعَ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَجَعَلْنَا اللَّهُ مِفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، مَبَارِكِينَ أَيْنَمَا كُنَّا، وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلْهَمَنَا رُشْدَنَا، وَيُعِيذَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه، وَأَنْ نَقْتَرِفَ عَلَى أَنْفُسِنَا سُوءًا أَوْ نَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ، وَأَنْ يُؤْتِنَا الْحِكْمَةَ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وَالنَّبِيُّ ﷺ ضَمَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي الْحِكْمَةَ»^(٢)، وَفِي رَوَايَةٍ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي الْكِتَابَ»^(٣)، فَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَلِّمَنَا الْكِتَابَ، وَيُعَلِّمَنَا الْحِكْمَةَ، وَيَجْعَلَنَا مَبَارِكِينَ أَيْنَمَا كُنَّا، لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، وَيَهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قَرَةً أَعْيُنٍ، وَوَالِدِينَ وَأَزْوَاجَنَا، وَأَهْلِينَا، وَعَشِيرَتَنَا، وَمَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْنَا، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ.



يَوْمُ النَّحْرِ

وَرَدَ فِي شَأْنِ أَيَّامِ الْعَشْرِ نصوصٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَكِنَّ يَوْمَ النَّحْرِ لَهُ مَزِيَّةٌ وَشَأْنٌ، فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُسْنَدِهِ - وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي

(١) أخرجه البخاري (١٦٥١)، ومسلم (١٢١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥).

«صحيح الجامع»^(١) - من حديث عبد الله بن قُرْطُ مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «أَعْظَمُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ: يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ»، الذي هو أولُ أيامِ التشريقِ. فبغروبِ شمسِ اليومِ العاشرِ من ذي الحجةِ تنتهي العَشْرُ، هذه العَشْرُ الشريفةُ المتميزةُ، فيتعينُ الاعتناءُ بهذه العَشْرِ، لا أقولُ إلى آخرِ ساعاتِها؛ بلُ إلى آخرِ دقائقِها.

ولا يعني هذا أنَّ من انشغلَ بالأضاحي أو بما لا يناسبُ تأخيرَهُ - كالتواصلِ مع الأقربينَ ونحوِ ذَلِكَ - أنَّ هذا انشغلَ بمفضولٍ؛ لكنَّ المقصودَ استثمارُ هذا اليومِ من أولِهِ إلى آخرِهِ، وتأجيلُ ما يَتَأَتَّى تأجيلُهُ دونَ حَرَجٍ إلى أنْ تغربَ الشمسُ، ثُمَّ بعدَ ذَلِكَ يُمكنُ أنْ يواصلَ ويؤدِّي سائرَ الأعمالِ؛ فالأعمالُ بالخواتيمِ.

واغتنامُ هذا اليومِ إلى دقائقهِ الأخيرةِ فيه فوائدُ: منها: أَنَّهُ يَدُلُّ على جِدِّ العبدِ في حرصِهِ على هذه العَشْرِ، وَأَنَّهُ ما سَيِّمَ، وإنما هو مُشَوِّقٌ ومُتَشَوِّقٌ إلى فضلِها وإلى عمارَتِها بما هي أَهْلُ لَهُ. وكذلكَ منها: أَنَّ العملَ الصالحَ في أوقاتِ الغفلةِ وانشغالِ الناسِ لَهُ شأنٌ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ.

فَقَدْ وَرَدَتِ الإِشارةُ إلى هذا المعنى في عِدَّةِ نصوصٍ؛ مِنْ ذَلِكَ: ما وَرَدَ في فضلِ العبادَةِ وَقَتِ الفتنِ، حيثُ ينشغلُ الناسُ بالقيَلِ والقالِ وما أَشَبَهُ ذَلِكَ: «العبادةُ في الهَرَجِ كهجرةِ إليَّ»^(٢)، وقريبٌ مِنْ أَلْفاظِ هذا الحديثِ، وكذلكَ ما وَرَدَ في فضلِ الذِّكْرِ في السُّوقِ - إنْ صَحَّ الحديثُ^(٣) -.. وكذلكَ

(١) أخرجه أبو داود (١٧٦٥) في السنن، وأحمد (١٩٠٧٥)، وينظر: صحيح الجامع للألباني (١٠٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

(٣) عن عمر بن الخطاب ؓ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُخَيِّرُ وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، =



رُويَ : « إِنَّ عِبْدِي كُلَّ عَبْدِي الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ »^(١) ، كَأَنَّ الْمَعْنَى :
وَهُوَ مُقَابِلَهُ فِي الْقِتَالِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . وَلَهُ شَوَاهِدُ أُخْرَى .

عَلَى كُلِّ ؛ يَكْفِي أَنَّهُ مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ : « مَا مِنْ أَيَّامٍ
الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ ... »^(٢) .

ثُمَّ إِنَّهُ أَخَّرَ الْعَهْدَ بِهَذِهِ الْعَشْرِ ، فَبَغْرُوبِ شَمْسِ هَذَا الْيَوْمِ تَنْطَوِي هَذِهِ
الْعَشْرُ ، عَشْرُ هَذَا الْعَامِ ، وَلَا تَعْلَمُ إِنْ أَمَدَ اللَّهُ فِي عَمْرِكَ بَعْدَ عَامٍ كَامِلٍ لَا تَدْرِي
أَيْنَ أَنْتَ وَكَيْفَ وَضَعُكَ وَحَالُكَ ؛ فَجَدِيرٌ أَنْ يُعْتَنَى وَيُتَوَاصَى بِهَذَا^(٣) .



= بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ
سَيِّئَةٍ ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ » ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٤٢٨) ، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٢٣٥) ،
وَقَالَ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ : إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا .

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي السَّنَنِ (٣٥٨٠) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٩٦٩) .

(٣) أَلْقَى الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عَامَ ١٤٤٠ هـ ، أَيَّ قَبْلَ وَفَاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ
بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ تَقْرِيبًا ، جَعَلَ اللَّهُ مُسْتَقَرَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ ، وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ ، آمِينَ .



القسم الرابع الصلاة

منزلة الصلاة في الإسلام

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه: ١٣٢]، ويقول تبارك وتعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ [مريم: ٥٥].

فمن هنا أقرأ ما ذكره الشيخ سيد سابق رحمه الله في كتابه: «فقه السنة في الإسلام»^(١)، في بيان ظرف من منزلة الصلاة.

يقول رحمه الله: «للصلاة في الإسلام منزلة لا تعدلها منزلة أي عبادة أخرى، فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا بها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله».

وهي أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات، تولى إيجابها بمخاطبة رسوله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من غير واسطة: قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ خَمْسِينَ، ثُمَّ نُقِصَتْ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْسًا، ثُمَّ نُودِيَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لَكَ بِهِذِهِ الْخَمْسَ خَمْسِينَ»، رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه.

وهي أول ما يحاسب عليه العبد: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:



«أول ما يُحاسبُ عليه العبدُ يومَ القيامةِ الصَّلَاةُ، فإنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سائرُ عَمَلِهِ، وإنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سائرُ عَمَلِهِ»، رواه الطبراني^(١).

وهي آخرُ وصيةٍ وصَّى بها رسولُ الله ﷺ أمته عندَ مفارقةِ الدنيا، جعلَ يقولُ - وهو يلفظُ أنفاسَهُ الأخيرةَ -: «الصَّلَاةُ، الصَّلَاةُ، وما مَلَكَتْ أيمانُكُمْ».

وهي آخرُ ما يُفقدُ من الدِّينِ، فإنْ ضاعَتْ ضاعَ الدِّينُ كُلُّهُ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَتَنْقُضَنَّ عُرَى الإسلامِ عُرْوَةُ عُرْوَةٌ، فكلُّما انتقضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بالتِي تليها، فأولُهنَّ نَقْضُ الحُكْمِ، وآخرُهنَّ الصَّلَاةُ»، رواه ابنُ حَبَّانَ مِنْ حديثِ أبي أمامةٍ رضي الله عنه.

والمُتَّبِعُ لآياتِ القرآنِ الكريمِ يرى أَنَّ اللهَ - سبحانه - يَذْكُرُ الصَّلَاةَ ويقرنها بالذِّكْر تارةً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [١٤] وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٥]. وتارةً يقرنها بالزكاة - بل كثيراً ما يقرنها بالزكاة -: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. ومرةً بالصبرِ: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وَطَوَّارًا بِالنُّسْكِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٢] لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]. وأحياناً يَفْتَتِحُ بها أعمالَ البرِّ وَيَخْتَتِمُهَا بها، كما في سورةِ المعارجِ، وفي أولِ سورةِ المؤمنينَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩ - ١١].

(١) وصححه الألباني رحمته الله. «المؤلف» وينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/٣٤٣)،

صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٥٠٣).

ولأنَّ الصلاةَ من الأمورِ الكبرى التي تحتاجُ إلى هدايةٍ خاصةٍ سألَ إبراهيمُ ﷺ رَبَّهُ أَنْ يجعلَهُ وذريَّتَهُ مقيماً لها، فقالَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءً﴾ [إبراهيم: ٤٠].



مَنْ جُودَ رَبَّنَا وَكَرَمِهِ

روى الإمامُ مسلمٌ في صحيحِهِ^(١) عَنْ عمرو بنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنْهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بَرَجِلَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرَأْتُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ». قُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أُرْسَلَنِي اللَّهُ»، قُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَ؟ قَالَ: «أُرْسَلَنِي بِصَلَاةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ»، وَمَعَهُ يَوْمئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ رضي الله عنهما، قُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ. قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ، فَأْتِنِي»، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي، وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِي الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سَرَّاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ. فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبَرَنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ فَيَذَرُ رُوحٌ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكَفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ،



فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ، حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمَحِ^(١)، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمَ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ، حَتَّى تَصِلِيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، حَتَّى تَغْرِبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرِبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكَفَّارُ»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا الْوُضُوءُ، حَدَّثَنِي عَنْهُ؟ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يَقْرُبُ وَضُوءُهُ فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخِيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافٍ لِحِيَّتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافٍ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمَدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَأَتْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ تَعَالَى: إِلَّا أَنْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا أَمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أَمَامَةَ: يَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ! انْظُرْ مَا تَقُولُ، فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ عَمْرُو: يَا أَبَا أَمَامَةَ، لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَاقْتَرَبَ أَجْلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَوْ لَمْ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَاتٍ - مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَدًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ صَلِّ»، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ: ذُكِرَ فِي تَفْسِيرِهَا: أَيُّ تَحَضُّرِهَا مَلَائِكَةُ النَّهَارِ لِتَكْتَبَهَا وَتَشْهَدَ بِهَا لِمَنْ صَلَّىهَا^(٢).



(١) يعني: حتى يبلغ ظله أدنى غاية في النقص. «المؤلف».

(٢) قاله ابن حجر الهيتمي في «فتح الإله». ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣٤٤/٤).

ما الذي أفرغ الصحابة ﷺ؟

روى الإمام مسلم في صحيحه ^(١) عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ، وَتَأْتُونَ الْمَاءَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَدًا».

يعني كانوا في غزوة مع النبي ﷺ، وفي مرحلة من المراحل كان موضع الماء القادم بعيداً يحتاج مواصلة، فالنبي ﷺ وجههم أن يواصلوا سيرهم؛ عَشِيَّتَهُمْ - يعني ما تَبَقَّى من النهار -، وليلَتَهُمْ؛ حتى لا يطول عليهم الوقت، فيبادرون، ولا ينتظر أحدٌ أحدًا.

قال أبو قتادة رضي الله عنه: فَأَنْطَلَقَ النَّاسُ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَ اللَّيْلُ ^(٢)، وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَنَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ ^(٣) مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى تَهَوَّرَ اللَّيْلُ ^(٤) مَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، قَالَ: فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ السَّحْرِ مَالَ مَيْلَةٍ هِيَ أَشَدُّ مِنَ الْمَيْلَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ حَتَّى كَادَ يَنْجَفِلُ ^(٥) فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قُلْتُ: أَبُو قَتَادَةَ، قَالَ: «مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرَكَ مِنِّي؟» قُلْتُ: مَا زَالَ هَذَا مَسِيرِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ.

يعني كان رضي الله عنه متابعاً للنبي ﷺ من أول الليل؛ مع ما كان فيه من الإجهاد والحاجة للراحة؛ لكن هكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على القرب من النبي ﷺ، ويبقون حوله؛ لحاجته، ولئلا يصيبه رضي الله عنه شرٌّ، رضي الله عنهم أجمعين.

قال أبو قتادة: قُلْتُ: مَا زَالَ هَذَا مَسِيرِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ، قَالَ: «حَفِظَكَ اللَّهُ

(١) أخرجه مسلم (٦٨١).

(٢) يعني: انتصف. «المؤلف».

(٣) يعني: أسندته. «المؤلف».

(٤) يعني: ذهب أكثره. «المؤلف».

(٥) يعني: يسقط رضي الله عنه عن راحلته. «المؤلف».



بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهُ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «هَلْ تَرَانَا نَخْفَى عَلَى النَّاسِ؟» ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَرَى مِنْ أَحَدٍ؟» قُلْتُ: هَذَا رَاكِبٌ، ثُمَّ قُلْتُ: هَذَا رَاكِبٌ آخَرُ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فَكُنَّا سَبْعَةَ رُكَبٍ، قَالَ: فَمَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّرِيقِ فَوَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «احْفَظُوا عَلَيْنَا صَلَاتِنَا»، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالشَّمْسُ فِي ظَهْرِهِ، قَالَ: فَقُمْنَا فَرِعَيْنَ، ثُمَّ قَالَ: «ارْكَبُوا»، فَارْكَبْنَا فَمَرْنَا، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ نَزَلَ.

وَوَرَدَ تَعْلِيلُ هَذَا فِي رَوَايَةٍ أُخْرَى^(١): «فَإِنَّ هَذَا مَنْزِلُ حَضْرَانَا فِيهِ الشَّيْطَانُ».

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثُمَّ دَعَا بِمِضَاةٍ كَانَتْ مَعِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، قَالَ: فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وَضُوءًا دُونَ وَضُوءٍ.

يعني وضوءًا مُجْزِئًا دُونَ الْوُضُوءِ الْمَعْتَادِ الْمَسْبُغِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَضَّأُ؛ مِرَاعَاةً لِقَلَّةِ الْمَاءِ.

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَبَقِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ قَالَ ﷺ لِأَبِي قَتَادَةَ: «احْفَظْ عَلَيْنَا مِضَاةَكَ فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ»، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكَعَتَيْنِ^(٢)، ثُمَّ صَلَّى الْغَدَاةَ^(٣)، فَصَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ كُلَّ يَوْمٍ^(٤)، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَارْكَبْنَا مَعَهُ، فَجَعَلَ بَعْضُنَا يَهْمِسُ إِلَى بَعْضٍ: مَا كُفَّارَةٌ مَا صَنَعْنَا بِتَفْرِيطِنَا فِي صَلَاتِنَا؟^(٥)، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «أَمَا لَكُمْ فِي أُسْوَةٍ؟» ثُمَّ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ عَلَى مَنْ لَمْ يُصَلِّ الصَّلَاةَ حَتَّى يَجِيءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ الْآخَرَى، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلْيُصَلِّهَا حِينَ يَنْتَبِهْ لَهَا»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «مَا تَرَوْنَ النَّاسَ صَنَعُوا؟» ثُمَّ قَالَ: «أَصْبَحَ النَّاسُ فَقَدُوا

(١) أخرجها مسلم (٦٨٠).

(٢) يعني: سُنَّةُ الْفَجْرِ. «المؤلف».

(٣) يعني: فريضة الفجر. «المؤلف».

(٤) يعني: بدأ بالنافلة ثم الفريضة. «المؤلف».

(٥) يعني كأنهم رأوا أنهم ارتكبوا شيئًا كبيرًا. «المؤلف».

نَبِيِّهِمْ^(١)، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَدَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُخْلَفَكُمْ^(٢)، وَقَالَ النَّاسُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ^(٣)، فَإِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْضُدُوا.

وهذه مَنَقِبَةٌ للعمرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لِحُسْنِ ظَنِّهِم بِالنَّبِيِّ ﷺ، ومعرفةِهم نَصَحَهُ لَأَمَّتِهِ ولأَصْحَابِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُقَدِّمَ حَاجَتَهُ وَيَنْسَى أَصْحَابَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي مِثْلِ هَذَا الظَّرْفِ الْحَرَجِ وَفِي هَذِهِ الْمَهْلَكَةِ الَّتِي لَا مَاءَ حَوْلَهُمْ؛ إِلَّا بَعْدَ هَذِهِ الْمَسَافَةِ الطَّوِيلَةِ.

وقوله ﷺ: «إِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْضُدُوا» هَذَا كَلَامٌ عَامٌّ يُحْمَلُ عَلَى عُمُومِهِ؛ وَلَيْسَ فَقَطْ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ.

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّاسِ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ وَحَمِيَ كُلُّ شَيْءٍ^(٤)، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْنَا عَطِشْنَا، فَقَالَ ﷺ: «لَا هُلْكَ عَلَيْكُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «أَطْلِقُوا لِي عُمْرِي^(٥)»، قَالَ: وَدَعَا بِالْمِیْضَاءِ^(٦)، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُبُّ وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ، فَلَمْ يَعُدْ أَنْ رَأَى النَّاسُ مَاءً فِي الْمِیْضَاءِ تَكَابَّوْا

(١) يعني لما أسفرت الدنيا وتَفَقَّدَ بعضهم بعضًا. «المؤلف».

(٢) يعني: لم يصل النبي ﷺ، على عادته: إذا كانوا متوجهين لِلْغَزْوِ حَيْثُ يَكُونُ الْخَوْفُ أَمَامَهُمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَمَامَهُمْ، وَإِذَا كَانُوا رَاجِعِينَ مِنْ غَزْوٍ إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ يَكُونُ الْخَوْفُ خَلْفَهُمْ - أَنْ يَتَعَقَّبَهُمْ أَحَدٌ - فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي مُؤَخَّرَتِهِمْ؛ لِثَلَا يَصِيبُهُمْ شَيْءٌ، وَلِيَتَابَعَ الضَّعِيفَ وَالْمُنْقَطِعَ وَنَحْوَ ذَلِكَ، «لَمْ يَكُنْ لِيُخْلَفَكُمْ»؛ يعني: ما كان ليتوجه إلى المَاءِ ويتركَكم. «المؤلف».

(٣) يعني أَمَامَكُمْ؛ لِأَنَّهُ حَثَّ النَّاسَ عَلَى أَنْ يَبَادَرُوا وَلَا يَلُوي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ. «المؤلف».

(٤) يعني وَصَلْنَا إِلَيْهِمْ، وَمَا وَصَلُوا إِلَى مُؤَرِّدِ الْمَاءِ إِلَى الْآنَ. «المؤلف».

(٥) يعني اثْنُونِي بِقَدْحٍ مِنْ أَوَانِي الشَّرْبِ، وَهُوَ قَدْحٌ صَغِيرٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ. «المؤلف».

(٦) التي تَوْضَأُ مِنْهَا وَبَقِيَ شَيْءٌ يَسِيرٌ. «المؤلف».



عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْسِنُوا الْمَلَأَ»^(١)، كُلُّكُمْ سَيَرَوِي، قَالَ: فَفَعَلُوا، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ، حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ثُمَّ صَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِي: «اشْرَبْ»، فَقُلْتُ: لَا أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِنَّ سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا»، قَالَ: فَشَرِبْتُ، وَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى النَّاسُ الْمَاءَ جَامِينَ رِوَاءً^(٢).

هذه صفحة من صفحات حياة النَّبِيِّ ﷺ، وجهاده، وغزواته، فمن حين أن وصل النَّبِيُّ ﷺ إلى المدينة وإلى أن تُوَفِّي غَزَا ﷺ تسع عشرة غزوة^(٣)؛ أولها كانت في السنة الثانية، وآخرها غزوة تبوك. . هذا نموذج منها؛ من الجهد؛ سواء في الجوع، أو العطش، أو الخوف، أو الفزع، أو العذر، أو ما أشبه ذلك مما كان يُواجهه النَّبِيُّ ﷺ وأصحابه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ»؛ فهذا - والله الحمد والشكر - من نِعَمِ اللَّهِ، ومن يُسر هذه الشريعة، فإذا كان الإنسان قد اعتاد أن يصلي الصلاة في وقتها، ومرة من المرات مع عزمه أن يستيقظ للصلاة في وقتها، واتخاذِهِ الأسباب التي في العادة أَنَّهُ يستيقظ بها، مع كُلِّ هذا غلبَةُ النوم؛ فالحمدُ لله، ربُّنا رحيمٌ، وديننا ميسرٌ، فمثلُ هذا لم يُفَرِّط: «لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ».

لكنَّ المشكلة والقارعة والكارثة - نسأل الله العافية -: من ينام ثم يقول: إذا استيقظت صليت، فإن كانت له حاجةٌ بالتبكير بكَرَّ بالاستيقاظ، ومن ثم بالصلاة، وإلا صلى ولو كان الوقت قد خرج، فهذا - نسأل الله العافية - أمرُهُ عظيمٌ فظيعٌ، هذا من أفحش الموبقات: تأخير الصلاة عن وقتها لغير عذرٍ.

(١) يعني الخُلُق. «المؤلف».

(٢) يعني: واصلوا مسيرهم حتى وصلوا مؤرِدَ الماء وهم مستريحون رِوَاءً. «المؤلف».

(٣) كما في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٣٩٤٩)، ومسلم (١٢٥٤).

النَّبِيُّ ﷺ رأى حالَ الذينَ ينامونَ عن الصلاةِ، ورأهم كيف يُعَذَّبونَ، فقد أَظْلَعَهُ اللهُ على عذابِهِم: يُضْرَبُ رَأْسُ أَحَدِهِم بِصَخْرَةٍ فَيَتَهَشَّمُ، ثُمَّ يَتَدَحْرَجُ الحَجَرُ، ثُمَّ يَأْتِي المَلَكُ المَوَكَّلُ بِهِ إِلَيْهِ، وإذا رَأْسُهُ قدَ عادَ صحيحًا كما كانَ، فيهِشَّمُهُ بالحجارةِ، وهكذا لا يزالُ^(١)، نسألُ اللهَ العافيةَ والسلامةَ.

الحمدُ لله، رَبُّنا رَحِيمٌ، ما كَلَّفَنا بما لا نُطِيقُ.. الشيطانُ يَثْقُلُ على العبدِ الطاعةَ، ويصورُها أَنها من أَثْقَلِ الأشياءِ، لكنْ إذا عَزَمَ واستعانَ باللهِ؛ ما وَجَدَ اليُسْرَ والسهولةَ فحسب؛ بلْ وَجَدَ الخَيْرَ وانشراحَ الصدرِ وقُرَّةَ العينِ.

حَدَّثَنَا أَحَدُ الأصحابِ، يقولُ: كانَ رجلٌ - من جماعتيه - مثلَ بعضِ أو كثيرٍ من الناسِ - للأسفِ - لا يتركُ الصلاةَ لكنْ لا يَكْتَرِثُ بها؛ مرةً بالبيتِ ومرةً بالمسجدِ، مرةً في الوقتِ ومرةً إذا طلعتِ الشمسُ - نسألُ اللهَ العافيةَ والسلامةَ -، فتزوجَ وكانتِ المرأةُ سالحةً عاقلةً، فبعدَ الزواجِ وبَعْدَ أولِ سفرةٍ لَمَّا عادوا ذهبَتِ المرأةُ إلى أهلِها تزورُهم، فلمَّا كانَ المساءُ وأتى زوجها ليرجعَها إلى بيتِ الزوجيةِ رَفَضَتِ العودةَ معه، قالتُ: لا يمكنُ أنْ يكونَ هذا زوجًا لي وأبًا لأولادي، هذا رجلٌ لا قَدَرٌ للصلاةِ عندهُ، أحيانًا تَطْلُعُ الشمسُ وهو ما صَلَّى الفجرَ، وأَصْرَرْتُ حتى إنه عادَ إلى بيته - وهو العريسُ - ونامَ وحيدًا!.

ثُمَّ بعدَ ذَلِكَ أُرْسِلَ مَنْ يُفَاوِضُها ويلتزمُ لها بأنَّه سيصلي صلاةَ الفجرِ وسائرَ الصلواتِ في وقتِها في المسجدِ.

يُحَدِّثُنِي هذا الرجلُ - الذي من جماعتيه - يقولُ: ما كَمُلَ شهرٌ إلا وهو يتندَّمُ على ما مضى من عُمُرِهِ، يقولُ: يا ليتني كنتُ أدري أَنَّ الصلاةَ هكذا!.





فضل العبادة في وقتِ الفتنِ

خَرَجَ الإمامُ مسلمٌ في صحيحِهِ^(١) عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ».

قَالَ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المرادُ بالهَرَجِ هُنَا: الْفِتْنَةُ وَاخْتِلَاطُ أُمُورِ النَّاسِ، وَسَبَبُ كَثْرَةِ فَضْلِ الْعِبَادَةِ فِيهِ: أَنَّ النَّاسَ يَغْفُلُونَ عَنْهَا وَيَشْتَغِلُونَ عَنْهَا، وَلَا يَتَفَرَّغُ لَهَا إِلَّا أَفْذَادٌ»^(٢).

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ»^(٣): «وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ فِي زَمَنِ الْفِتَنِ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ، وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى دِينٍ، فَيَكُونُ حَالُهُمْ شَبِيهَاً بِحَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِذَا انْفَرَدَ مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِدِينِهِ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَتَّبِعُ مَرَاضِيَهُ، وَيَجْتَنِبُ مَسَاطِطَهُ - كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ هَاجَرَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ، مُتَّبِعًا لِأَوَامِرِهِ، مُجْتَنِبًا لِنَوَاهِيهِ».



نِعَمَ الرَّجُلُ لَوْ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ

رَوَى الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيحِهِ^(٤) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقْضُونَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَنَا غُلَامٌ حَدِيثُ السِّنِّ وَبَيْتِي الْمَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكَحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلَاءِ، فَلَمَّا اضْطَجَعْتُ لَيْلَةً قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيَّ خَيْرًا فَأَرِنِي رُؤْيَا، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ فِي يَدِ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ مِنْ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٨٨/١٨).

(٣) ص (٣١٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٢٨، ٧٠٢٩)، ومسلم (٢٤٧٩).

حَدِيدٍ يُقْبَلَانِ بِي إِلَى جَهَنَّمَ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللَّهَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ، ثُمَّ أَرَانِي لَقَيْنِي مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ فَقَالَ: لَنْ تُرَاعَ، نِعَمَ الرَّجُلُ أَنْتَ لَوْ تَكْثُرُ الصَّلَاةُ، فَاَنْطَلَقُوا بِي حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ لَهَا قُرُونٌ كَقَرْنِ الْبِئْرِ، بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ وَأَرَى فِيهَا رِجَالًا مُعْلَقِينَ بِالسَّلَاسِلِ رُءُوسُهُمْ أَسْفَلَهُمْ، عَرَفْتُ فِيهَا رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَاَنْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَصَصْتُهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ» ^(١)، وَفِي رَوَايَةٍ قَالَ: «إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ لَوْ كَانَ يُكْثِرُ الصَّلَاةَ مِنَ اللَّيْلِ» ^(٢).

قَالَ الزُّهْرِيُّ - أَحَدُ رَوَاةِ الْحَدِيثِ -: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلَاةَ مِنَ اللَّيْلِ ^(٣).

وَفِي رَوَايَةٍ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ بَعْدَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ^(٤).

قَوْلُهُ: «إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ؛ «الْمِقْمَعَةُ»: جَمْعُهَا مِقَامَعٌ، وَهِيَ كَالسَّيَاطِ مِنْ حَدِيدٍ، رُءُوسُهَا مَعُوجَةٌ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْمِقْمَعَةُ كَالْمَحْجَنِ ^(٥). وَالْمَحْجَنُ هُوَ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْمَشْعَابَ.

وَقَوْلُهُ: «فَاَنْطَلَقُوا بِي حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ؛ طَيُّ الْبِئْرِ: أَنْ تُبْنَى جَوَانِبُهَا الدَّاخِلِيَّةُ مِنَ الْحِجَارَةِ.

قَوْلُهُ: «لَهَا قُرُونٌ كَقَرْنِ الْبِئْرِ؛ قُرُونُ الْبِئْرِ هِيَ: الْحِجَارَةُ الَّتِي تُبْنَى عَلَى فُوهَتِهَا لِيُوضَعَ عَلَيْهَا الْخَشْبَةُ الَّتِي تُعَلَّقُ فِيهَا الْبَكْرَةُ، وَالْعَادَةُ أَنَّ لِكُلِّ بَيْتٍ قَرْنَيْنِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٠٢٨، ٧٠٢٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٠٣١).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٠٣١).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١١٢٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٧٩).

(٥) يَنْظُرُ: الصَّحَاحُ لِلْجَوْهَرِيِّ (١٢٧٢/٣)، فَتْحُ الْبَارِيِّ (٤١٨/١٢).



قال الشيخ ابن باز رحمته الله تعليقا على هذا الحديث: في هذا الحث على الإكثار من الصلاة، وأن الإكثار من الصلاة من أعظم الأسباب للوقاية من النار، والسلامة منها، والفوز بالجنة، فينبغي للمؤمن - ولا سيما أهل العلم - أن تكون لهم عناية بالصلاة، والإكثار منها، في ليلهم ونهارهم؛ لما في ذلك من الخير العظيم، وصلاح القلوب.

فينبغي للمؤمن أن يكون له نصيب من التهجد بالليل؛ لأنه من صفات عباد الله الأخيار، ومن صفات أولياء الله الصالحين، فينبغي للمؤمن - ولا سيما طالب العلم - أن يكون له نصيب من الليل ولو قليلا.

وقيام الليل من صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَسْتَوُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، ومن صفات الأخيار: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦].

ولكن ثبت في حديث عبد الله بن عمرو في الصحيحين قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو: «قُمْ وَتَمَّ».

فالسنة للمؤمن أن ينأى قدر ما يستعين به على طاعة الله وقيام الليل، وعلى حاجاته في النهار، فلا يسرف في السهر، ولا يهمل قيام الليل؛ بل يقوم بين ذلك. انتهى كلام الشيخ رحمته الله (١).



فضل قيام الليل (١)

عقد الحافظ ابن رجب رحمته الله في كتابه «لطائف المعارف» (٢) فصلا في فضل قيام الليل، وسوف يُعرض ما ذكره مُجَرَّءًا، وهذا هو الجزء الأول:

قال رحمته الله: خَرَجَ مسلمٌ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(١) ينظر: الفوائد المجنية، ص (١٦٨٧).

(٢) ينظر: ص (٩٧ - ٩٩).

«أفضلُ الصَّيامِ بعدَ شهرِ رمضانَ شهرُ اللهِ الذي تَدْعُونَهُ المحَرَّم، وأفضلُ الصَّلَاةِ بعدَ الفريضةِ قِيَامُ اللَّيْلِ».

دَلَّ هذا الحديثُ على أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ أفضلُ الصَّلَاةِ بعدَ المكتوبةِ، وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «أفضلُ صلاةٍ اللَّيْلِ على صلاةِ النهارِ كفضلِ صدقةِ السِّرِّ على صدقةِ العلانية».

وإنما فَضِّلْتُ صلاةَ اللَّيْلِ على صلاةِ النهارِ لأسبابٍ:
أحدها: أنها أبلغُ في الإسرارِ، وأقربُ إلى الإخلاصِ.

كان السلفُ يجتهدون على إخفاءِ تهجدِهِم، قال الحسنُ رضي الله عنه: كان الرجلُ يكونُ عنده زُورُهُ فيقومُ من اللَّيْلِ يصلي لا يعلمُ به زُورُهُ، وكانوا يجتهدون في الدعاءِ ولا يُسمَعُ لهم صوتٌ، وكان الرجلُ ينامُ مع امرأتهِ على وسادةٍ فيبكي طولَ ليلتهِ وهي لا تشعرُ.

وكان محمدُ بنُ واسعٍ رضي الله عنه يصلي في طريقِ الحجِّ طولَ ليله في مَحْمِلِهِ، ويأمرُ حاديَهُ أَنْ يرفعَ صوتهَ لِيُشغَلَ الناسَ عنه.

وكان بعضهم يقومُ من وسطِ اللَّيْلِ ولا يُدْرِي به، فإذا كان وقتُ طلوعِ الفجرِ رفعَ صوتهَ بالقرآنِ يُؤهِمُ أنه قامَ تلكَ الساعةَ.

السببُ الثاني - من أسبابِ تفضيلِ صلاةِ اللَّيْلِ على صلاةِ النهارِ -: كونُها أشقَّ على النفوسِ، فإنَّ اللَّيْلَ محلُّ النومِ والراحةِ من التعبِ بالنهارِ، فتركُ النومِ مع مِيلِ النفسِ إليه مجاهدةٌ عظيمةٌ.

السببُ الثالثُ: أَنَّ القراءةَ في صلاةِ اللَّيْلِ أقربُ إلى التدبُّرِ، فإنه تنقطعُ الشواغلُ باللَّيْلِ، ويحضرُ القلبُ، ويتواطأُ القلبُ واللسانُ على الفهمِ، كما قال تعالى: ﴿إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]، ولهذا المعنى أَمَرَ بترتيلِ القرآنِ في قِيَامِ اللَّيْلِ ترتيلاً، ولهذا كانت صلاةُ اللَّيْلِ منتهاةً عن الإثْمِ.

السببُ الرابعُ: أَنَّ وقتَ التهجدِ من اللَّيْلِ أفضلُ أوقاتِ التطوعِ بالصلاةِ،



وأقرب ما يكونُ العبدُ من ربه، وهو وقتُ فَتْحِ أبوابِ السماءِ واستجابةِ الدعاءِ واستعراضِ حوائجِ السائلين.

وقد مَدَحَ اللهُ تعالى المستيقظين بالليلِ لِذِكْرِهِ ودَعَائِهِ واستغفارِهِ ومناجاتِهِ، فقال اللهُ تعالى: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [١٦ - ١٧] وقال اللهُ تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] وقال اللهُ تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨].



فضل قيام الليل (٢)

قال الحافظ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ»^(١) فِي فَضْلِ قِيَامِ اللَّيْلِ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لِرَجُلٍ: «لَا تَدْعُ قِيَامَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ لَا يَدْعُهُ، وَكَانَ إِذَا مَرِضَ - أَوْ قَالَتْ: كَسِلَ - صَلَّى قَاعِدًا».

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهَا قَالَتْ: «بَلَّغْنِي عَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ: إِنَّ أَدْنَى الْفَرَائِضِ لَمْ نُبَالِ أَنْ لَا نَزْدَادَ، وَلِعَمْرِي! لَا يَسْأَلُهُمُ اللهُ إِلَّا عَمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْهُمْ قَوْمٌ يَخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا مِنْ نَبِيِّكُمْ، وَمَا نَبِيُّكُمْ إِلَّا مِنْكُمْ، وَاللهُ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِيَامَ اللَّيْلِ»، وَنَزَعَتْ كُلَّ آيَةٍ فِيهَا قِيَامَ اللَّيْلِ.

فَأَشَارَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إِلَى أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ فِيهِ فَائِدَتَانِ عَظِيمَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: الْاِقْتِدَاءُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالتَّأْسِي بِهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

الْفَائِدَةُ الْآخَرَى: تَكْفِيرُ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، فَإِنَّ بَنِي آدَمَ يَخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَيَحْتَاجُونَ إِلَى الْاِسْتِكْثَارِ مِنْ مَكْفَرَاتِ الْخَطَايَا.

(١) ينظر: ص (٩٩ - ١٠٣).

وقيام الليل من أعظم المكفرات، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل **«قيام العبد في جوف الليل يُكفر الخطيئة»**، ثم تلا: **«تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ»** [السجدة: ١٦] الآية، خَرَّجَهُ الإمام أحمد وغيره.

وقد رُوِيَ أَنَّ المتهجدِينَ يدخلُونَ الجنةَ بِغَيْرِ حسابٍ، وَرُوِيَ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاءَ مَنَادٍ يَنَادِي بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقُ: سَيَعْلَمُ الْخَلَائِقُ الْيَوْمَ مَنْ أَوْلَى بِالكَرَمِ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَنَادِي: أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا لَا تَلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ؟ فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَنَادِي: لِيَقُمَ الَّذِينَ كَانُوا يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَنَادِي: لِيَقُمَ الَّذِينَ كَانَتْ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ، فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ يُحَاسَبُ سَائِرُ النَّاسِ». قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: قِيَامُ اللَّيْلِ يَهَوِّنُ طَوْلَ الْقِيَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَإِذَا كَانَ أَهْلُهُ يَسْبِقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَقَدْ اسْتَرَاخَ أَهْلُهُ مِنْ طَوْلِ الْمَوْقِفِ لِلْحِسَابِ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ وَبِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْمَرْفُوعِ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قَرَبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَكْفِيرٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاطَةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ»، خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ. فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ يُوجِبُ صَحَّةَ الْجَسَدِ، وَيَطْرُدُ عَنْهُ الدَّاءَ.



فَضْلُ قِيَامِ اللَّيْلِ (٣)

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي فَضْلِ قِيَامِ اللَّيْلِ^(١):
قِيَامُ اللَّيْلِ كَمَا أَنَّهُ يُكْفَرُ السَّيِّئَاتِ فَهُوَ يَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ أَهْلَهُ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

(١) ينظر: لطائف المعارف، ص (١٠٤ - ١٠٩).



وفي حديث المنام المشهور الذي خَرَّجَهُ الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ: «أنَّ الدرجاتِ: إطعامُ الطعامِ، وإفشاءُ السلامِ، والصلاةُ بالليلِ والناسُ نيامٌ».

وفي «المسند» والترمذيُّ وغيرهما عن النبي ﷺ من وجوه: «إنَّ في الجنةِ غَرْفًا يُرَى ظاهِرُها من باطنِها، وباطنُها من ظاهِرِها...»، وأنها لأهلِ هذه الخصالِ الثلاثة.

وفي حديث عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ رضي الله عنه المشهور المُخَرَّجُ في السننِ: أنه أولُ ما سمع النبي ﷺ يقولُ عند قدومِهِ المدينةَ: «يا أَيُّها الناسُ! أطعموا الطعامَ، وأفشوا السلامَ، وصَلُّوا الأرحامَ، وصَلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ: تدخلوا الجنةَ بِسلامٍ».



فَضْلُ قِيَامِ اللَّيْلِ (٤)

قال ابنُ رجبٍ رحمه الله^(١):

ومن فضائلِ التهجدِ: أن الله تعالى يحبُّ أهلَه، ويباهي بهم الملائكةَ، ويستجيبُ دعاءَهم.

روى الطبرانيُّ وغيره من حديثِ أبي الدرداءِ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثةٌ يحبُّهم اللهُ ويضحكُ إليهم ويستبشرُ بهم»، فذكر منهم: «الذي له امرأةٌ حسناء، وفراشٌ حسنٌ، فيقومُ من الليلِ، فيقولُ اللهُ تعالى: يَذَرُ شهوتَه فيذكرني، ولو شاء رَفَدَ، والذي إذا كان في سفرٍ وكان معه ركبٌ فسهِروا ثم هَجَعُوا فقام من السَّحَرِ في سَرَاءٍ وَضَرَاءٍ».

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ والنسائيُّ من حديثِ أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثةٌ يحبُّهم اللهُ»، فذكر منهم: «وقومٌ ساروا ليلهم حتى إذا كان

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (١٠٩ - ١١٣).

النوم أحب إليهم مما يُعَدَلُ به فوضعوا رؤوسهم، فقام يَتَمَلَّقُنِي^(١) ويتلو آياتي»، وصححه الترمذي.

وفي «المسند» عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَحَبَّهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فيقولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا مَلَأْتُكَ انظروا إلى عبيدي ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ وَمِنْ بَيْنِ حَبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى الصَّلَاةِ؛ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷺ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، وَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فِي الْإِنْهَزَامِ وَمَالُهُ فِي الرَّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أَهْرَقَ دَمَهُ، فيقولُ اللَّهُ ﷻ لِمَلَائِكَتِهِ: انظروا إلى عبيدي رَجَعَ رَجَاءً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أَهْرَقَ دَمَهُ»، رواه أحمد، وذكر بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ.

وقوله: «ثَارَ»: فيه إشارة إلى قيامه بنشاط وعزم.

وكان رسول الله ﷺ إذا سمع الصارخ يقوم للصلاة. رواه البخاري ومسلم.

وفي «المسند» و«صحيح ابن حبان»: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي: يَقُومُ أَحَدُهُمَا مِنَ اللَّيْلِ يَعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الظُّهُورِ وَعَلَيْهِ عُقْدَةٌ فَيَتَوَضَّأُ؛ فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَتُهُ، وَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَتُهُ، وَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَتُهُ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَتُهُ، فيقولُ الرَّبُّ ﷻ لِلَّذِينَ وَرَاءَ الْحِجَابِ: انظروا إلى عبيدي هَذَا يَعَالِجُ نَفْسَهُ يَسْأَلُنِي، مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا فَهُوَ لَهُ».

كان أبو ذر رضي الله عنه يقول للناس: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَرَادَ سَفَرًا أَلَيْسَ يَتَّخِذُ مِنَ الزَّادِ مَا يُصْلِحُهُ وَيُبْلِغُهُ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَسَفَرُ طَرِيقِ الْقِيَامَةِ أَبْعَدُ، فَخُذُوا لَهُ مَا يَصْلِحُكُمْ، حُجُّوا حَجَّةَ لِعِظَائِمِ الْأُمُورِ، صُومُوا يَوْمًا شَدِيدًا حَرُّهُ

(١) قوله: «يَتَمَلَّقُنِي»: التَّمَلَّقُ: التَّوَدَّدُ، وَتَمَلَّقَهُ: تَوَدَّدَ إِلَيْهِ. «المؤلف»، وينظر: لسان العرب (٣٤٧/١٠).

لحرّ يومِ النُّسُورِ، صَلُّوا ركعتينِ في ظلمةِ الليلِ لوحشةِ القبورِ، تصدقوا بصدقةٍ لشرِّ يومٍ عسيرٍ».



رسالةُ أنصحُ بقراءتها

قالَ الشيخُ سعيدُ بنُ عليّ بنِ وهفٍ القحطانيّ رَحِمَهُ اللهُ في كتابهِ القِيمِ «صلاةُ المؤمن»^(١):

فضلُ قيامِ الليلِ عظيمٌ للأُمُورِ الآتيةِ:

أحدها: عنايةُ النبي ﷺ به حتى تَفَطَّرَتْ قدماهُ، فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النبي ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ؟ قَالَ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟»، وعن المغيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟».

الثاني: كونه من أعظم أسباب دخول الجنة، فعن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قَبْلَهُ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - ثلاثاً -، فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكْلِمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

الثالث: كونُ قيامِ الليلِ من أسبابِ رفعِ الدرجاتِ في عُرْفِ الجنة؛ لحديثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ

(١) ينظر: ص (٤٥٧ - ٤٦١).

غُرْفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(١).

الرابعُ: أَنَّ الْمُحَافِظِينَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ مُحْسِنُونَ مُؤَعَّدُونَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَجَنَّةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا لَئِنْ أَرْسَلْنَا بِهِمْ سَفْعًا مِّنَ النَّارِ لَا يُنْفِقُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨]^(٢).

الخامسُ: مَدَحَ اللَّهُ أَهْلَ قِيَامِ اللَّيْلِ فِي جَمَلَةِ عِبَادِهِ الْأَبْرَارِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

السادسُ: شَهِدَ لَهُمُ بِالْإِيمَانِ الْكَامِلِ، فَقَالَ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِإِيمَانِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٦].

السابعُ: نَفَى اللَّهُ التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ نَائِثٍ أَلَيْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

الثامنُ: كَوْنُ قِيَامِ اللَّيْلِ مَكْفَرًا لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاءً لِلْآثَامِ؛ لِحَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قَرِيبٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاءٌ لِلْآثَامِ».

التاسعُ: أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) قَالَ الشَّيْخُ سَعِيدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ حَبَانَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَصَحِيحِ الْجَامِعِ. وَقَالَ فِي مَعْنَى «تَابَعَ الصِّيَامَ»: أَيُّ أَكْثَرَ مِنْهُ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، بَحِثُ تَابَعَ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا يَقْطَعُهَا رَأْسًا. وَقِيلَ: أَقْلَهُ أَنْ يَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. «المؤلف».

(٢) وَقَبْلَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل».

العاشر: شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ؛ لحديث سهل بن سعد رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ! عَشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحَبُّ مِنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ! شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(١).

الحادي عشر: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ غَنِيمَةٌ عَظِيمَةٌ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِيفَاتٍ عِظَامِ سَمَانٍ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «ثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِيفَاتٍ عِظَامِ سَمَانٍ»، رواه مسلم.



نصيحةٌ مُحبِّ

هذه ذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين: في الحديث عن النبي ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ: تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(٢).

وَذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، فَقَالَ: «ذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ - أَوْ قَالَ: أُذُنِهِ -»^(٣).

(١) قَالَ الشَّيْخُ سَعِيدٌ رحمته الله: خَرَّجَهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَحَسَّنَ إِسْنَادَهُ الْمُنْذَرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ، وَعَزَّاهُ إِلَى الطَّبْرَانِيِّ فِي الْأَوْسَطِ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي سُلْسَلَةِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ. «المؤلف».

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٨٥)، وَابْنُ مَاجَهَ (١٣٣٤) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٧٠)، وَمُسْلِمٌ (٧٧٤).

قوله: «حتى أصبح»؛ يعني: حتى طلع الصبح، ولم يتهجد، ويحتمل: حتى فاتته صلاة الفجر^(١).



أوصلوها إلى الأئمة

في شأن قراءة القرآن في التراويح: جاء في رسالة «مسائل صلاة الليل»^(٢) للشيخ محمد بن فهد الفريح - وفقه الله - قوله:

يُستحبُّ للمصلي أن يقرأ القرآن من أوله إلى آخره، ويتأكد الاستحباب في حق الإمام في صلاة التراويح؛ لإسماع المصلين القرآن كله، وعلى هذا جرى عمل المسلمين.

قال القاضي أبو يعلى رحمته الله: لا يُستحبُّ النقصان عن ختمه في الشهر؛ لیسْمَعَ الناسُ جميع القرآن.

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمته الله: قراءة القرآن في التراويح مستحبٌّ باتفاق أئمة المسلمين؛ بل من أجل مقصود التراويح قراءة القرآن فيها؛ لیسْمَعَ المسلمون كلام الله، فإنَّ شهرَ رمضان فيه نزل القرآن، وفيه كان جبريل عليه السلام يُدَارِسُ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن.

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: يُستحبُّ للإمام ألا يسُقَّ على المصلين في قيام رمضان، فليس هناك حدٌّ مُعَيَّنٌ في مقدار القراءة عند العلماء، وقراءة القرآن كاملاً ممكنة بلا مشقة على الناس لمن أحسن ذلك وجزأ القرآن على الليالي حتى يكمله.

ثم ذكر الشيخ صالح - حفظه الله -: أن ممَّا يُصعبُ على بعض الأئمة

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين (١٩٤).

(٢) ينظر: ص (٤٩ - ٥٢).

الْحَتْمَ: التَّكْلَفُ فِي تَطْيِيقِ أَحْكَامِ التَّجْوِيدِ أَثْنَاءَ الْقِرَاءَةِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَرَأُوا قِرَاءَةً سَمَحَةً لَمَا شَقَّ عَلَيْهِمْ وَلَا عَلَى مَنْ خَلَفَهُمُ الْحَتْمُ.

كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ: أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَقُولُونَ: الْخَتْمَةُ بَدْعَةٌ. قَالَ: وَهَؤُلَاءِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْخَتْمَةِ بِمَعْنَى إِكْمَالِ الْقُرْآنِ، وَبَيْنَ الْخَتْمَةِ الَّتِي هِيَ الدَّعَاءُ عِنْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنَ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ، فَالْأُولَى سُنَّةٌ، أَمَّا الثَّانِيَةُ فَمَحَلُّ خِلَافٍ، وَالْأَمْرُ فِيهَا سَهْلٌ، انْتَهَى.

سؤال: كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ النَّبِيِّ ﷺ وَقِرَاءَتُهُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ؟

الجواب: قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ»^(١): «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ بِاللَّيْلِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ».

ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ حَزِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا صَلَّى مَعَهُ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ، قَالَ حَزِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَقَرَأَ ﷺ بِالْبَقَرَةِ ثُمَّ النِّسَاءَ ثُمَّ آلَ عِمْرَانَ، لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ تَخْوِيفٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَأَلَ، قَالَ: فَمَا صَلَّى الرُّكْعَتَيْنِ حَتَّى جَاءَهُ بَلَالٌ فَادْنَتْهُ بِالصَّلَاةِ. أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ.

أَيْضًا: قَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ^(٢) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَمَضَانَ، فَلَمْ يَقُمْ بِنَا حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ مِنَ الشَّهْرِ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا فِي السَّادِسَةِ، وَقَامَ بِنَا فِي الْخَامِسَةِ حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ نَقَلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ، قَالَ: «إِنَّهُ مِنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا حَتَّى بَقِيَ ثَلَاثُ لَيَالٍ مِنَ الشَّهْرِ، فَصَلَّى بِنَا فِي الثَّالِثَةِ، وَدَعَا أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى تَخَوَّفْنَا الْفَلَاحَ، قُلْتُ: وَمَا الْفَلَاحُ؟ قَالَ: السَّحُورُ.

(١) ص (٣٩٤).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٣٧٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٨٠٦)، وَالنَّسَائِيُّ (١٣٦٤)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٣٢٧).

أَمَّا مَا وَرَدَ عَنْ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم فَقَدْ قَالَ ابْنُ رَجَبٍ فِي «اللُّطَائِفِ»^(١) :
 «وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه جَمَعَ ثَلَاثَةَ قِرَاءٍ، فَأَمَرَ أَسْرَعَهُمْ قِرَاءَةً أَنْ يَقْرَأَ بِالنَّاسِ
 ثَلَاثِينَ»^(٢)، وَأَوْسَطَهُمْ بِخَمْسٍ وَعَشْرِينَ، وَأَبْطَأَهُمْ بِعَشْرِينَ. ثُمَّ كَانَ فِي زَمَنِ
 التَّابِعِينَ يَقْرَءُونَ بِالْبَقْرَةِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ فِي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، فَإِنْ قَرَأَ بِهَا فِي
 اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً رَأَوْا أَنَّهُ قَدْ خَفَّفَ. قَالَ ابْنُ مَنْصُورٍ: سُئِلَ إِسْحَاقُ بْنُ
 رَاهُوِيَةَ: كَمْ يَقْرَأُ فِي قِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَلَمْ يُرَخِّصْ فِي دُونَ عَشْرِ آيَاتٍ مِنْ
 الْبَقْرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَا يَرْضَوْنَ، فَقَالَ: لَا رَضُوا، فَلَا تُؤَمِّمُهُمْ إِذَا لَمْ يَرْضَوْا
 بِعَشْرِ آيَاتٍ مِنَ الْبَقْرَةِ، ثُمَّ إِذَا صِرَتْ إِلَى الْآيَاتِ الْخَفَافِ فَبَقْدِرِ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ
 الْبَقْرَةِ، يَعْنِي فِي كُلِّ رَكَعَةٍ.

وكَذَلِكَ كَرِهَ مَالِكٌ أَنْ يَقْرَأَ دُونَ عَشْرِ آيَاتٍ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: الْأَمْرُ
 عَلَى مَا يَحْتَمِلُهُ النَّاسُ. وَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ - وَكَانَ يَصْلِي بِهِمْ فِي رَمَضَانَ -:
 هَؤُلَاءِ قَوْمٌ ضَعَفَاءُ، اقْرَأْ خَمْسًا، سِتًّا، سَبْعًا، قَالَ: فَقَرَأْتُ فَخْتَمْتُ لَيْلَةَ سَبْعٍ
 وَعَشْرِينَ»، وَهَذَا يَتَأَتَّى إِذَا صَلَّوْا عَشْرِينَ رَكَعَةً.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: «وَكَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُرَاعِي فِي الْقِرَاءَةِ
 حَالَ الْمَأْمُومِينَ، فَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَقَالَهُ أَيْضًا غَيْرُهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ»^(٣)؛ مِنْ
 أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمْ»^(٤).

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: «لَا أَعْلَمُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ خِلَافًا فِي اسْتِحْبَابِ التَّخْفِيفِ
 لِكُلِّ مَنْ أَمَّ قَوْمًا، وَالْفَرِيضَةَ وَالنَّافِلَةَ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ سَوَاءً فِي اسْتِحْبَابِ
 التَّخْفِيفِ»^(٥).

(١) ص (٣٩٥ - ٣٩٦) باختصار.

(٢) أي: ثلاثين آية.

(٣) أي: غير الإمام أحمد. «المؤلف».

(٤) المرجع السابق، ص (٣٩٦).

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/١٩) باختصار.

ثُمَّ أَوْرَدَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ أَمَّ النَّاسَ فليخفف»، وقالَ عمرُ رضي الله عنه: «لا تُبَغِّضُوا اللهَ إلى عبادِهِ». يعني: لا تُطَوِّلُوا عليهم في صلاتِهِمْ. انتهى (١).

قالَ ابنُ رجبٍ: «ومنْ أَرَادَ أَنْ يطيلَ في القراءةِ ويزيدَ وكانَ يصلي لنفسِهِ فليطوّلْ ما شاء، كما قالَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وكذلكَ مَنْ صَلَّى بِجماعةٍ يرضونَ بِصلاتِهِ، وكانَ بعضُ السَّلَفِ يختمُ في قيامِ رمضانَ في كُلِّ ثلاثٍ ليالٍ، وبعضُهُمْ في كُلِّ سبعٍ؛ منهم قَتَادَةُ، وبعضُهُمْ في كُلِّ عَشْرِ؛ منهم أبو رَجَاءٍ العُطَارِدِيُّ»، انتهى كلامُ ابنِ رجبٍ (٢).

على أيِّ حالٍ؛ المطلوبُ الاعتدالُ، ومراعاةُ الحكمةِ في هذا...

التطويلُ قد يشقُّ على الناسِ، وقد يُنقِرُهُمْ، كما في قصةِ معاذٍ رضي الله عنه، يُروى أَنَّهُ قرَأَ بِهِمْ بالبَقْرَةِ في صلاةِ العِشاءِ في غيرِ رمضانَ، وفيهِمْ أصحابُ فِلاحَةٍ وعَمَلٍ، فَنَبَّهَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَحَذَرَهُ مِنْ تَنْفِيرِ النَّاسِ (٣). والأمرُ كما تقدَّمَ عَنْ عمرَ رضي الله عنه: «لا تُبَغِّضُوا اللهَ إلى عبادِهِ». يعني: لا تطوّلوا عليهم في صلاتِهِمْ.

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) لطائف المعارف، ص (٣٩٨ - ٣٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أَن معاذَ بنَ جبلٍ رضي الله عنه كَانَ يُصَلِّي مع النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمْ الصَّلَاةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ الْبَقْرَةَ، قَالَ: فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلَاةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا، فَقَالَ: إِنَّهُ مُتَأَفِّقٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاصِحِنَا، وَإِنَّا مُعَاذًا صَلَّيْنَا الْبَارِحَةَ، فَقَرَأَ الْبَقْرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ، فَرَعَمَ أُنِّي مُتَأَفِّقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مُعَاذُ، أَفَتَأَنَّ أَنْتَ - ثَلَاثًا -، أَقْرَأُ: ﴿وَالشَّمْسُ وَحُجَّتْ﴾، وَ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وَنَحْوَهَا».

يقابل ذلك: أَنَّ التَّمَادِيَّ فِي التَّخْفِيفِ يُقَوِّتُ عَلَى النَّاسِ خَيْرًا كَثِيرًا، فَهُوَ خَطَأٌ وَتَقْصِيرٌ مِنْ بَعْضِ الْأُئِمَّةِ فِي حَقِّ مَنْ يُؤْمِنُهُمْ، فَالْمَسْأَلَةُ تَحْتَاجُ حِكْمَةً وَفَقَهَا وَوَرَعًا.



مِنْ آدَابِ قِيَامِ اللَّيْلِ

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ^(١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لِأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفَقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ».

«الْأَشْعَرِيُّونَ»: قَوْمٌ مِنَ الْيَمَنِ، وَفَدُّوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُمْ جَمَاعَةٌ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعْلِيقًا عَلَى الْحَدِيثِ: «وَفِيهِ: أَنَّ الْجَهْرَ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ فَضِيلَةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِيْذَاءٌ لِنَائِمٍ أَوْ لِمُصَلٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا، وَلَا رِيَاءٌ»^(٢).

وَأَيْضًا يَقَالُ: مِنْ أَسْبَابِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ أَنْ تَقْرَأَ قِرَاءَةً تَسْمَعُهَا أُنْذَاكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْهَرُ أحيانًا بِقِرَاءَتِهِ وَأحيانًا يُسِرُّ^(٣).



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٣٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٩٩).

(٢) شَرَحَ النَّوَوِيُّ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٦١/١٦).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٤٣٧) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَالنَّسَائِيُّ (١٦٦٢)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٣٥٤)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ وَثْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: «رُبَّمَا أَوْتَرَهُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَرُبَّمَا أَوْتَرَهُ مِنْ آخِرِهِ»، قُلْتُ: كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ؟ أَكَانَ يُسِرُّ بِالْقِرَاءَةِ، أَمْ يَجْهَرُ؟ قَالَتْ: «كُلَّ ذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ، رُبَّمَا أَسَرَ، وَرُبَّمَا جَهَرَ، وَرُبَّمَا اغْتَسَلَ فَنَامَ، وَرُبَّمَا تَوَضَّأَ، فَنَامَ».



من أسباب الخشوع في الصلاة

من كلام أهل العلم في أسباب الخشوع في الصلاة قولهم^(١):
لا ريب أن الوسواس كلما قلَّ في الصلاة كان أكمل، والذي يُعين على ذلك شيئان: قوة المقتضي، وضعف الشاغل.

أما الأول: فاجتهاد العبد في أن يعقل ما يقوله ويفعله من الأذكار والهيئات، ويتدبر القراءة والذكر والدعاء، ويستحضر أنه مناج لله تعالى كأنه يراه، فإن المصلي يُناجي ربه، والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ثم كلما ذاق العبد حلاوة الصلاة كان انجذابه إليها أوكد، وهذا يكون بحسب قوة الإيمان.

سؤال: ما أسباب قوة الإيمان؟

الجواب: أسباب قوة الإيمان كثيرة؛ فإن ما في القلب من معرفة الله، ومحبه، وخشيته، وإخلاص الدين له، وخوفه، ورجائه، والتصديق بأخباره، وغير ذلك - مما يتباين الناس فيه ويتفاضلون تفاضلاً عظيماً.

ويَقْوَى ذلك كلما ازداد العبد تدبراً للقرآن وفهماً ومعرفةً بأسماء الله وصفاته وعظمته، وأظهر فقره إليه في عبادته واشتغاله به، وملتذ بذكره، ولا حصول لهذا إلا بإعانة الله، ومتى لم يُعنه الله على ذلك: لم يُصلحه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الثاني: وهو زوال العوارض، وذلك بالاجتهاد في دفع ما يشغل القلب من تفكير الإنسان فيما لا يفيد في عبادته، والتخلُّص من الجوازب التي تجذب القلب عن مقصود الصلاة، وهذا في كلِّ عبد بحسبه^(٢)، فإن كثرة

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢/٦٠٤ - ٦١٠).

(٢) أي: الجوازب التي تجذب القلب عن مقصود الصلاة. «المؤلف».

الوساوس بحسب كثرة الشُّبُهَاتِ والشَّهَوَاتِ، وتَعَلَّقَ الْقَلْبُ بِالْمَحْبُوبَاتِ الَّتِي
يَنْصَرِفُ الْقَلْبُ إِذَا اخْتَلَى بِهَا، وَالْعَبْدُ الْكَيِّسُ يَجْتَهِدُ فِي كَمَالِ الْحُضُورِ،
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.



جَمْعُ الْقَلْبِ فِي الصَّلَاةِ

فِي تَعْلِيْقِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، «كِتَابُ
الْعَمَلِ فِي الصَّلَاةِ»، الْبَابُ الثَّامِنُ عَشَرَ: بَابُ يَفْكُرُ الرَّجُلُ الشَّيْءَ فِي الصَّلَاةِ،
وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي لِأَجْهَزُ جَيْشِي وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ».

وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى عَقْبَةِ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعَصْرَ،
فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ سَرِيعًا، دَخَلَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ثُمَّ خَرَجَ، وَرَأَى مَا فِي وُجُوهِ
الْقَوْمِ مِنْ تَعْجِبِهِمْ لِسُرْعَتِهِ، فَقَالَ: «ذَكَرْتُ وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ تَبَرًّا عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ
أَنْ يَمْسِيَ - أَوْ يَبْتَ - عِنْدَنَا، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ».

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا تَوْجِيهُ لِمَا يَعْزِضُ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْفِكْرِ فِي
الصَّلَاةِ أَنَّهُ لَا يَضُرُّهَا وَإِنْ كَانَ مَأْمُورًا بِجَمْعِ قَلْبِهِ عَلَى اللَّهِ وَالْحَرَصِ عَلَى جَمْعِ
قَلْبِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالْإِطْمِئْنَانِ بِهَا، لَكِنْ مَهْمَا اجْتَهِدَ الْإِنْسَانُ فَهُوَ عُزْزَةٌ لِعُرْوَةٍ
الْأَفْكَارِ الْآخَرَى، فَإِنْ عَرَضَ لَهُ فِكْرٌ فِي صَلَاتِهِ فَلَنْ يَضُرَّ صَلَاتَهُ»^(١).

وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَسْتَرْسَلَ فِي الْفِكْرِ؛ فَلْيَكُنْ لَهُ مَجَاهِدَةٌ فِي الْإِقْبَالِ عَلَى
صَلَاتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي لِأَجْهَزُ جَيْشِي وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ»؛ أَيُّ:
يَعْرِضُ فِكْرِي فِي تَجْهِيزِ الْجَيْشِ، مِنْ بَابِ اهْتِمَامِهِ وَحَرَصِهِ عَلَى الْجِهَادِ، حَتَّى
يَسْتَرْسَلَ بِسَبَبِ حَرَصِهِ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، فَيَجَاهِدُ نَفْسَهُ بِالصَّلَاةِ.

(١) وَلَكِنْ قَدْ يَنْقُصُهَا، وَقَدْ يُؤْجَرُ عَلَى مَا عَرَضَ لَهُ؛ لِاهْتِمَامِهِ بِالْدِينِ وَحَرَصِهِ عَلَى الدِّينِ،
كَمَا فِي قِصَّةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. «الْمُؤَلَّف».



وهكذا عرض للنبي ﷺ - وهو يصلي - التبرُّ من الصدقة وأنه لم يقسم، فلما سلم قام إليه سريعاً ليقسمه لثلاثين سنة.

وفي هذا انتهاز الفرص، وأنه إذا ذكر شيئاً مهماً فلا ينبغي له أن يؤجله لوقت آخر إذا كان ناسيه، بل ينبغي القيام إليه؛ ولا سيما إذا كان مهماً، سواء كان أمراً دينياً أو دنيئاً، فما دام أمراً مهماً فينبغي العناية به لثلاثين سنة مرة أخرى، ولهذا بادر النبي ﷺ إلى إخراج هذا المال وتقسيمه لثلاثين بيتاً عنده، وهذا من حرصه ﷺ على الخير ومسايقته إلى ما يرضي الله ومسايعته إلى ذلك، وهكذا ينبغي التأسي به ﷺ والمسايرة لكل خير^(١)، انتهى كلام الشيخ رحمه الله.

وهذا من كتاب «الفوائد المجنية من التعليقات البازية»، جمع الشيخ سعيد بن علي القحطاني رحمه الله.



والدة صاجبي

إن أخبار الصالحين وتذكّر اجتهدهم في العبادة ممّا يُنشِط النفوس ويُحفّز الهمم؛ ولهذا فقد اعتنى بها أهل العلم قديماً وحديثاً.

لي صاحبٌ أعرف عن والدته اجتهداً في العبادة، فسألتها عن أخبارها في شهر رمضان، وعن برنامجها في الحرم؟ لأنها تُحب أن تقضي رمضان فيه.

فقال: على عادتها تخرج من سكنها نحو الثانية ظهراً إلى الحرم، وتعود نحو الثانية عشرة ليلاً، وفي العشر الأخير تعود بعد الفراغ من صلاة القيام التالي.

يقول: بعد أن عادت إلى الرياض بعد رمضان كان لأحد إخواني سفرٌ

(١) الفوائد المجنية ص (٣١١) بتصرف يسير.

هُوَ وَعَائِلَتُهُ إِلَى مَكَّةَ، فَعَرَضُوا عَلَيْهَا أَنْ تَرافَقَهُمْ، فَقَالَتْ فِي الْحَالِ: وَمَنْ يَعاْفُ مَكَّةَ؟!

وَلَمَّا وَصَلَتْ مَكَّةَ قَالَتْ: الْآنَ امْضُوا أَنْتُمْ أَنِّي شَتَمْتُ، أَمَّا أَنَا فَجَنَّتِي فِي الدُّنْيَا الْحَرَمُ.

يَقُولُ - أَيْضًا - عَنْ صَلَاتِهَا بِالْقُرْآنِ: إِنَّهَا فِي دُورِ التَّحْفِيزِ مِنْ قَرَابَةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَمَعَ أَنَّهَا حَفِظَتْ كِتَابَ اللَّهِ إِلَّا أَنَّهَا تَبْذُلُ جَهْدًا جَهْدًا لَتَعَاهِدَهُ لِتَقْلُتَهُ مِنْهَا؛ خَاصَّةً مَعَ تَقَدُّمِ سِنِّهَا، وَلِهَذَا فَكثِيرًا مَا يَكُونُ مَصْحَفٌ بَيْنَ يَدَيْهَا وَهِيَ فِي الْبَيْتِ، وَأَحْيَانًا تَرَاهَا فِي فَرَاشِهَا قَدْ أَخَذَهَا النُّومُ وَالْمَصْحَفُ بَيْنَ يَدَيْهَا مُنْكَبٌّ عَلَى صَدْرِهَا، وَكَثِيرًا إِذَا جِئْتُ إِلَيْهَا قَالَتْ: امسْكْ عَلَيَّ^(١).

وَيَقُولُ: إِنَّهَا تَرُدُّ أَنَّهَا فِي وَجَلٍ أَنْ تَكُونَ مَمَّنْ إِذَا قِيلَ لَهُ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، تَخَافُ أَنْ تَنْقَطَعَ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَنْقَطَعَ عَنِ الرُّقِيِّ بِسَبَبِ مَا نَسِيَتْهُ، يَقُولُ: فَأُطْمِئِنُّهَا وَأُذَكِّرُهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَسَعَةِ فَضْلِهِ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ -.

يَقُولُ: هَذَا غَيْرُ مَوَاضِبَتِهَا عَلَى صِيَامِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، وَالْبَيْضِ، وَكَذَلِكَ مُحَافَظَتُهَا عَلَى التَّهَجُّدِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ.



(١) أَي: تَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ تَعْرِضَ عَلَيْهِ حِفْظَهَا.



القسم الخامس

الصدقة

«دأوا مرضاكم بالصدقة»

قال الحافظ الدمي في كتاب «المتجر الرابع»^(١)، في باب «ثواب من سقى آدميًا أو بهيمة أو حفر بئرًا»، قال بعد أن أورد آيات وأحاديث:

«عن علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت ابن المبارك رحمه الله وسأله رجل: يا أبا عبد الرحمن! فُرحة خرجت في ركبتي منذ سبع سنين، وقد عالجت بأنواع العلاج، وسألت الأطباء فلم أنتفع به، قال - أي الإمام ابن المبارك -: اذهب فانظر موضعًا يحتاج فيه الماء فاحفر هناك بئرًا، فإني أرجو أن ينبع هناك عين، ويُمسِكَ عنك الدَّم، ففعل الرجل فبرأ».



«كُلُّ امرئٍ في ظلِّ صدقته»

قال الحافظ الدمي في كتابه «المتجر الرابع»^(٢): عن يزيد بن أبي حبيب قال: كان مرثد بن عبد الله الزنبي أول أهل مضر يروح إلى المسجد، وما رأيته داخلًا المسجد قط إلا ومعه صدقة؛ إما فُلوس، وإما خبز، وإما قمح، قال: حتى ربما رأيت البصل يحمله، فأقول: يا أبا الخير! إن هذا يُنتِنُ ثيابك، فيقول: يا ابن أبي حبيب! أما إني لم أجِدْ شيئًا في البيت

(١) ص (٣٠٩).

(٢) ينظر: ص (٢٧١) تحت عنوان: ثواب الصدقة وفضلها.

أَتَصَدَّقُ بِهِ غَيْرَهُ، إِنَّهُ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ظِلُّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ»، وفي رواية: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ».



إِطْعَامُ الطَّعَامِ

قَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فَضْلَ إِطْعَامِ الطَّعَامِ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ، كَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَهْرُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبَطُونُهَا مِنْ ظَهْرِهَا»، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ طَيَّبَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(١)، وكَقَوْلِهِ ﷺ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ: تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(٢).

ثُمَّ تَأَمَّلْ هَذَا الْحَدِيثَ؛ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ إِذْنٌ؛ سُئِلَ ﷺ عَنْ خِصَالِ الْإِسْلَامِ أَيُّهَا خَيْرٌ، بِهَذِهِ الْعُمُومِيَّةِ، بِمَا فِيهَا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَشُعَبِ الْإِيمَانِ، وَالْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ وَغَيْرِهَا، فَبِمَ أَجَابَ ﷺ؟ قَالَ: «تُطْعَمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ، عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٣).



دَخَلَتِ الْجَنَّةَ فِي تَمْرَةٍ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى امْرَأَةٍ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٤)، وسبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١).

(٣) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).



منها، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «مَنْ ابْتَلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»، متفقٌ عليه^(١).

وفي حديثٍ آخَرَ عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مَسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعْتُ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِنَأْكُلَهَا فَاسْتَطَعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تَرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ»، أَوْ قَالَ: «أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ»، رواه مسلم^(٢).

هَذَانِ الْحَدِيثَانِ يُبَيِّنَانِ: حَالَةَ الشَّطَفِ، وَشِدَّةَ الْعِيشِ، وَقِلَّةَ الْمُؤْنَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ.

وفي نفسِ الْوَقْتِ: مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِثَارِ، وَخَاصَّةً أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَدْ كَانَتْ مَشْهُورَةً بِالْجُودِ وَالسَّخَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ إِذَا أَتَاهَا شَيْءٌ لَا تَبْقَى مِنْهُ شَيْئًا، إِلَى حَدِّ أَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ، أَوْ لِأَحْجَرَنَّ عَلَيْهَا^(٣).

وَلَا عَجَبَ؛ فَمَنْ شَابَهُ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ!

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُوَطَّئِهِ^(٤) قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ مَسْكِينًا سَأَلَهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ، فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، فَقَالَتْ: لَيْسَ لَكَ مَا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ. فَقَالَتْ: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ. فَفَعَلْتُ، فَقَوْلُ الْجَارِيَةِ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا أَهْدَى لَنَا أَهْلُ بَيْتٍ - مَا كَانَ يَهْدِي لَنَا - شَاءَةً، فَدَعَّتْنِي عَائِشَةُ، فَقَالَتْ: كُلِّي مِنْ هَذَا، هَذَا خَيْرٌ مِنْ قُرْصِكَ.

(١) أخرجه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٧٣).

(٤) موطأ مالك (٥/٩٩٧/٢).

وروى مالكٌ أيضًا في مُوطَّئِهِ^(١): بَلَغَنِي أَنَّ مَسْكِينًا اسْتَطْعَمَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ لِإِنْسَانٍ أَعْطَتْهُ حَبَّةَ عَنَبٍ: أَعْطِهِ إِيَّاهَا. فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَيَعْجَبُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَعْجَبُ! كَمْ تَرَى فِي هَذِهِ الْحَبَّةِ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ.

وهذا مِنْ إِثَارِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَتَصَدَّقُهَا بِحَبَّةِ عَنَبٍ هَذَا مِنْ فَهْمِهَا وَمِنْ صَدَقِ رَغْبَتِهَا فِي الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَتَحَاقَرُ أَنَّ يَتَصَدَّقَ بِالشَّيْءِ الْيَسِيرِ، بِزَعْمِهِ أَنَّ هَذَا يُحَرِّجُهُ أَمَامَ النَّاسِ، لَكِنْ مَنْ كَانَ يَتَعَامَلُ مَعَ اللَّهِ، وَيُرِيدُ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، وَيَلْتَمِسُ رِضَا اللَّهِ: لَا يَفُوتُ عَلَى نَفْسِهِ فُرْصَةً أُتِيحَتْ لَهُ وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَنْ أَجْلَى أَنَّ النَّاسَ يَرْضَوْنَ أَوْ يَسْخَطُونَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

وَلَا يَخْفَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ ذَلِكَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ».

لَكِنْ نَتَفَتَّنُ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ»؛ يَشْمَلُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِنَّ بِحَاجَاتِهِنَّ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ؛ لَيْسَ فَقَطْ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ بَلْ أَوْلَى مِنْ ذَلِكَ: حُسْنُ تَرْبِيَّتِهِنَّ، وَتَعْلِيمُهُنَّ مَا يَحْتَجْنَ إِلَيْهِ فِي أُمُورِ دِينِهِنَّ وَدُنْيَاهُنَّ، وَتَأْدِيبُهُنَّ الْآدَابَ الشَّرْعِيَّةَ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكْسِبُ عَلَيْهِ الْأَبُ وَالْأُمُّ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ.



فَضْلُ الْوَقْفِ

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الفارقة: ٦-٧]، وَيَقُولُ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعْمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠].



اللَّيْبُ والمَوْفُقُ يستعدُّ لهذه المواقِفِ؛ بامتثالِ الواجباتِ، وتركِ المحرَّماتِ، والاستكثارِ من الأعمالِ الصالحةِ.

ومن الأعمالِ الصالحةِ التي تَلَحَقُ العبدَ بعدَ موته، وتُقَلِّلُ موازينَهُ: الصدقاتُ الجاريةُ، ففي الحديثِ عن النبي ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

وقَدْ حَرَّصَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ - عَلَى الْأَوْقَافِ.

وَمَنْ نِعِمَّ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْأَزْمَنَةِ: تَيَسَّرُ الْأَوْقَافُ وَتَعَدُّ صَوَرُهَا، وَمَجَالَاتُهَا، وَكُونُ ذَلِكَ غَيْرَ مَقْصُورٍ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ؛ بَلْ مُتَّحًا لِأَكْثَرِ النَّاسِ، حَتَّى مِنْ مُتَوَسِّطِي الْحَالِ، وَرُبَّمَا مَنْ دُونَهُمْ؛ وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْأَوْقَافِ الَّتِي تُنْشِئُهَا بَعْضُ الْجِهَاتِ الْخَيْرِيَّةِ، وَتَدْعُو النَّاسَ لِلْمُسَاهَمَةِ فِيهَا بِأَيِّ مَبْلَغٍ.

وَمِنْ أَمْثَلِهَا: أَوْقَافُ جَمْعِيَّاتِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ، وَجَمْعِيَّاتِ الْبِرِّ، وَمَكَاتِبُ الدَّعْوَةِ وَتَوْعِيَةِ الْجَالِيَّاتِ، وَغَيْرُهَا.

وَهَذِهِ الْجَمْعِيَّاتُ تُعْنَى بِالتَّعْلِيمِ، وَالدَّعْوَةِ، وَالْإِحْسَانِ لِلْمُحْتَاجِينَ، وَالْقَائِمُونَ عَلَيْهَا يُرْجَى أَنَّهُمْ - فِي الْجُمْلَةِ - مَحَلُّ ثَقَةٍ.

وَتِلْكَ الْأَوْقَافُ لَهَا مَجْلِسُ نِظَارَةٍ، يُتَابَعُ شُؤْنُ الْوَقْفِ وَمَصَارِفُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَهِيَ مُرَخَّصٌ لَهَا رَسْمِيًّا، وَمُرَخَّصٌ لَهَا فِي اسْتِقْبَالِ الْمُسَاهِمَاتِ، وَاسْتِقْبَالِ التَّبَرُّعَاتِ.

وَمِمَّا زَادَ الْأَمْرَ تَسْهِيلًا - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ -: أَنَّ أَحَدَ الْمَوْفَّقِينَ - نَرَجُوا أَنَّهُ كَذَلِكَ - أَنْشَأَ مَوْقِعًا جَمَعَ فِيهِ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَوْقَافِ، وَجَعَلَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُطَالَعِ؛

ذَكَرَ فِيهِ قِيَمَةُ هَذَا الْوَقْفِ، وَكَمْ بَقِيَ مِنَ الْقِيَمَةِ، وَمَعْلُومَاتٍ أُخْرَى، مَعَ تَحْدِيثِ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ. وَاسْمُ هَذَا الْمَوْقِعِ: «وَقْفُنَا».

❖ وَلِلْمَسَاهِمَةِ فِي هَذِهِ الْأَوْقَافِ مِيزَاتٌ مِنْهَا:

١ - كَوْنُهَا تَقَبُّلُ أَيِّ مَبْلَغٍ وَلَوْ كَانَ يَسِيرًا - كَمَا تَقَدَّمَ -، وَبِخْتَارِ الْمَسَاهِمِ مِمَّا أَمَامَهُ مِمَّا يَشَاءُ، فَإِنْ شَاءَ سَاهَمَ فِيهَا كُلُّهَا، أَوْ بَعْضُهَا، أَوْ وَاحِدٍ مِنْهَا.

٢ - أَنَّ الْمَسَاهِمَ يُكْفَى الْإِشْرَافَ وَالْمَتَابَعَةَ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَوْقَافِ يَنْقَطِعُ - خَاصَّةً مَعَ تَقَدُّمِ الزَّمَنِ وَتَسْلُسُلِ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا - بِسَبَبِ الْإِنْشِغَالِ، أَوْ التَّفْرِيطِ، أَوْ اعْتِدَارٍ مِنْ عُرْضَ عَلَيْهِ نَظَارَتُهَا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ.

٣ - الْإِنْتِشَارُ وَالتَّغْطِيَةُ لِمَنَاطِقَ وَمُذُنٍ كَثِيرَةٍ، فَحِينَمَا تُطَالَعُ الْمَوْقِعُ الْمَشَارَ إِلَيْهِ «وَقْفُنَا» تَرَى أَوْقَافًا فِي مَنَاطِقَ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا، وَشِمَالِهَا وَجَنُوبِهَا، وَتَرَى أَوْقَافًا فِي بِلَادٍ وَقُرَى رُبَّمَا لَمْ يَسْمَعْ بِهَا الْبَعْضُ مِنْ قَبْلُ.

فَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ: وَقْفُ الْقُرْآنِ فِي سَبَبِ الْجَارَةِ. وَقْفُ جَمْعِيَةِ فَضْلَى التَّابِعِ لَجَمْعِيَةِ الْبِرِّ بِفَضْلَى. وَقْفُ الْوَالِدَيْنِ التَّابِعِ لَجَمْعِيَةِ الْبِرِّ بِوَادِي يَبَّه. وَقْفُ الْوَالِدَيْنِ التَّابِعِ لِلْمَكْتَبِ التَّعَاوُنِيِّ بِالْهَبَّاسِ. وَقْفُ الْوَالِدَيْنِ بِلَيْلَةَ، ضُبَا، كَلُوة، صَبِيح، بَاشُوت، أَم الدُّوم، الرِّين، أَضْم، عَيْسَان، طَلْعَةُ التَّمِيَاط، عَتُول، ثَلَاءُ بَنِي عَيْسَى التَّابِعَةُ لِمَحَافِظَةِ الْقَنْفَذَةِ، الْمُظْيِلَف، بَحْرُ أَبُو سَكِينَةَ، الْمَسِيحِيْد، الشَّمْلِي، بَارِق، مَدْرَكَة، طَرِيب.

٤ - مِنْ مِيزَاتِ الْمَسَاهِمَةِ فِي تِلْكَ الْأَوْقَافِ: أَنَّ بَعْضَهَا يَقُومُ بِأَنْشِطَةٍ مُتَمِيزَةٍ.

وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ: وَقْفُ خَيْرَاتٍ بِالرِّيَاضِ، التَّابِعِ لَجَمْعِيَةِ خَيْرَاتٍ لِحَفِظِ النِّعْمَةِ.

وَمِثَالُ أُخَرٍ: وَقْفُ الصَّلَاةِ فِي مَكَّةَ، التَّابِعِ لِمَشْرُوعِ تَعْظِيمِ الصَّلَاةِ.

مِثَالُ ثَالِثٍ: وَقْفُ فَقَرَاءِ الْحَرَمِ، يَسْتَفِيدُ مِنْهُ أَيْتَامٌ وَأَرَامِلٌ وَطَلَبَةٌ عِلْمٍ، وَمَعْلَمُو الْقُرْآنِ.



مثالٌ آخَرُ: وقفُ القرآنِ، التابعُ لمعهدِ الإمام الشاطبيِّ في جدة، ومثله أو قريبٌ من نشاطه: الأكاديميةُ القرآنيةُ العالميةُ في الرياضِ، يُعَنَوَّنُ بالإقراءِ الإلكترونيِّ عالميًّا، وتدريبِ معلمي القرآنِ، وتقديمِ دوراتٍ، وغيرِ ذلك.

ومن الجمعياتِ المتميزة - من حيثُ تعدُّدُ أنشطتها وخدماتِها وكثرةُ المستفيدينَ منها -: المستودعُ الخيريُّ في المدينة النبوية، فيستفيدُ منهم - حسبما ذكروا - أكثرُ من ثمانٍ وعشرين ألفَ أسرةٍ في المدينة وما حَوْلَها. ومن أوقافهم: وقفُ سُقْيَا، وهو وقفٌ مصنعٌ لتعبئةِ المياه، يُعنى هذا الوقفُ بحفرِ الآبارِ، وإنشاءِ محطاتِ تحليةِ المياه، وتركيبِ وصيانةِ براداتِ المياه، وتوصيلِ المياهِ بـ «الوايتات» في القرى، وغيرِ ذلك.

أيضًا؛ مثالٌ من الأوقافِ المتميزة - وقد يكونُ من أكثرِها تَمَيُّزًا -: وقفُ العلماءِ بمكة، ومن اهتماماته: توعيةٌ وتعليمُ الزُّوَّارِ والحجاجِ والمُعتمرينَ. وأيضًا: إعدادُ وطباعةُ ونشرُ الإصداراتِ العلميةِ المتنوعةِ، وإنشاءُ مراكزِ البحثِ العلميِّ، والمكتباتِ العلميةِ. وأيضًا: الإسهامُ في إقامةِ الدروسِ والكلماتِ والمسابقاتِ، والدوراتِ، والرحلاتِ العلميةِ. وأيضًا: رعايةُ المهووبينَ من طلابِ العلمِ. وكذلك الإسهامُ في إنشاءِ المعاهدِ والمراكزِ العلميةِ. أيضًا: إنشاءُ مكاتبَ لعلماءِ مكة تُيسِّرُ نشاطَهم العلميَّ، وتُسَهِّلُ اتصالَ الناسِ بهم، واستفادتهمَ منَ علمهم، إلى غيرِ ذلك من الأهدافِ الجليلةِ. أيضًا - ممَّا يُميزُ هذا الوقفَ -: أنَّهم يصرفونَ عشرينَ في المائةِ من الربيعِ السنويِّ للوقفِ في التنميةِ والاستثمارِ وشراءِ أعيانٍ جديدةٍ وزيادةِ أصولِ الوقفِ؛ بمعنى: أنَّ وقفَكَ وَلَدٌ وَفَقًا آخَرُ، وهكذا يتسلسلُ.

٥ - وعودةً إلى ما تقدَّم: يضافُ إلى مزايا المساهمةِ في تلكِ الأوقافِ القائمةِ: أن استقبالَهم أيِّ مبلغٍ - ولو كانَ يسيرًا - يجعلُ هذا فرصةً لتربيةِ النَّشءِ على الإنفاقِ والمساهمةِ في أبوابِ الخيرِ، فتكونُ فرصةً للآباءِ

والأمهات والمربين وأئمة المساجد أن يحثوا من عندهم على المساهمة، ثم يُعطى - من يرغب - السند الرسمي الموثق لوصول تبرعاتهم إلى ذلك الوقف.

وهنا يحسن التنبيه إلى: أن بعض هذه الجهات الموقفة تجعل حساباً خاصاً للوقف، وبعضها يكون حساب الوقف ضمن الحساب العام لتلك الجمعية، فحينئذ إذا ساهمت مع هؤلاء - الذين حساب الوقف عندهم مشترك - فاطلب منهم إيصالاً؛ لتطمئن أن مساهمتك صُرفت تحديداً في الوقف، وليس في المصارف العامة للجمعية.

وهنا سؤال: لو قال قائل: أيهما أنسب: أن أنشئ وقفاً يخصني؟ أو أن يكون ذلك مساهمة في عدد من الأوقاف القائمة؟

الجواب: يقال - والله تعالى أعلم -: إن أمكن الجمع بينهما فحسن؛ بأن يكون لك وقف خاص بك، وتساهم في تلك الأوقاف.

وإن لم يمكن ذلك ولم يتيسر فقد يقال: لعل مساهمتك في عدد من الأوقاف أولى؛ رجاء أن يكثر الأجر بتعدد الأعمال الصالحة التي دُعيت بتلك الأوقاف؛ في تعليم الناس كتاب الله، والإحسان للمحاييج، والإصلاح بدعوة الكافر، ورعاية المهتدي، وتذكير الغافل، وتعليم الجاهل، وكذلك بعلاج المرضى، وتزويج الشباب، ونحو ذلك.

وختاماً: لا يفوتنا أن الشيطان لن يألُو جهداً في تشبيط من هم بعمل الخير، مثل أن يقول: ما يدريك عن مصارفها؟ عن القائمين عليها؟ ونحو هذا، والجأء والحريص على الخير لا تشبه مثل هذه المبطات، فالأصل أو المؤمل في القائمين عليها: الثقة، ولها - كما تقدّم - مجلس نظارة، إلى غير ذلك من الاحتياطات. والإنسان لو أراد ألا يعمل عملاً أو ينفق مالا أو يتصدق بصدقة إلا وهو يجزم ويقطع بأن صاحبها في أمس الحاجة - لانتقطع عن خير كثير، ولفاته خير كثير.

والناس في هذا منهم مُوقِّقٌ، ومنهم محرومٌ - نعوذُ بالله من الخذلانِ ومن الحرمانِ، ونسألُ اللهَ التوفيقَ لما يحبُّ ويرضى .

نَعَمْ؛ مطلوبُ التَّحَرِّيِّ والاطمئنانِ إلى حُسْنِ تصريفِ هذه الأوقافِ وربوعِها؛ لكنَّ المبالغةَ في هذا والتَّعَنُّتُ يُقَوِّتُ على الإنسانِ خيراً كثيراً .

ولنا عِبْرَةٌ فيما ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ قِصَّةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ: «لَأَتَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فخرجَ بِصَدَقَتِهِ، فوضعَها في يدِ سارقٍ، فأصبحوا يتحدثون: تُصَدِّقُ على سارقٍ^(١)»، فقال: اللهم لك الحمدُ، لأتصدقنَّ بِصَدَقَةٍ، فخرجَ بِصَدَقَتِهِ فوضعَها في يدَي زانيةٍ، فأصبحوا يتحدثون: تُصَدِّقُ اللَّيْلَةَ على زانيةٍ، فقال: اللهم لك الحمدُ، على زانيةٍ، لأتصدقنَّ بِصَدَقَةٍ، فخرجَ بِصَدَقَتِهِ، فوضعَها في يدَي غنيٍّ، فأصبحوا يتحدثون: تُصَدِّقُ على غنيٍّ، فقال: اللهم لك الحمدُ، على سارقٍ وعلى زانيةٍ وعلى غنيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أما صدقتُكَ على سارقٍ فلعله أنْ يستعفَّ عن سرقَتِهِ، وأما الزانيةُ فلعلها أنْ تستعفَّ عن زناها، وأما الغنيُّ فلعله يعتبرُ فينفقُ مما أعطاه اللهُ^(٢)»، وفي روايةٍ: «فأريَ في المنام: إنَّ صدقتك قد قُبِلَتْ...»^(٣).



(١) كأنهم يستنكرون. «المؤلف».

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢).

(٣) أخرجه أحمد (٨٦٠٢).



القسم السادس

أذكار وأدعية

من فوائد الدعاء بما ورد

في الحديث عن النبي ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١)، وكأنَّ المعنى - والله تعالى أعلم -: أنَّ الدعاء عبادةٌ، وعبادةٌ جليلةٌ، ويتضمَّن أنواعًا من العباداتِ، فالذي يُكثر من الدعاءِ هذا علامةٌ على رسوخِ إيمانه بربه، وأنَّه هو المدبِّر، وأنَّه هو الذي يقضي الحاجاتِ، وأنَّه هو المقصودُ والذي يُصمَّدُ إليه، وأنَّه هو السميعُ، وأنَّه هو الرحيمُ، وأنَّه هو الكريمُ؛ إلى غيرِ ذلك من أنواعِ العباداتِ، فلا عَجَبَ أن يكونَ الدعاءُ هو العبادةُ.

ومن آدابِ الدعاءِ: الحرصُ على حفظِ الأدعيةِ الماثورةِ، أو على الأقلِّ: أن تُقرأ من كتابٍ موثوقٍ، أو نحوِ ذلك.

فالأدعيةُ الماثورةُ من القرآنِ والماثورةُ عن النبي ﷺ لها مزايا:

منها: أنَّ الدعاءَ بها أكملُ في متابعةِ النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١]، ما ثمرةُ ذلك؟ ﴿يُحِبِّبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. ويقولُ تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

الثانية: أنَّ الدعاءَ بها أبلغُ في تحقيقِ شهادتِكَ أنَّ محمدًا رسولُ الله،

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (١١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٨٢٨).



فلأنك موقن أنه رسول الله فتتبعه في كل شيء؛ من ذلك: أنك تتبع دعواته فتدعو بها.

الثالثة: أن الأدعية الماثورة من الكتاب والسنة أبلغ في تحقيق التوحيد؛ تحقيق توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

وميزة رابعة لها: أن الأدعية الماثورة أجمع للخير، وأدفع للشر، فالصيغة الواحدة تستدعي وتستجلب خيراً كثيراً، وتستدفع شراً كثيراً، وقد كان النبي ﷺ «يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك»، كما قالت عائشة رضي الله عنها (١).

الخامسة - وما أكثر مزايا الدعاء بما ورد -: أنه أسلم للعبد عن الزلل؛ من أن يجتهد ويدعو بدعوة يظنها خيراً له، وهي قد تكون ضرراً عليه.

وإذا كان هذا حصل للصحابية رضي الله عنهن - مع علمهم وفقههم - فغيرهم من باب أولى، فقد روى أنس رضي الله عنه أن رجلاً عادته النبي ﷺ قد خفت فصار كالفرخ - يعني: ضوى ونحل جسمه حتى صار كالفرخ، فقال له النبي ﷺ: «هل كنت تقول شيئاً؟ هل كنت تدعو بشيء؟» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال النبي ﷺ: «سبحان الله! لا تطيقه - أو قال: لا تستطيعه -، كان يكفيك أن تقول: ربنا آتينا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار» (٢).

فانظر! كيف بلغ هذا الصحابي رضي الله عنه قمة في الزهد في الدنيا وزينتها؟ وقمة الرغبة والصدق فيما عند الله؟! حتى إنه أراد أن يفادي عذاب الآخرة بعذاب الدنيا. . يناله ما يناله مقابل أن يلقي الله ﷻ ويسلم من عذاب

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٨).

الْآخِرَةِ؛ لَكِنَّ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ أَوْسَعُ، وَفَضْلُهُ أَعْظَمُ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - ،
يَدْعُو بِحَسَنَةِ الدُّنْيَا، وَحَسَنَةِ الْآخِرَةِ.



أَدْعِيَّةُ مَأْثُورَةٌ (١)

هذه أدعية مأثورة يُدعى بها في الساعات التي يُرجى فيها إجابة الدعاء،
وفي الصلاة، وفي سائر الأوقات؛ لأنَّ بعضَ الناسِ يَقْصُرُ دعاءَهُ على
الساعاتِ التي يتأكَّدُ فضلُها على غيرها، وهذا يُفَوِّتُ على نَفْسِهِ خَيْرًا كثيرًا،
فإنَّ الأوَّلَى أَنْ يَلْهَجَ بالدعاءِ في كُلِّ حينٍ، ويزدادَ ويكثرَ من الدعاءِ في
الساعاتِ الفاضلةِ .

من هذه الأدعية المأثورة: «اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ،
وَفَضْلِكَ، وَرِزْقِكَ»^(١).

ومنها: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِرَافَقَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ»^(٢).

ومنها: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي»^(٣).

ومنها: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ»^(٤).

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٥٤٩٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤٢٥٥).

(٣) وَرَدَ هَذَا الدُّعَاءُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِإِلَادَتِهِ إِحْسَانًا مَلَأْنَاهُ مِنْهُ كُرْهًا وَوَضَعْنَاهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَلِيًّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٢٢، ٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٨٨، ٢٦٩٠).

في البخاريّ ومسلم^(١): «اللَّهُمَّ آتِنَا»^(٢)، و: «رَبَّنَا آتِنَا»^(٣) و: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا»^(٤)، فكلُّ هذه الصيغ الثلاثِ وردت.

وعلى أيِّ حال؛ لَمَّا سُئِلَ أَنَسُ رضي الله عنه: ماذا كَانَ أَكْثَرُ دَعَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٥).

هذا الحديث - كما سبق - رواه البخاريّ ومسلم، وزادَ مسلمٌ في روايته: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ^(٦).



أدعية مأثورة (٢)

هذه أيضًا جملةٌ من الأدعية المأثورة:

منها: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَمِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ»^(٧).

ومنها: «اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا»^(٨).

ومنها: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ»^(٩).

(١) أخرجه البخاري (٤٥٢٢)، ومسلم (٢٦٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٢٢).

(٥) أخرجه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٩٠).

(٧) أخرجه الطبراني في الدعاء (١٣٣٨)، وفي المعجم الكبير (١٧/٢٩٤/٨١٠).

(٨) أخرجه أحمد في المسند (٢٤٢١٥).

(٩) أخرجه الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤).

ومنها: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرُك لما لا أعلم»^(١).

ومنها: «اللهم أعني على ذكرك، وشكرِك، وحسنِ عبادتِك»^(٢).
ومن الأدعية الثابتة عن النبي ﷺ قوله: «اللهم إني أعوذ بك من زوالِ نعمتِك، وتحولِ عافيتِك، وفجاءةِ نقمتِك، وجميعِ سخطِك»، رواه مسلم^(٣).



أدعية مأثورة (٣)

هذا الجزء الثالث من الدعوات المأثورة:

«اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة»^(٤)، كمن قال الله فيهم: ﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام: ٤٣]، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٧٤]، وغيرها من المواضع.

ومنها: «اللهم ما رزقتني مما أحبُّ فاجعله قُوَّةً لي فيما تُحبُّ، اللهم ما رزوت عني مما أحبُّ فاجعله فراغاً لي فيما تُحبُّ»^(٥).

ومنها: اللهم إني أسألك من فضلك العظيم^(٦).

الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ إلى قوله:

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦) وأبو يعلى في المسند (٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک (١٩٤٤)، أخرجه الطبراني في الدعاء (١٣٤٣)، وفي المعجم الصغير (٣١٦).

(٥) أخرجه الترمذي في السنن (٣٤٩١).

(٦) أخرجه البخاري (١١٦٢) ضمن دعاء الاستخارة، ويدل عليه عموم الآية المذكورة.

﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]، قال بعض أهل العلم: ما أمرك إلا لِيُعْطِيكَ^(١).

ومنها: «اللهم زدنا ولا تنقصنا»^(٢).

ومنها: «اللهم إني أسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى»^(٣).

وهذا دعاء عظيم جامع، ذكر النووي أنه ينبغي أن يُكثَرَ منه العبد ويلهج به^(٤). والشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله اعتنى بهذا الدعاء في كتابه «بهجة قلوب الأبرار»^(٥)، الذي شرح فيه تسعة وتسعين حديثاً، وتكلم في شرحه كلاماً مفيداً.

ومنها: «اللهم مُصَرِّفَ القلوبِ صَرِّفْ قلوبنا على طاعتِكَ»^(٦).

ومنها: «يا مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبي على دينِكَ»^(٧)، وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها لما سُئِلَتْ: ما كان أكثر دعاء النبي ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: «يا مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبي على دينِكَ»^(٨).

وكان النبي ﷺ يقول عند الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ

(١) قال القرطبي في تفسيره (٥/١٦٥): «قال سفيان بن عيينة: لم يأمر بالسؤال إلا لِيُعْطِيَ».

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (٣١٧٣)، والنسائي في السنن الكبرى (١٤٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٢١).

(٤) قال النووي في الأذكار، ص (١٣٩): «ومما يستحب الدعاء به في كل موطن: «اللهم إني أسألك العفو والعافية، اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»».

(٥) ينظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، ص (٢٠٥).

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٧) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، (٣٥٢٢).

(٨) أخرجه الترمذي في السنن (٣٥٢٢).

إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(١).



«اُكْنِزْ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ»

حَرِيٌّ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَحْفَظَ الْأَدْعِيَةَ الْمَأْثُورَةَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَدْعُو بِهَا، وَمِنْ هَذِهِ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزْ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحَسَنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ»^(٢).



مِنْ فَضَائِلِ التَّسْبِيحِ

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ^(٣) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِثْلَ مِثْلٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».



اِكْسَبْ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَرَّةً لَجَلَسَائِهِ: «أُبْعِجْزُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟!»، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جَلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤)، وأحمد (١٧١١٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١).



أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ ﷺ: «يَسْبُحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحْطَ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»^(١).

فالحمد لله على سَعَةِ فَضْلِهِ، وجودِهِ وَكَرَمِهِ، ونسأل الله ألا يحرمنَا فضله ولا خَيْرَ مَا عِنْدَهُ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا.



حِرْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ

روى الإمام مسلمٌ في صحيحه^(٢): أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي، يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يَقَالُ لَهُ خِنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتَّقِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا»، قَالَ: ففعلتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي.

قال النووي رحمه الله في معنى قوله: «يَلْبِسُهَا عَلَيَّ»: «يَخْلِطُهَا وَيُشَكِّكُنِي فِيهَا»^(٣).

ومعنى قوله: «حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا»: «أَيُّ نَكَدَنِي فِيهَا، وَمَنَعَنِي لَذَّتْهَا وَالْفِرَاقَ لِلْخُشُوعِ فِيهَا»^(٤).

قال النووي: «وفي هذا الحديث: استحبابُ التَّعَوُّذِ مِنَ الشَّيْطَانِ عِنْدَ وَسْوَئِهِ مَعَ التَّقَلُّبِ عَلَى الْيَسَارِ ثَلَاثًا»^(٥).



(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٣).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٠/١٤).

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

فَضْلُ الشُّكْرِ

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَلَّةُ الشَّاكِرِينَ لِلَّهِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّاكِرِينَ هُمْ خَوَاصُّهُ - سُبْحَانَهُ - ، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] .

وَالشُّكْرُ مَعَهُ الْمَزِيدُ أَبَدًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] فَمَتَى لَمْ تَرَ حَالَكَ فِي مَزِيدٍ فَأَكْثِرْ مِنَ الشُّكْرِ .

وَمِنْ تَمَامِ نِعْمَتِهِ - سُبْحَانَهُ - وَعَظِيمِ بَرِّهِ وَكَرَمِهِ عَلَى الْعَبْدِ إِذَا شَكَرَهُ: مُحِبَّتُهُ لَهُ عَلَى هَذَا الشُّكْرِ، وَرِضَاؤُهُ مِنْهُ بِهِ، وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِهِ؛ مَعَ أَنَّ نَفْعَ الشُّكْرِ مُخْتَصَرٌ بِالْعَبْدِ، وَهَذَا غَايَةُ الْكَرَمِ الَّذِي لَا كَرَمَ فَوْقَهُ، يُنْعِمُ عَلَيْكَ، ثُمَّ يَدْعُكَ شُكْرَ النِّعْمَةِ، وَيَرْضَى عَنْكَ، ثُمَّ يَعِيدُ إِلَيْكَ مَنَفَعَةَ شُكْرِكَ، وَيَجْعَلُهُ سَبَبًا لِتَوَالِي نِعْمِهِ عَلَيْكَ. انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ بِاخْتِصَارٍ^(١) .

وَحَبَّذَا تَأْمُلُ الْحَدِيثَ التَّالِيَّ: عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ، أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ: لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٢) .

سَوَّالٌ: قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي»: مَا دَلَالَتُهُ؟ طَلَبُ الْإِعَانَةِ يَكُونُ عَلَى مَاذَا؟ هَلْ يَكُونُ عَلَى الشَّيْءِ الْهَيِّنِ؟

الْجَوَابُ: لَا، يَكُونُ عَلَى مَا لَا يُطِيقُهُ الْإِنْسَانُ أَوْ يَشُقُّ عَلَيْهِ .

إِذْنُ؛ مِنَ الْمَهْمِّ اسْتِحْضَارُ هَذَا الْمَعْنَى: وَهُوَ كَوْنُكَ لَا تَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ إِلَّا بِمُعَاوَنَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

ثُمَّ إِنَّ مِنْ أَسْبَابِ إِجَابَةِ الدَّعَاءِ: تَبَرُّؤُ الْعَبْدِ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَاعْتِرَافُهُ لِرَبِّهِ بِضَعْفِهِ، وَعَدَمُ الْاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ - سُبْحَانَهُ - كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي عَدَدٍ مِنَ الْأَدْعِيَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاللَّجَأُ وَطَلَبُ الْعَوْنِ مِنَ اللَّهِ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي .

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٣٣ - ٢٤٢) .

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣) .

وَمَنْ وُفِّقَ فَأُعِينَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ: فَقَدْ حَازَ الْخَيْرَ
بِحِذَافِيرِهِ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «أَتُحِبُّونَ أَنْ تَجْتَهِدُوا
فِي الدُّعَاءِ؟ قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(١).

مُعَقَّبَاتُ: حَافِظَانِ وَكَاتِبَانِ

فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ
الْجَنِّ» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ^(٢).

هَذَا الْقَرِينُ الْمَلَاذِمُ لِلْإِنْسَانِ الَّذِي يَجْرِي مِنْهُ مَجْرَى الدَّمِ: شَرُّهُ عَظِيمٌ،
وَخَطَرُهُ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يُشْرَحَ؛ لَكِنْ مَعَ كُلِّ هَذَا فَقَدْ يَسَّرَ اللَّهُ لِلْعَبْدِ حُرُورًا
كَثِيرَةً، وَأَمَدَهُ بِأَسْبَابٍ بِالْغَةِ تَحْفَظُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ.

مِنْ ذَلِكَ:

- قِرَاءَةُ آيَةِ الْكَرْسِيِّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ.

- وَالتَّسْمِيَةُ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ، وَإِذَا قُرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامُهُ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ.

- وَقَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مِثْلَهُ مَرَّةً.

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْكَثِيرَةِ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ -.

وَعَلَى قَدْرِ حَاجَةِ النَّاسِ لِلشَّيْءِ: يُيسِّرُهُ اللَّهُ، وَيَتيسَّرُ حُصُولُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
أَهْلِي الشَّائِءِ وَالْمَجْدِ.

عَلَى أَيِّ حَالٍ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]:

«أَيُّ: لِلْعَبْدِ مَلَائِكَةٌ يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ؛ حَرَسٌ بِاللَّيْلِ، وَحَرَسٌ بِالنَّهَارِ،

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٧٩٨٢).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٨١٤).

يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال؛ من خير أو شر، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، فائنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه؛ واحد من ورائه، وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة بالليل، حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين بانوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بكم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون»^(١).



من بركات كتاب الله

قال الشيخ عطية محمد سالم رحمته الله في تتمته لتفسير «أضواء البيان»^(٢) في تفسير سورة التين: «وقد تواتر عند العامة والخاصة أن حافظ كتاب الله، المداوم على تلاوته: لا يصاب بالخرف ولا الهذيان، وقد شاهدنا شيخ القراء بالمدينة المنورة الشيخ حسن الشاعر، لا زال على قيد الحياة عند كتابة هذه الأسطر»^(٣) تجاوز المئة بكثير وهو لا يزال يُقرأ تلامذه القرآن، ويعلمهم القراءات العشر، وقد يسمع لأكثر من شخص يقرؤون في أكثر من موضع، وهو يضبط على الجميع».

وهو في هذا السن تجاوز المئة بكثير!.



(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٣٧ - ٤٣٨).

(٢) (٨/٩).

(٣) وقد توفي الشيخ عطية محمد سالم رحمته الله. «المؤلف».

تلاوة القرآن الكريم.. فضائل وآداب

قال الله ﷻ: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»^(١)، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»^(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا»^(٣).

قال النووي رحمته الله: «اعلم أنَّ تلاوة القرآن هي أفضلُ الأذكار، فينبغي المحافظةُ على تلاوته ليلاً ونهاراً، سفرًا وحضرًا، وللسلفِ رحمهم الله عاداتٌ متفاوتةٌ في القدر الذي يختمون فيه، وكان كثيرٌ منهم يختمون كلَّ سبعِ ليالٍ»^(٤).

❖ من آداب التلاوة:

قال النووي رحمته الله:^(٥)

- ١ - أول ما يؤمر به القارئ: الإخلاصُ، وأن يريدَ بقراءته وجهَ الله ﷻ.
- ٢ - ينبغي أن يتأدبَ مع القرآن ويستحضرَ في ذهنه أنه يناجي الله ﷻ ويتلو كتابه.
- ٣ - يحسنُ به أن يطيبَ فمَهُ بالسواك قبلَ أن يقرأ.

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٣) أخرجه الترمذي في السنن (٢٩١٠)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) الأذكار للنووي ص (١٨٧).

(٥) في الأذكار (ص ١٩٤) باختصار وتصرف يسير.

٤ - وأن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع، فهذا هو المقصود، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب. انتهى كلام النووي مختصراً.

ومن الآداب أيضاً:

٥ - ينبغي لقارئ القرآن ألا يتلو أثناء التأوب؛ بل يجتهد أن يكظم تأوُّبه، فإن الشيطان يدخل - كما ورد ذلك في الصحيح^(١) - .

٦ - لا تقتصر في قراءتك على سورٍ محددة؛ بل احرص على القراءة المتوالية من أول المصحف حتى تختمه، واجتهد ألا يمر عليك شهر - على الأكثر - إلا وقد ختمت.

٧ - اجعل لنفسك وزداً من القرآن - مقدراً محدداً - تقرأه كل يوم لا تنقص عنه، قال النووي رحمته الله: «قراءة القرآن أكد الأذكار، فينبغي المداومة عليها، فلا يخلي عنها يوماً وليلة»^(٢).

٨ - اجعل لبيتك نصيباً من تلاوتك، قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»^(٣).



من فوائد إخفاء الدعاء

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمته الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]: في إخفاء الدعاء فوائد عديدة:

أحدها: أنه أعظم إيماناً؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي.
وثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم؛ لأن الملوك لا ترفع الأصوات عندهم، ومن رفع صوته لديهم مَقْتُوهُ، والله المثل الأعلى.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٥).

(٢) الأذكار ص (١٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٧٨٠).



وثالثُها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولُبُّه ومقصودُه، فإنَّ الخاشعَ الذليلَ إنما يسألُ مسألةَ مسكينٍ ذليلٍ، قد انكسر قلبُه، ودَلَّتْ جَوَارِحُه، وخَشَعَ صَوْتُه.

ورابعُها: أنه أبلغ في الإخلاص.

ومنها - وهو من المعاني البديعة جدًا -: أنه دالٌّ على قرب صاحبه للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد، ولهذا أثنى الله على عبده زكريَّا بقوله ﷻ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّاءَ حَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]، فلما استحضر القلبُ قُربَ الله ﷻ، وأنه أقرب إليه من كلِّ قريبٍ: أخفى دعاءه^(١).



تعويذُ الصبيان

روى البخاريُّ في صحيحه^(٢) أنَّ النبي ﷺ كان يُعوذُ الحسنَ والحسينَ ﷺ ويقولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعوذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»، وفي رواية: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ».

«الهامة»: كلُّ ذاتِ سُمٍّ، و«اللامَّة»: العينُ التي تصيبُ بسوءٍ^(٣).

قالَ الشيخُ عبدُ المحسنِ القاسم - حفظه الله -: «لا يُشترطُ أن يكونَ الولدُ قريبًا منك، فَلَكَ أن تقولَ هذا الدعاءَ وإن كانَ بعيدًا عنكَ، ويصحُّ تعويذُ غيرِ الولدِ، كالزوجةِ والأُمِّ وغيرِهما»^(٤).

وفي جوابٍ للشيخِ ابنِ بازٍ رَحِمَهُ - وكأنَّه سُئِلَ متى تُقالُ؟ - قالَ: يقولُها

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/١٥ - ١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧١).

(٣) ينظر: الصحاح للجوهري (٢٠٣٢/٥)، النهاية لابن الأثير (٢٧٥/٥).

(٤) الأذكار والآداب للقاسم، ص (١٢٩).

وهم نائمون، أو عند تنويمهم، ويقولها مطلقاً؛ يعني: غير مرتبط بوقت أو مناسبة.



من فضائل الصلاة على النبي ﷺ

روى الترمذي رحمه الله بسنده (١): عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس! اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه»، قال أبي: فقلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت»، قلت: الرُّبُع؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: فالنصف؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير»، قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير»، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذن تكفي همك، ويغفر لك ذنبك»، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

قال المباركفوري رحمه الله في شرح هذا الحديث: قوله: «يا أيها الناس»؛ أراد به النائمين من أصحابه، ينبههم عن النوم؛ ليشغلوا بذكر الله والتهجد. «جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة»، قال في النهاية: «الراجفة»: النفخة الأولى التي يموت لها الخلائق، و«الرادفة»: النفخة الثانية التي يحيون لها يوم القيامة.

وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦]، وعبر بصيغة المضى؛ لتحقيق وقوعها، فكأنها جاءت، والمراد: أنه قارب وقوعها فاستعدوا؛ لتحويل أمرها.

وقوله: «جاء الموت بما فيه»: أي من الشدائد الكائنة في حال النزع والقبر وما بعده.

«جاء الموت بما فيه»: التكرار للتأكيد.

قوله: «فكم أجعل لك من صلاتي؟» أي: بدّل دعائي الذي أدعوه به لنفسي. وقال المنذري: معناه: أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك؟

قوله: «قلت: الربع» أي: أجعل ربع أوقات دعائي لنفسي مصروفًا للصلاة عليك.

قوله: «قلت: أجعل لك صلاتي كلها» أي: أصرف بصلاتي عليك جميع الزمن الذي كنت أدعوه به لنفسي.

قوله: «إذن تكفى همك» المعنى: إذا صرفت جميع أزمان دعائك في الصلاة عليّ أعطيت مرام الدنيا والآخرة^(١).



فضل سؤال الله العفو والعافية

ذكر الحافظ الدميّ في «المتجر الرابع»^(٢) الأحاديث التالية تحت عنوان: «ثواب من سأل الله العفو والعافية»:

«عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قام على المنبر ثم بكى، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ

(١) ينظر: تحفة الأحوذى (١٢٩/٧).

قال العلامة ابن القيم في جلاء الأفهام ص (٧٩): «وسئل شيخنا أبو العباس عن تفسير هذا الحديث؟ فقال: كان لأبي بن كعب رضي الله عنه دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي ﷺ هل يجعل له منه ربعة صلاة عليه ﷺ؟ فقال: «إن زدت فهو خير لك» إلى أن قال: «إذن تكفى همك، ويغفر لك ذنبك» لأن من صلى على النبي ﷺ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ومن صلى الله عليه كفاه همه، وغفر له ذنبه، هذا معنى كلامه ﷺ.

(٢) ص (٦٥٩).

عَامَ أَوَّلَ عَلَى الْمَنْبَرِ ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِيْنِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمَعَاْفَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَافِيَةِ»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: غَرِيبٌ، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَلْ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ وَالْمَعَاْفَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الْيَوْمَ الثَّالِثَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: «فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا، وَأُعْطِيتَهَا فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، انْتَهَى كَلَامُ الدِّمَاطِيِّ.

وَقَالَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «الْأَذْكَارِ»^(١): «رَوَيْنَا بِالْأَسَانِيْدِ الصَّحِيْحَةِ فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنِ مَاجَهٍ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يَمْسِي وَحِينَ يَصْبُحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِيْنِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّْ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي».





من أدعية الاستفتاح

هذا دعاء من أدعية الاستفتاح التي كان النبي ﷺ يستفتح بها صلاة الليل، وقد وردت عنه عدة أنواع من الاستفتاح، وكلما عمل المسلم بما ورد عن النبي ﷺ كان أكمل في اتباعه وأعظم لأجره؛ سواء كان ذلك في أدعية الاستفتاح، أو الأذكار التي تُقال في الركوع أو السجود، أو صفات صلاة الليل، أو غير ذلك.

لفظ دعاء الاستفتاح هذا - والحديث رواه مسلم^(١) -: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَأَغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».



ساعة الإجابة في يوم الجمعة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد»^(٢): في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وقال بيده يُقَلِّلُهَا.

(١) أخرجه مسلم (٧٧١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: ...

(٢) ينظر: (١/ ٣٧٥ - ٣٨٢).

وقال ابن القيم: وأرجح هذه الأقوال: قولان تَضَمَّنَتْهُمَا الأحاديثُ الثابتة، وأحدهما أرجح من الآخر.

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة.

والقول الثاني: أنها بعد العصر، وهذا أرجح القولين، وهو قول عبد الله بن سلام وأبي هريرة رضي الله عنهما والإمام أحمد وخلفه.

وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي - في حديث طويل - أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه سُئِلَ: كيف هي آخر ساعة من يوم الجمعة وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وهو يصلي»، وتلك الساعة لا يُصَلِّي فيها - أي: آخر ساعة من العصر في يوم الجمعة -؟ فقال عبد الله بن سلام: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي»؟.

ثم قال ابن القيم: وعندي أن ساعة الصلاة ساعة تُرجى فيها الإجابة أيضاً، فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر، فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدم ولا تتأخر.

وأما ساعة الصلاة^(١) فتابعة للصلاة، تقدمت أو تأخرت؛ لأن لا اجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيراً في الإجابة، فساعة اجتماعهم ساعة تُرجى فيها الإجابة، وعلى هذا تنفق الأحاديث كلها،

(١) وهذه جاء فيها حديث رواه مسلم (٨٥٣) عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، قال: قال لي عبد الله بن عمر: أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة؟ قال: قلت: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تُقضى الصلاة». «المؤلف».

تنبيه: قال الدارقطني في كتابه الإلزامات والتتبع ص (١٦٧): «هذا الحديث لم يسنده غير مخرمة بن بكير عن أبيه عن أبي بردة، وقد رواه جماعة عن أبي بردة من قوله، ومنهم من بلغ به أبا موسى ولم يسنده، والصواب من قول أبي بردة منقطع». وناقش النووي هذا الاستدراك في شرحه على صحيح مسلم (١٤١/٦).



وَيَكُونُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ حَضَّ أُمَّتَهُ عَلَى الدَّعَاءِ وَالِابْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي هَاتَيْنِ السَّاعَتَيْنِ. انْتَهَى كَلَامُهُ.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»^(١): «وَكَأَنَّ مَا أَخَذَهُمْ فِي ذَلِكَ^(٢): أَنَّهَا وَقْتُ اجْتِمَاعِ الْمَلَائِكَةِ^(٣)، وَابْتِدَاءُ دُخُولِ وَقْتِ الْجُمُعَةِ، وَابْتِدَاءُ الْأَذَانِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ».

عَلَى أَيِّ حَالٍ؛ تَقَدَّمَ كَلَامُ ابْنِ الْقَيْمِ: أَنَّ الْمَرْجَحَ كَوْنُهَا بَعْدَ الْعَصْرِ. ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيْمِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «السَّاعَةُ الَّتِي تُذَكَّرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ»، قَالَ الرَّوَايِ: وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ لَمْ يَكَلِّمْ أَحَدًا حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ. انْتَهَى^(٤).

وَذَكَرَ الذَّهَبِيُّ - أَيْضًا - فِي «سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ»^(٥) أَثَرًا قَرِيبًا مِنْ هَذَا: «عَنْ أَبِي رَوَّادٍ قَالَ: رَأَيْتُ طَاوُسَ بْنَ كَيْسَانَ - التَّابِعِيَّ الْجَلِيلَ - وَأَصْحَابَهُ إِذَا صَلَّوْا الْعَصْرَ اسْتَقْبَلُوا الْقِبْلَةَ وَلَمْ يَكَلِّمُوا أَحَدًا وَابْتَهَلُوا بِالْدَّعَاءِ».

وَأَيْضًا: قَالَ ابْنُ رَجَبٍ فِي «الْمَحْجَةِ فِي سِيرِ الدُّلْجَةِ»^(٦): «كَانَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ لِأَخْرِ النَّهَارِ أَشَدَّ تَعْظِيمًا مِنْ أَوَّلِهِ».



(١) فتح الباري (٢/٤١٨).

(٢) يعني: مَنْ رَأَوْا أَنَّهَا سَاعَةُ الصَّلَاةِ. «المؤلف».

(٣) يعني: مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَلِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّأَ الصُّحُفَ، وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»، رواه البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠). «المؤلف».

(٤) ينظر: زاد المعاد (١/٣٨٢).

(٥) ص (٤٨/٥).

(٦) ص (٥٩).

الاستنصارُ بالدعاءِ

إِنَّ الاستنصارَ بالدعاءِ والتَّسْلُحَ بِهِ لنَصْرِ الدِّينِ وَرَدُّ كَيْدِ المفسدينِ سُنَّةٌ مأثورةٌ، تَسْلُحَ بِهِ الأنبياءُ والصالحونَ، وشواهدُ ذَلِكَ في كتابِ الله وسُنَّةِ رسولِ الله ﷺ عديدةٌ، وكذلك مِنْ سيرةِ الصحابةِ رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسانٍ.

فَمِنْ ذَلِكَ: دعاءُ النَّبِيِّ ﷺ على مَنْ وضعُوا عليه سَلاَ الجزورِ: «اللَّهُمَّ عليك بقریش، اللَّهُمَّ عليك بفلان وفلان»، حتى عَدَّ سبعةً^(١).

ومنها: دعاءُ المؤمنِ على صاحبِ الجنيتينِ: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠].

ومن شواهدِه أيضًا: دعاءُ سعيدِ بنِ زيدٍ رضي الله عنه - أحدِ العشرةِ المبشرينِ بالجنةِ - على التي ظَلَمْتُهُ وادَّعَتْ عليه أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً، فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا». قَالَ الراوي: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، وَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ. متفقٌ عليه^(٢).

ومن ذَلِكَ: دعاءُ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ رضي الله عنه على مَنْ اتَّهَمَهُ بِأَنَّهُ لَا يَسِيرُ بالسَّريَّةِ، وَلَا يَقْسُمُ بالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعدِلُ في القضيَّةِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ». فَكَانَ يُرَى وَقَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ على عَيْنَيْهِ وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ للجواري في الطُّرُقِ، يقولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ. متفقٌ عليه^(٣).

وَذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ في «الحلية»^(٤) عَنْ عامِرِ بنِ سعدٍ بنِ أبي وقاصٍ أَنَّ أَبَاهُ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٨) مختصرًا، ومسلم (١٣٩/١٦١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥٥)، ومسلم (٧٥٣) مختصرًا.

(٤) ينظر كتاب: «مجاوبو الدعوة»، لابن أبي الدنيا، ص (٣٧)، والبداية والنهاية لابن كثير



سعداً رضي الله عنه رأى جماعةً مجتمعين على رجلٍ، فإذا هو يسبُّ علياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم، فنهاه عن ذلك فلم ينته، فقال: أَدْعُو عَلَيْكَ؟ فقال الرجلُ: تَتَهَدَّدُنِي كَأَنَّكَ نَبِيٌّ؟! فانصرف سعدٌ فتوضأً وصلى ركعتين، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَبَّ قَوْمًا قَدْ سَبَقَ لَهُمْ مِنْكَ سَابِقَةُ الْحَسَنِ، وَأَنْتَ قَدْ أَسْخَطْتَ سَبُّهُ إِيَاهُمْ، فَاجْعَلْهُ الْيَوْمَ آيَةً وَعِبْرَةً». قَالَ: فَخَرَجْتُ نَاقَةً نَادَّةٌ لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ، حَتَّى دَخَلْتُ بَيْنَ جُمُوعِ النَّاسِ، فَافْتَرَقَ النَّاسُ؛ خَوْفًا مِنْهَا، فَأَخَذْتُهُ بَيْنَ قَوَائِمِهَا، فَلَمْ تَزَلْ تَتَخَبَّطُهُ حَتَّى مَاتَ.

شاهدٌ سادسٌ: ذَكَرَ ابْنُ رَجَبٍ رحمته الله فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ» ^(١) أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ كَانَ يَغْشَى مَجْلِسَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَيُؤْذِيهِمْ، فَلَمَّا زَادَ أَذَاهُ قَالَ الْحَسَنُ: اللَّهُمَّ قَدْ عَلِمْتَ أَذَاهُ لَنَا فَكُفِّنَاهُ بِمَا شِئْتَ. فَخَرَّ الرَّجُلُ مِنْ قَامَتِهِ، فَمَا حُوِلَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا مَيِّتًا.

وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمته الله: «وَالْمُسْلِمُونَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا قُلُوبُهُمْ وَاحِدَةٌ، مَوَالِيَةُ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ صلوات الله عليه وَلِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، مُعَادِيَةُ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَعْدَاءِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقُلُوبُهُمُ الصَّادِقَةُ وَأَدْعِيَّتُهُمُ الصَّالِحَةُ هِيَ الْعَسْكَرُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، وَالْجَنْدُ الَّذِي لَا يُخْذَلُ» ^(٢).

فَاجْتَهَدُ - بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ -، وَلَا يَحْقِرُ أَحَدٌ نَفْسَهُ؛ بَلْ أَحْسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تعالى قَرِيبٌ، مُجِيبٌ، رَحِيمٌ، وَعَدٌ، وَوَعْدُهُ لَا يُخْلَفُ: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وَقَالَ صلوات الله عليه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَأَمِّلْ فِي فَضْلِ اللَّهِ! أَمِّلْ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَيَا أُمَّةَ اللَّهِ: أَنَّ يُقَيِّضَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ بِسَبَبِ دَعَوَاتٍ صَالِحَةٍ دَفْعَ فِتْنٍ وَمُنْكَرَاتٍ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ غَلَقَ أَبْوَابَ شَرٍّ وَفَسَادٍ، أَوْ كَفَّ يَدَ مُتَسَلِّطٍ بِالْفَسَادِ، وَفَتَحَ أَبْوَابَ الْخَيْرِ، وَنَفَعًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي

(١) ينظر: (١٠٩٥/٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٦٤٤/٢٨).

دينهم وديناهم، أو استقامة إخوانك المسلمين وثباتهم على دينهم؛ شبيبهم وشبابهم، ذكورهم وإناثهم، وعدم الافتتان بما يُزين لهم، اجتهد في هذا.

قد تكون سبباً في باب من هذه الأبواب، فبما سعد من أجرى الله خيراً على الأمة أو كَفَّ عنها شراً بسبب دعواته، وكَمَّ له في هذا من الأجور العظيمة؟ والحسنات المضاعفة؟ نسأل الله من فضله، ونسأل الله ألا يحرمنا فضله بذنوبنا.

فاجتهد في الدعاء في كُلِّ حين، وتأدّب بآدابه، واحذر من الاعتداء في الدعاء، وهذا مثال من أحد علماء السلف: ذَكَرَ الذهبي في «السِّير»^(١) أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيلَ لَهُ: أَلَا تَدْعُو عَلَى بَنِي فَلَانٍ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِزِّ دِينَكَ، وَأَظْهِرْ أَوْلِيَاءَكَ، وَأَخْزِرْ أَعْدَاءَكَ، فِي عَافِيَةٍ لَأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ».

فاجتهد أَنْ يُصْلِحَ اللهُ أحوالَ المسلمين؛ أَنْ يُصْلِحَ دينهم، وديناهم، وآخرتهم، وشؤونهم كُلَّها، واجتهد في سؤالِ الله العافية في الدنيا والآخرة، وسؤالِ الله العفو والعافية، في ديننا ودنيانا، وأهلنا ومالنا، وَأَنْ يَحْفَظَ علينا ديننا، وتعوّذُ بالله من الفتن، واسألِ الله أَنْ يرفعَ وَيُدْفَعَ عَنَّا الفتنَ، وَأَنْ يُصْلِحَ تعليمنا، وإعلامنا، وشأننا كُلَّهُ، وادعُ على مَنْ أَرَادَنَا أو أَرَادَ المسلمينَ بسوءٍ: أَنْ يَكْفِيَنَا اللهُ شَرَّهُمْ بما يشاء، إلى غيرِ ذَلِكَ من مَصلِحِ الدِّينِ والدُّنيا.



«أَفْضَلُ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ»

كُلُّ كِتَابِ اللهِ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ؛ كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ [ص: ٢٩]، وَقَدْ اخْتَصَّتْ بَعْضُ الْآيَاتِ وَبَعْضُ السُّورِ بِمَزِيدِ فَضْلٍ، وَمِنْ هَذِهِ السُّورِ: المَعْوِذَاتُ.

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا قِيلَ الْمَعْوِذَتَانِ؛ فَالْمُرَادُ بِهِمَا:

(١) ينظر: (٢٣٢/٤).



الفلق والناس، وإذا قيل: المعوذات، فالمرادُ بها الإخلاصُ والمعوذتانِ.
❖ ومن فضائل المعوذات:

الأولى: استحبابُ قراءتها ثلاثاً إذا أصبحت، وثلاثاً إذا أمسيت^(١).

الثانية: استحبابُ قراءتها أَدبارَ الصلواتِ الخمسِ^(٢).

الثالثة: الرقيةُ من المرضِ، تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَعُوذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْ يَدِهِ»، هذا الحديثُ في البخاري^(٣).

وقولُها ﷺ: «إِذَا اشْتَكَى»؛ يعني: مَنْ أَيَّ عَارِضٍ، وَلَيْسَ كَمَا يَفْهَمُ بَعْضُ النَّاسِ؛ أَنَّهَا تَكُونُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الرُّوحِيَّةِ، كَالْعَيْنِ أَوِ الْمَسِّ أَوِ السَّحَرِ أَوْ نَحْوِ هَذَا، وَإِنَّمَا مِنْ أَيَّ عَارِضٍ.

الرابعة: استحبابُ قراءتها إذا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ رحمته الله: «قِرَاءَةُ هَذِهِ السُّورِ الثَّلَاثِ مَعَ النَّفْثِ عِنْدَ النَّوْمِ سُنَّةٌ، وَمِنْ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ، وَقِرَاءَتُهَا فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ تَكْفِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(٤).

أما المعوذتانِ فَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِهِمَا - بِخُصُوصِهِمَا - أَحَادِيثٌ؛ كَالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ^(٥) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

(١) روى أبو داودَ (٥٠٨٢)، والتِّرْمِذِيُّ (٣٥٧٥) عَنْ مَعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ﷻ وَالْمَعُوذَتَيْنِ، حِينَ تَمْسِي، وَحِينَ تَصْبُحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(٢) روى أبو داودَ (١٥٢٣) والتِّرْمِذِيُّ (٢٩٠٣) وَالنَّسَائِيُّ (١٣٣٦) عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمَعُوذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٣٩)، وَمُسْلِمٌ (٢١٩٢).

(٤) الْفَوَائِدُ الْمَجْنِيَّةُ، ص (١٢٠٢).

(٥) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٠٥٨)، وَالنَّسَائِيُّ (٥٤٩٤)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٥١١)، يَنْظُرُ: صَحِيحٌ وَضَعِيفٌ سَنَنَ النَّسَائِيُّ لِلْأَلْبَانِيِّ (٤٩٤/١١).

الخدريّ رحمه الله قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ أَعْيُنِ الْجَانِّ وَأَعْيُنِ الْإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمَعُوذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا، وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ.

ومِمَّا وَرَدَ فِي فَضْلِهِمَا - أَيْضًا -: حَدِيثُ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رحمه الله، وَالَّذِي رَوَى عَنْهُ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله - بَعْدَ أَنْ سَاقَ عِدَدًا مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ -: «فَهَذِهِ طَرُقٌ عَنْ عَقْبَةَ كَالْمَتَوَاتِرَةِ عَنْهُ، تُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ فِي الْحَدِيثِ»^(١)، انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ كَثِيرٍ.

وَذَلِكَ أَنَّ عَقْبَةَ رحمه الله كَانَ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَالنَّاسُ يَعْتَقِبُونَ - أَيِ عَلَى الْبَعِيرِ الْوَاحِدِ -، وَفِي الظَّهْرِ قِلَّةٌ - يَعْنِي فِي الْإِبِلِ -. وَفِي رِوَايَةٍ: بَيْنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْجَحْفَةِ وَالْأَبْوَاءِ - بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ - إِذْ عَشِيتْنَا رِيحٌ وَظُلْمَةٌ...^(٢).

الْمَقْصُودُ: أَنَّهُ رحمه الله فِي هَذَا الْمَسِيرِ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الْمَعُوذَتَيْنِ، وَحَثَّهُ عَلَى التَّعَوُّذِ بِهِمَا، ثُمَّ لَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ قَرَأَ بِهِمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي الْفَرِيضَةِ.

فَمِنْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ: مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٣) عَنْ عَقْبَةَ رحمه الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾^(١) [الْفَلَقُ: ١] وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [النَّاسُ: ١]».

وَفِي رِوَايَةٍ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ^(٤): أَنَّهُ رحمه الله قَالَ لِعَقْبَةَ رحمه الله: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ رحمه الله: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الْفَلَقُ: ١] وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [النَّاسُ: ١]».

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٣٣/٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٨١٤).

(٤) أخرجه النسائي (٥٤٣٢)، وأحمد (١٧٢٩٧).

وفي رواية النسائي^(١): «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَعَوَّدُوا بِمِثْلِ هَذَيْنِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]».

أما الروايات التي أوردَها الإمام أحمد رحمته الله في «المسند» فهي كثيرة؛ منها:

قول النبي ﷺ: «يَا عَقِيبُ، أَلَا أَعْلَمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَكُلَّمَا قُمْتَ»^(٢).

وفي رواية: «تعوذوا بهنَّ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُتَعَوَّذْ بِمِثْلِهِنَّ»^(٣).

وفي رواية: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]»^(٤).

وفي رواية - بخصوصِ سورةِ الفلق -: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]»^(٥).

وفي رواية: «إِنَّكَ لَمْ تَقْرَأْ سُورَةَ أَحَبِّ إِلَى اللَّهِ وَلَا أَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]»^(٦).

هذه الروايات رواها الإمام أحمد رحمته الله، وبعضُها إسنادُه أمتنُ من بعض، ومنها الصحيحُ ومنها دون ذلك.

ليسَ هذا فَحَسْبُ في فضلهما؛ بلْ إِنَّهُمَا من الأدعية الجامعة: ففي رواية

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٨٠٧).

(٢) أخرجه النسائي (٥٤٣٧)، وأحمد (١٧٢٩٦)، وفي لفظه: «يَا عَقِيبُ...».

(٣) أخرجه أحمد (١٧٢٩٩).

(٤) أخرجه أحمد (١٧٣٠٣)، ومسلم (٨١٤).

(٥) أخرجه أحمد (١٧٣٤١)، والنسائي (٩٥٣).

(٦) أخرجه أحمد (١٧٤١٨).

للنسائي وصححها الألباني^(١) قَالَ ﷺ: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا، وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِذٌ بِمِثْلِهِمَا».

وعلى أيِّ حال؛ فما في هاتين السورتين من التعويذ والتحصين هو مَنْ نِعِمَّ اللهُ الْجَلِيلَةُ عَلَيْنَا فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، فَهُوَ خَيْرٌ وَنَفْعٌ وَأَمَانٌ وَتَحْصِينٌ لَنَا فِي شُؤُونِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا.

فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ التَّعَوُّذَ بِهِمَا سَبَبٌ لاسْتِدْفَاعِ الشُّرُورِ وَاتَّقَاءِ الْبَلَاءِ، كَمَا تَقُولُ عِنْدَ الْمُخَافِ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»^(٢)، فَتَعَوُّذٌ - أَيْضًا - مِنْ ذَلِكَ الشَّرِّ الَّذِي خِفْتُهُ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ؛ بَلْ هُمَا أَنْفَعُ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؛ كَمَا تَقْدَمُ فِي الرِّوَايَاتِ.

فَمِنْ صُورِ ذَلِكَ: أَنَّكَ إِذَا خِفْتَ عَلَى الدِّينِ مِنْ مَفْسِدٍ فَتَعَوَّذَ بِهِمَا. وَإِذَا غَابَ عَنْكَ أَوْلَادُكَ أَوْ حَضَرُوا وَخِفْتَ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ فَاقْرَأْهُمَا. وَإِذَا خِفْتَ مِنْ خَصْمٍ أَنْ يَبْغِيَ عَلَيْكَ وَيَفْتَرِيَ فَتَعَوَّذَ بِهِمَا. إِذَا خِفْتَ عَلَى صِحَّتِكَ - بِسَبَبِ أَيْ عَارِضٍ؛ مِنْ تَغْيِيرِ الْجَوِّ أَوْ تَعَرُّضٍ لِبَرْدٍ أَوْ تَسَمُّ طَعَامٍ أَوْ تَلَوُّثٍ أَوْ غِيَابِ الدَّوَاءِ أَوْ زِيَادَةِ جَرْعَتِهِ أَوْ مَنْ ضَعُفَتْ مَنَاعَةُ جَسَمِهِ لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ - فَلْيَتَعَوَّذَ بِهِمَا. وَمَنْ خَالَفَ مَا حُجِبَ وَاحْتَمَى مِنْهُ مِنَ الْأَطْعِمَةِ فَلْيَتَعَوَّذَ بِهِمَا. وَهَكَذَا مَنْ تَعَرَّضَ لِمَا يُسَبِّبُ حَسَاسِيَةً لَهُ؛ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمُؤَثِّرَاتِ فَلْيَتَعَوَّذَ بِهِمَا. أَوْ خِفْتَ مِنْ شَرِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصُّورِ الَّتِي يَصْعَبُ حَصْرُهَا.

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٥٤٣٨)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي أَصْلِ صِفَةِ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ (٤٣٧/٢): «وَالْإِسْنَادُ حَسَنٌ، أَوْ صَحِيحٌ لغيره»، وَيَنْظُرُ: صَحِيحٌ وَضَعِيفٌ سَنَنَ النَّسَائِيُّ لِلْأَلْبَانِيِّ (٤٣٨/١١).

(٢) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (٢٧٠٨): عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ نَزَلَ مِنْزَلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرِحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ».



ولهذا قَالَ العلامةُ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: حَاجَةُ الْعَبْدِ إِلَيْهِمَا أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِ لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنَّفْسِ^(١).

وهذا مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ - اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ -، كما أَنَّهَا إِحْدَى بَرَكَاتِ كِتَابِ اللهِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ [يونس: ٥٧ - ٥٨]. هَذَا الْفَرْحُ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُثَابُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ.

رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «فَضْلُ اللهِ الْإِسْلَامُ، وَرَحْمَتُهُ الْقُرْآنُ»^(٢).

وَأُشِيدُ وَأُكَّدُ عَلَى قِرَاءَةِ مَا فِي كِتَابٍ: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ، تَحْتَ عُنْوَانٍ: «ذِكْرُ بَعْضِ الطَّائِفَةِ - سُبْحَانَهُ»^(٣)، فَهُوَ مُفِيدٌ جَدًّا.



مِنْ جَوَامِعِ الدَّعَاءِ

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِهِ^(٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الْتَمِسْ لَنَا غُلَامًا مِنْ غُلَمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي» - هَذَا لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسِيرَ إِلَى خَيْبَرَ -، فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ يُرِدُّنِي

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/٧٠١)، وفيه: «والمقصودُ الكلامُ على هاتين السورتين، وبيانُ عظيمِ منفعتيهما، وشدةِ الحاجةِ؛ بل الضرورةِ إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحدٌ قطُّ، وأن لهما تأثيرًا خاصًا في دفعِ السحرِ والعينِ وسائرِ الشرورِ، وأن حاجةَ العبدِ إلى الاستعاذةِ بهاتين السورتينِ أعظمُ من حاجتهِ إلى النَّفْسِ والطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ».

(٢) تفسير الطبري (١٢/١٩٧).

(٣) «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» ص (٢٢٩)، عند الكلامِ على اسمِ اللهِ ﷻ: اللطيف.

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٦٣).

وراءه، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»، الحديث.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضَلَعِ الدِّينِ» المرادُ بِهِ هُنَا: ثِقَلُ الدِّينِ وَشِدَّتُهُ؛ وَذَلِكَ حَيْثُ لَا يَجِدُ مَنْ عَلَيْهِ الدِّينُ وَفَاءً، وَلَا سِيَمَا مَعَ الْمَطَالِبَةِ^(١)، نَسَأُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

وقوله: «وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»: «أَيَّ شِدَّةٍ تَسْلُطُهُمْ، كَاسْتِيلَاءِ الرَّعَاعِ هَرْجًا وَمَرْجًا».

قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: هَذَا الدُّعَاءُ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ^(٢).



فَضْلُ الذِّكْرِ

ذَكَرَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْوَابِلِ الصَّيِّبِ»^(٣) فَضْلَ الذِّكْرِ، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ:

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ: كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَخْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُخْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ»^(٤).

(١) فتح الباري (١١/١٧٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) ص ٨٣ - ٩٢ باختصار.

(٤) هذا الحديث قطعة من كلام يحيى بن زكريا - عليهما الصلاة والسلام -، وأوله: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكْرِيَّا رَحِمَهُ اللَّهُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَأَنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فِيمَا أَنْ تَأْمُرَهُمْ =



فلو لم يكن في الذِّكْرِ إلا هذه الخصلة الواحدة لكانَ حقيقاً بالعبدِ ألا يَفْتَرِ لسانُهُ مَنْ ذَكَرَ اللهَ تعالى، ولا يدخلُ عليه العدوُّ إلا مِنْ بابِ الغفلة؛ ولهذا سُمِّيَ: الوسواسَ الخَنَاسَ؛ أي: يوسوسُ في الصدورِ، فإذا ذُكِرَ الله تعالى خَسَ؛ أي: كَفَّ وانقبَضَ.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «الشيطانُ جائئٌ على قلبِ ابنِ آدمَ، فإذا سها وغفلَ وسوسَ، فإذا ذَكَرَ الله تعالى خَسَ».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفَرَّدُونَ»، قِيلَ: وَمَا الْمُفَرَّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».

وفي «سنن أبي داود» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيْفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ».

وفي رواية الترمذي: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ^(١)، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ».

وفي «صحيح مسلم» عن الأغرِّ أبي مسلم رضي الله عنه قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسولِ الله ﷺ قال: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

= وإما أن آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يُخَسَفَ بي وأُعَذَّبَ. فجمع يحيى الناسَ في بيتِ المقدسِ، فامتلاً المسجدُ، وقعدوا على الشُّرفِ، فقال: إِنَّ اللهَ تبارك وتعالى أمرني بخمسٍ كلماتٍ أن أعملَ بهنَّ وأمركم أن تعملوا بهنَّ: أولهنَّ أن تعبدوا اللهَ ولا تشركوا به شيئاً...، وأمركم أن تذكروا اللهَ تعالى...، الحديث.

(١) «التَّرَةُ»: النقصُ، وقيل: التَّبَعَةُ. «المؤلف»، وينظر: النهاية لابن الأثير (١/١٨٩).

وفي الترمذي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ كَثِيرَةٌ وَلَا أَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِكُلِّهَا، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ وَلَا تَكْثُرُ عَلَيَّ فَأَنْسَى. وفي رواية: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، وَأَنَا قَدْ كَبِرْتُ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ، وَلَا تَكْثُرُ عَلَيَّ فَأَنْسَى. قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى».

وفي «صحيح البخاري» عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

وعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرًا لِلَّهِ ﷻ».

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ﷻ؟ قَالَ: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ».

وقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لِكُلِّ شَيْءٍ جَلَاءٌ، وَإِنَّ جَلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ ﷻ».

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْقَلْبَ يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الثُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَغَيْرُهُمَا، وَجَلَاؤُهُ بِالذِّكْرِ، فَإِنَّهُ يَجْلُوهُ حَتَّى يَدَعَهُ كَالْمَرَاةِ الْبَيْضَاءِ، فَإِذَا تَرِكَ الذِّكْرَ صَدِيَ، فَإِذَا دُكِرَ جَلَاهُ.

وَصَدَأَ الْقَلْبُ بِأَمْرَيْنِ: بِالْغَفْلَةِ، وَالذَّنْبِ. وَجَلَاؤُهُ بِشَيْئَيْنِ: بِالِاسْتِغْفَارِ، وَالدُّكْرِ.



ثُمَّ قَالَ ﷺ:

«فصل: وفي الذكر نحو من مئة فائدة»^(١) - ثُمَّ شرع يذكر بعضاً منها إلى أن قال:

«الخامسة عشرة - من فوائد الذكر -: أنه يورثه»^(٢) ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرافاً.

وقال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»^(٣).

ثُمَّ قَالَ: «السابعة عشرة: أنه قُوْتُ القلب والروح، فإذا فَقَدَهُ العبد صار بمنزلة الجسم إذا حِيلَ بينه وبين قُوَّته.

وحَضَرْتُ شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثُمَّ جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: هذه عَدَوَتِي، وَلَوْ لَمْ أَتَغَدَّ هَذَا الْغَدَاءَ سَقَطْتُ قُوَّتِي. أو كلاماً قريباً من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحته؛ لَأَسْتَعِدَّ بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلاماً هذا معناه»^(٤).



من أسباب انشراح الصدر

ذَكَرَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ ﷺ فِي «الْوَابِلِ الصَّيِّبِ»^(٥) مِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ:

(١) المرجع السابق، ص (٩٤).

(٢) أي: يورث الذاكر.

(٣) المرجع السابق، ص (٩٦).

(٤) المرجع السابق.

(٥) ص (١٠٤) باختصار.

«أَنْ دَوَامَ ذِكْرِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْجِبُ الْأَمَانَ مِنْ نَسْيَانِهِ، الَّذِي هُوَ سَبَبُ شَقَاءِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فَإِنَّ نَسْيَانَ الرَّبِّ ﷻ يَوْجِبُ نَسْيَانَ نَفْسِهِ وَمَصَالِحِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

وَإِذَا نَسِيَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ: أَعْرَضَ عَنْ مَصَالِحِهَا وَنَسِيَهَا وَاشْتَغَلَ عَنْهَا؛ فَهَلَكَتْ وَفَسَدَتْ وَلَا بُدَّ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي صَارَ أَمْرُهُ كُلُّهُ فُرْطًا، فَاَنْفَرَطَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَضَاعَتْ مَصَالِحُهُ، وَأَحَاطَتْ بِهِ أَسْبَابُ الْخَبِيَةِ وَالْهَلَاكِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْأَمَانِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِدَوَامِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهَجِ بِهِ، وَأَنْ لَا يَزَالَ اللِّسَانُ رَطْبًا بِهِ.

فَمَنْ نَسِيَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْسَاهُ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا، وَنَسِيَهُ فِي الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ الضَّنْكَ: الضَّيْقُ وَالشَّدَّةُ وَالْبَلَاءُ. فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي ضَنْكِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْبَرْزَخِ^(١).

«وَهَذَا عَكْسُ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ، فَإِنَّ حَيَاتَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَطْيَبُ الْحَيَاةِ وَفِي الْبَرْزَخِ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلُ الثَّوَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، فَهَذَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، فَهَذَا فِي الْبَرْزَخِ وَالْآخِرَةِ^(٢).

ثُمَّ ذَكَرَ ﷻ ثَلَاثَةَ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا أَنَّهُ تَعَالَى يَجْزِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ جَزَاءَيْنِ: جَزَاءً فِي الدُّنْيَا، وَجَزَاءً فِي الْآخِرَةِ، فَالْإِحْسَانُ لَهُ جَزَاءٌ مُعَجَّلٌ وَلَا بُدَّ، وَالْإِسَاءَةُ لَهَا جَزَاءٌ مُعَجَّلٌ وَلَا بُدَّ.

(١) ينظر: المرجع السابق ص (١٠٧).

(٢) المرجع السابق ص (١٠٧).



ولو لم يكن إلا ما يُجَازَى بِهِ المحسنُ من انشراحِ صدره، وانفساحِ قلبه وسروره، وفرحه بِرَبِّهِ ﷻ أَعْظَمَ ممَّا يفرحُ القريبُ من السلطانِ الكريمِ عليه بسلطانه.

وما يُجَازَى بِهِ المسيءُ من ضيقِ الصدرِ، وقسوةِ القلبِ، وتشتُّته، وظلمته، وعَمَمَهُ وَهَمَّهُ، وحزنه وخوفه؛ فهذه عقوباتٌ عاجلةٌ.

والإقبالُ على الله تعالى، والإنابةُ إليه، وامتلاءُ القلبِ من محبته، واللَّهُجُ بِذِكْرِهِ: ثوابٌ عاجلٌ، وَجَنَّةٌ حاضرةٌ^(١).

ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ أَحْبَابِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ -، يَقُولُ:
«قَالَ لِي مَرَّةً: مَا يَصْنَعُ أَعْدَائِي بِي، أَنَا جَنَّتِي وَبَسْتَانِي فِي صَدْرِي، أَيْنَ رُحْتُ فَهِيَ مَعِيَ لَا تَفَارُقُنِي، أَنَا حَبْسِي خُلُوءٌ، وَقَتْلِي شَهَادَةٌ، وَإِخْرَاجِي مِنْ بَلَدِي سِيَاحَةٌ».

وكَانَ يَقُولُ فِي مَحَبَّتِهِ بِالْقَلْعَةِ: لَوْ بَذَلْتُ لَهُمْ مَلءَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ ذَهَبًا مَا عَدَلَ عِنْدِي شُكْرُ هَذِهِ النِّعْمَةِ، أَوْ قَالَ: مَا جَزَيْتُهُمْ عَلَى مَا تَسَبَّبُوا لِي فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ. وَنَحْوَ هَذَا.

وكَانَ يَقُولُ فِي سَجُودِهِ وَهُوَ مَحْبُوسٌ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ، مَا شَاءَ اللَّهُ.

وَقَالَ لِي مَرَّةً: الْمَحْبُوسُ مِنْ حُبْسِ قَلْبِهِ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى، وَالْمَأْسُورُ مِنْ أَسْرِهِ هَوَاهُ.

وَلَمَّا أُدْخِلَ إِلَى الْقَلْعَةِ وَصَارَ دَاخِلَ سُورِهَا نَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لِمَا بَاطَنُ فِيهِ الرِّحْمَةِ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

وَعَلِمَ اللَّهُ! مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَطِيبَ عَيْشًا مِنْهُ قَطُّ؛ مَعَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ ضَيْقِ الْعَيْشِ، وَمَعَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْحَبْسِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْإِرْجَافِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ

(١) ينظر: المرجع السابق ص (١٠٧ - ١٠٨).

أَطِيبِ النَّاسِ عَيْشًا، وَأَشْرِجْهُمْ صَدْرًا، وَأَقْوَاهُمْ قَلْبًا، وَأَسْرِّهِمْ نَفْسًا، تَلَوْحُ نَضْرَةُ النِّعَمِ عَلَى وَجْهِهِ.

وَكُنَّا إِذَا اشْتَدَّ بِنَا الْخَوْفُ، وَسَاءَتْ مِنَّا الظُّنُونُ، وَضَاقَتْ بِنَا الْأَرْضُ: أَتَيْنَاهُ؛ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَرَاهُ وَنَسْمَعَ كَلَامَهُ فَيَذْهَبَ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَيَنْقَلِبَ انْشِرَاحًا وَقُوَّةً وَبَقِيَّةً وَطَمَآنِينَةً^(١).

ثُمَّ قَالَ: «وَكَانَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ يَقُولُ: لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ.

وَقَالَ آخَرُ: مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا، خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا، قِيلَ: وَمَا أَطْيَبُ مَا فِيهَا؟ قَالَ: مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَتُهُ وَذِكْرُهُ. أَوْ نَحْوَ هَذَا.

وَقَالَ آخَرُ: إِنَّهُ لَتَمَرُّ بِي أَوْقَاتٌ أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ^(٢).

فَمَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَدَوَامُ ذِكْرِهِ وَالتَّمَانِينَةُ إِلَيْهِ وَإِفْرَادُهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ: هُوَ جَنَّةُ الدُّنْيَا، وَالنِّعِيمُ الَّذِي لَا يُشَبِّهُهُ نِيعٌ^(٣).



متى يكون الدعاء أفضل من الذكر؟

فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنِ الذِّكْرِ وَفَضْلِهِ بَيَّنَّ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ «الْوَابِلِ الصَّيْبِ»^(٤) أَنَّ الذِّكْرَ أَفْضَلُ مِنَ الدَّعَاءِ، وَأَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ مِنَ الذِّكْرِ، فَصَارَتْ مُرَبَّيَّةً:

(١) المرجع السابق، ص (١٠٩ - ١١٠) باختصار.

(٢) المرجع السابق، ص (١١٠ - ١١١) باختصار.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص (١١١).

(٤) وهو من سلسلة مجموعة آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال، وهو أحد =

١ - الدعاء، وهو العبادة، والله - سبحانه - يحبُّ من يدعوهُ ويحبُّ من يُلجِح، ويحبُّ من يُعْظِم الرغبة.

٢ - وأفضلُ من الدعاء: الذِّكْر.

٣ - وأفضلُ من الذِّكْرِ: القرآن.

قال ابن القيم رحمته الله: «هذا من حيث النظر إلى كلِّ منهما مُجَرَّدًا، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل.

مثاله: أن يتفكر في ذنوبه فيُحْدِثَ ذَلِكَ لَهُ توبَةً واستغفارًا، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تُحَصِّنُهُ وتَحَوِّطُهُ.

وكذلك أيضًا: قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكرٍ لم يحضر قلبه فيهما، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء لها اجتمع قلبه كله على الله تعالى، وأحدث له تضرعًا وخشوعًا وابتهالاً، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء - والحالة هذه - أنفع^(١).

ثم قال: «وهذا بابٌ نافعٌ يحتاج إلى فقهٍ نفسٍ وفرقانٍ بين فضيلة الشيء في نفسه، وبين فضيلته العارضة، فيعطى كلُّ ذي حقٍّ حَقَّهُ، ويوضع كلُّ شيءٍ موضعه»^(٢).



= مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، وهذا الجزء - أي: الوابل الصيب - حققه عبد الرحمن بن حسن بن قائد، أحسب أنه اعتنى بالتحقيق، وذكر حواشي جيدة مفيدة. «المؤلف».

(١) الوابل الصيب ص (٢٣١ - ٢٣٢) باختصار.

(٢) المرجع السابق ص (٢٣٢).

قال المحقق: «بسط شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله هذا المعنى في كثير من رسائله وأجوبته، وبَّه على طائفة من أسرارِهِ ودقائقِهِ، وأتى في ذلك بكلِّ بديعٍ».

دَعَاءُ كَانَ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعَظِّمُ مِنْ شَأْنِهِ

هذا دعاءٌ عظيمٌ، وكُلُّ الأدعيةِ المأثورةِ - من الكتابِ والسنةِ - عظيمةٌ، تتضمنُ أبوابًا من أبوابِ الخيرِ، فهذا الدعاءُ تضمنَ ستَّ عشرةِ جملةً من المطالبِ العظيمةِ، وكانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعَظِّمُ مِنْ شَأْنِ هَذَا الدَّعَاءِ.

والحديثُ - كما ذَكَرَ الشَّيْخُ سَعِيدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ وَهْبٍ الْقَحْطَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: رواهُ البخاريُّ في «الأدبِ المفردِ»، وأبو داودَ والترمذيُّ وابنُ ماجهَ وأحمدُ والحاكمُ، وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في صحيحِ أبي داودَ وصحيحِ الترمذي^(١).

الدَّعَاءُ: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهَدْيَ إِلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شُكَّارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوَْاهَا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي».



= ثُمَّ ذَكَرَ الْمُحَقِّقُ مَوَاضِعَ تَكَلَّمَ فِيهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى؛ مِنْهَا: «قَاعِدَةٌ فِي التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ» (١/ ١٨٣ - ١٨٤) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى»، و«جَامِعُ الْمَسَائِلِ» (المَجْمُوعَةُ الثَّلَاثَةُ: ٣٨٥ - ٣٨٦)، و«جَوَابُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ: إِنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» (١٧/ ١٣٢) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى»، و«قَاعِدَةٌ فِي تَوْحِيدِ الْمَلَةِ وَتَعَدُّدِ الشَّرَائِعِ» فِي «الْفَتَاوَى» (١٩/ ١٢٠)، و«الْكَلَامُ عَلَى دَعْوَةِ ذِي النُّونِ» فِي «الْفَتَاوَى» (١٠/ ٢٦٣)، وَذَكَرَ مَوَاضِعَ أُخْرَى، ثُمَّ ذَكَرَ أَيْضًا مَوْضِعًا فِي «الْفَتَاوَى» (٢٣/ ٦٢، ٦٣)، وَقَالَ: مَهْمٌ. «الْمُؤَلَّف».

(١) ينظر: الدعاء من الكتاب والسنة ص (٣٤).



صَيَّغَ الْحَمْدَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الطَّعَامِ

وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةُ أَحَادِيثَ فِي الْحَمْدِ بَعْدَ الطَّعَامِ؛ مِنْهَا:

ما رواه البخاري^(١) عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُودَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ رَبَّنَا».

انظر هذه الجمل في الشَّاءِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا» واحدة، «طَيِّبًا» الثانية، «مَبَارَكًا فِيهِ» الثالثة، «غَيْرَ مَكْفِيٍّ» الرابعة، «وَلَا مُودَّعٍ» الخامسة، «وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ رَبَّنَا»؛ سِتُّ كَلِمَاتٍ فِي شَأْنِ هَذَا الْحَمْدِ.

«غَيْرَ مَكْفِيٍّ»: فَاللَّهُ ﷻ يَكْفِي وَلَا يُكْتَفَى مِنْهُ.

«وَلَا مُودَّعٍ»: كَذَلِكَ؛ فَاللَّهُ ﷻ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ. بخلاف معروف البَشَرِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَحْتَاجُ الْبَشَرَ لِلْبَشَرِ فِتْرَةً ثُمَّ يَحْصِلُ اكْتِفَاؤُهُ وَاسْتِغْنَاؤُهُ، فَيَشْكُرُ مُسَدِّي النِّعْمَةِ، وَيَقُولُ: قَدْ اكْتَفَيْتُ. لَكِنَّ الرَّبَّ نَحْمَدُهُ لَا عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُ وَالتَّوَدُّعِ مِنْهُ؛ بَلْ نَحْمَدُهُ لِأَنَّهُ أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، وَطَالِبِينَ الْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، فَاللَّهُ ﷻ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ^(٢).

وَمَنْ صَيَّغَ الْحَمْدَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الطَّعَامِ: مَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣)، قَالَ: «فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ - بِالْإِسْنَادِ الصَّحِيحِ - عَنْ أَبِي أَيُّوبَ

(١) أخرجه البخاري (٥٤٥٨).

(٢) قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - يَقُولُ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: الْمَخْلُوقُ إِذَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِنِعْمَةٍ أَمَكَّنَكَ أَنْ تَكْفِيَهُ، وَنِعْمَهُ لَا تَدَوُّمٌ عَلَيْكَ؛ بَلْ لَا بُدَّ وَيَقْطَعُهَا عَنْكَ، وَيَمَكِّنُكَ أَنْ تَسْتَغْنِيَ عَنْهُ، وَاللَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكْفِيَهُ عَلَى نِعْمِهِ، وَإِذَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ أَدَامَ نِعْمَهُ، فَإِنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى، وَلَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ. هَذَا كَلَامُهُ»، فُتِيَ فِي صِيغَةِ الْحَمْدِ ص (١٠) ضَمَّنَ مَجْمُوعَ الرِّسَائِلِ لَابْنِ الْقِيمِ.

(٣) الأذكار للنووي، ص (٣٨٨).

الأنصاري رحمته الله قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ، وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا».

تَعْدَادُ نِعَمِ اللَّهِ هُنَا يُهَيِّجُ عَلَى الْحَمْدِ وَالثَنَاءِ: «أَطْعَمَ، وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ»، والرابعة: «وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا»

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ: «وَسَوَّغَهُ»: لَوْ لَمْ يُسَوِّغِ اللَّهُ هَذَا الطَّعَامَ؛ إِمَّا لِمَرْضٍ، أَوْ هَمٌّ وَحَزَنٍ، فَمَهْمَا كَانَ مِنْ حُسْنِهِ وَإِجَادَةِ صُنْعِهِ وَلَذَّةِ طَعْمِهِ، فَإِنَّهُ يَأْكُلُ وَكَأَنَّهُ يَتَجَرَّعُ الْمُرَّ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

وَمِنَ الصَّيَغِ: مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ^(١)، وَقَالَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ^(٢): عَنْ رَجُلٍ خَدَمَ النَّبِيَّ ﷺ ثَمَانِي سِنِينَ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ - إِذَا قُرِبَ إِلَيْهِ طَعَامُهُ - يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ»، فَإِذَا فَرَّغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ، وَسَقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ، وَأَقْنَيْتَ، وَهَدَيْتَ، وَأَحْيَيْتَ؛ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ».

سؤال: كم كلمة في هذا الحديث؟

الجواب: ست.

قوله ﷺ: «أَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ»: أَي: أَعْطَيْتَ مَا يُقْنِي وَمَا يُتَمَلَّكُ، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [النجم: ٤٨].

ومنها: مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ^(٣) عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(١) أخرجه أحمد (١٦٥٩٥)، والنسائي في الكبرى (٦٨٧١).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٥٨١/٩)، وفيه: «وسنده صحيح».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، والتِّرْمِذِيُّ (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥).



انظرُ هذا الوعدَ والعطاءَ الجزيلَ؛ مغفرةَ الذَّنْبِ، بل الأمرُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ: روى مسلم^(١) عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكَلَ الْأَكْلَةَ فِيحَمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فِيحَمَدُهُ عَلَيْهَا».

سؤال: ما جزاءُ الشكرِ هُنا وثوابه من الربِّ الكريمِ؟
الجواب: رضوانه.

يستمعُ الإنسانُ بهذا الطعامِ أو الشرابِ، ثُمَّ يَنَالُ هذا العطاءَ الجزيلَ!.
وتأملُ قولَ النَّبِيِّ ﷺ: «الأَكْلَةُ»، «الشَّرْبَةُ»، فكأنَّ هذا يحصلُ حتى على الأكلِ اليسيرِ أو الخفيفِ أو نحو ذلك؛ فالحمدُ لله.



حديث: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ»

روى الترمذي رحمه الله في جامعِهِ بسنده عن ابنِ عمرٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مِصْرِبَاتِ الدُّنْيَا، وَتَمْتَعُنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقَوَاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا»، قَالَ الترمذي رحمه الله: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ^(٢).

قالَ المباركَفوري رحمه الله^(٣): قوله ﷺ: «وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢).

(٣) ينظر: تحفة الأحوذى (٣٣٣/٩ - ٣٣٤)، باختصار.

مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا^(١)؛ فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّ مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا مُتَوَبَّاتٌ الْآخِرَةُ:
لَا يَغْتَمُّ بِمَا أَصَابَهُ، وَلَا يَحْزَنُ بِمَا نَابَهُ.

والمُرَادُ بالقُوَّةِ: قُوَّةُ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ وَالْحَوَاسِّ، أَوْ جَمِيعِهَا، فَيَكُونُ
تَعْمِيمًا بَعْدَ تَخْصِصٍ.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَجْعَلُهُ»: أَيِ الْمَذْكُورِ مِنَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْقُوَّةِ.
«الْوَارِثُ مِنَّا»: أَيِ اجْعَلْ تَمَتُّعًا بِهَا بَاقِيًا. انْتَهَى كَلَامُهُ ﷺ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَقُوَّتَنَا»: بَعْضُ النَّاسِ يَقْرَأُهَا: وَقُوَّتَانَا.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَجْعَلُهُ الْوَارِثُ مِنَّا»: كَذَلِكَ كَثِيرٌ مَّنْ يَقْرَأُهَا: وَاجْعَلْهَا
الْوَارِثُ مِنَّا.

فَمَنْ فَقَدَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقُوَى - نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ - فِي حَيَاتِهِ فَكَأَنَّهُ
وَرِثَهَا، وَأَمَّا إِذَا مُتَّعَ بِهَا إِلَى أَنْ فَارَقَتْ رُوحَهُ جَسَدَهُ فَكَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي وَرِثَتْهُ.
وَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَا الْحَدِيثُ جُمْلًا عَظِيمَةً مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ؛ خَيْرِ الدُّنْيَا وَخَيْرِ
الْآخِرَةِ.



أَنْفَعُ الدُّعَاءِ وَأَعْظَمُهُ وَأَحْكَمُهُ

رَوَى مُسْلِمٌ^(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَضْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي
عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنَى عَلَيَّ

(١) وَفِي الرِّوَايَةِ الْآخَرَى: «مَصَائِبُ الدُّنْيَا». «الْمُؤَلَّفُ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْكَبِيرِ
(١٠١٦١).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣٩٥).



عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، قَالَ: مَجْدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي -، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ [الفاتحة: ٦ - ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.

قَالَ الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ^(١): قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، «هَذَا هُوَ الدُّعَاءُ الصَّرِيحُ الَّذِي هُوَ حَظُّ الْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ^(٢)، وَهُوَ التَّضَرُّعُ إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ - وَالْإِلْحَاحُ عَلَيْهِ أَنْ يَرْزُقَهُ هَذَا الْمَطْلَبَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَلْيَتَأَمَّلِ الْعَبْدُ ضَرُورَتَهُ لَهُ^(٣)»، انْتَهَى كَلَامُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَيَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي بَيَانٍ وَتَفْسِيرٍ وَجَّهَ هَذِهِ الضَّرُورَةَ -: «أَنْفَعُ الدُّعَاءِ وَأَعْظَمُهُ وَأَحْكَمُهُ: دُعَاءُ الْفَاتِحَةِ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ [الفاتحة: ٦ - ٧]؛ فَإِنَّهُ إِذَا هَدَاهُ هَذَا الصِّرَاطَ أَعَانَهُ عَلَى طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ؛ فَلَمْ يُصِبْهُ شَرٌّ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ»^(٤).



ما الذي استغربه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟

مِمَّا وَرَدَ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ وَالتَّرغِيبِ فِيهِ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ

(١) تفسير آيات من القرآن الكريم، مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٦/٥).

(٢) إشارة إلى الحديث السابق. «المؤلف».

(٣) يعني: الهداية إلى الصراط المستقيم. «المؤلف».

(٤) مجموع الفتاوى (٣٢٠/١٤).

أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿[غافر: ٦٠]، وقولُ الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وغيرها من الآيات.

وروى البخاري ومسلم^(١) عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي».

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي»، رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسن^(٢).

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِئِنِينَ»، رواه أبو داود والترمذي - وحسنه - وابن ماجه وغيرهم^(٣).

قال الدمياطي: «الصَّفْرُ: الْفَارُغُ»^(٤).

وروى الإمام أحمد والبرزأ وأبو يعلى - قال الدمياطي: بأسانيد صحيح^(٥) - عن أبي سعيد رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخِرَهَا فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا» قَالُوا: إِذَا نُكِّرُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»^(٦).

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (١٩/٢٦٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠).

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥).

(٤) المتجر الرابع، ص (٦٦٥) باختصار، تحت عنوان: ثواب الدعاء.

(٥) المرجع السابق، ص (٦٦٧).

(٦) أخرجه أحمد (١١١٣٣)، وأبو يعلى (١٠١٩).



قَالَ الْجَرَّاحِيُّ^(١): «اللَّهُ أَكْثَرُ»؛ يعني الله أَكْثَرُ إجابةً^(٢).

والله ﷻ يُحِبُّ مَنْ يَدْعُو، وَيُحِبُّ مَنْ يُلِحُّ فِي الدُّعَاءِ، وَيُحِبُّ مَنْ يُعْظِمُ الرِّغْبَةَ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلْيُعْظِمِ رَغْبَتَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْظَاهُ»^(٣).



دَعَاؤُ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ^(٤) عَنْ طَارِقِ بْنِ أَشِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي»، وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ أَشِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ».



«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَيْشَةً نَقِيَّةً»

أَحَدُ الْأَخْوَةِ - زَادَهُ اللَّهُ تَوْفِيقًا - قَالَ لِي مَرَّةً: دَعْوَةٌ كُنْتُ أَدْعُو بِهَا ثُمَّ انْقَطَعْتُ عَنْهَا، فَتَذَكَّرْتُهَا بِمُنَاسِبَةٍ مَا اسْتَجَدَّ، يَقُولُ: فَرَأَيْتُ فِيهَا مُنَاسِبَةً تَامَةً لِمَا نَحْنُ فِيهِ.

(١) الْجَرَّاحِيُّ - بفتح الجيم وتشديد الراء وبالحاء المهملة - هو: أبو محمد، عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن أبي الجراح، وهو أحد رواة كتاب الترمذي. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٥٧/١٧).

(٢) ينظر: جامع الأصول لابن الأثير (٥١٢/٩)، وينظر للفائدة: مرقاة المفاتيح (٥٣٨/٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٧).

هذا الدعاء الذي يشير إليه: هو دعاء أُثِرَ عن النبي ﷺ: «اللهم إني أسألك عيشة نقية، وميتة سوية، ومردًا غير مخزٍ ولا فاضح»^(١).

قال: فالذي ظهر لي: أن وصف العيشة بكونها «نقية» لا يقتصر النقاء على نقاء المكسب من الحرام والمشتبه من المكاسب - على شأن هذا وأهميته -؛ بل هو أعم: نقية من كل ما فيه نقص على العبد في دينه ودنياه؛ من رِيع القلب، ومن الشبهات، ومن التقصير في أمرٍ أوجبه الله.. ونقية من الوقوع في أمرٍ نهى الله عنه.. نقية من التقصير في محبة الله ومحبة من يحبه الله ومحبة العمل الذي يحبه الله.. نقية من التباس الأمور عليه وعدم معرفة وجه الحق فيما يستجد، ونحو ذلك.

ثم مع كل هذا: أن يثبت على ذلك إلى أن يأتيه اليقين، فتكون «ميتته سوية»؛ أحياء الله عيشة نقية إلى أن ختم له فكانت ميتته سوية، نسأل الله حسن الخاتمة.

ثم قد يموت ميتة سوية فيما يظهر للناس، وفي قلبه - نسأل الله العافية - دسيسة أو نحو ذلك تفضحه يوم تُبلى السرائر، فقال: «ومردًا غير مخزٍ ولا فاضح».

على أي حال؛ لا عجب أن تتضمن الأدعية المأثورة - مهما كانت وجازتها - معاني جلية؛ بل ربما ما شرحه العباد وفصلوه وأدركوه طرف مما تضمنته.. لا عجب؛ فقد خرج من مشكاة النبوة.

والدعوات المأثورة لا حصر لبركاتها؛ سواء من الكتاب أو السنة^(٢).



(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١٩٨٦)، وهو عند أحمد في المسند (١٩٤٠٢)، والطبراني في الدعاء (١٤٣٥) بلفظ: «عيشة نقية».

(٢) ينظر: «العيشة النقية في أيام الفتن»، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية.



القسم السابع

الزهد والورع

قلب الكبير شاب في اثنتين

روى البخاري رحمه الله^(١) عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل».

وروى البخاري أيضاً^(٢) عن النبي ﷺ أنه قال: «يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان: حب المال، وطول العمر».



هل تدبرت هذا الحديث؟

روى مسلم^(٣) عن النبي ﷺ أنه قال: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعة هذه في اليم فلينظر يَم يرجع».



أحاديث في كراهة كثرة الضحك

روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه^(٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت النبي ﷺ مستجمعا قط ضاحكاً حتى أرى منه لهوآته، إنما كان يتبسّم».

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٠)، ومسلم (١٠٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٢١)، ومسلم (١٠٤٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٥٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٩٢)، ومسلم (٨٩٩).

معنى قولها ﷺ: «ما رأيته مستجمعًا قَطُّ ضاحكًا» والله أعلم: أي مقبلًا بكلّيته على الضحك.

«لَهَوَاتِهِ»: قالوا: اللهوات هي: لسان المزمار، اللحمَةُ التي في أقصى سقفِ الفم^(١).

وعنها ﷺ في قصة الكسوف: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يا أمةَ محمدٍ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا»، متفقٌ عليه^(٢).

وفي «سنن ابن ماجه»^(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُكثِرُوا الضحك؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضحكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ».

وروى ابنُ ماجه أيضًا^(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يا أبا هريرة، كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قِنَعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحَبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسَنَ جَوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقْلَّ الضحك؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضحكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ».

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الذي يظهرُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَحَادِيثِ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ فِي مَعْظَمِ أَحْوَالِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى التَّبَسُّمِ، وَرَبِمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَضْحُكٌ، وَالْمَكْرُوهُ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الْإِكْثَارُ مِنْهُ، أَوْ الْإِفْرَاطُ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ يُذْهِبُ الْوَقَارَ».

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَدَى بِهِ مِنْ فِعْلِهِ ﷺ مَا وَاضَبَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ» وَابْنُ مَاجَهٍ مِنْ وَجْهَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ: «لا تُكثِرِ الضحك؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضحكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»^(٥).



(١) قاله النووي في رياض الصالحين، ص(٢٥٢)، وينظر أيضًا: لسان العرب (١٥/٢٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٤١٩٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٧).

(٥) فتح الباري (١٠/٥٠٥ - ٥٠٦).

الطاعمُ الشاكرُ مثلُ الصائمِ الصابرِ

قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه^(١): «بابُ الطاعمِ الشاكرِ مثلُ الصائمِ الصابرِ، فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم».

قال ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري»^(٢): «هذا من الأحاديثِ المُعلَّقة، وقد أخرجهُ المصنّفُ في «التاريخ»، والحاكمُ في «المستدرک»، ولفظه: «إنَّ لِلطَّاعِمِ الشَّاكِرِ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا لِلصَّائِمِ الصَّابِرِ».

قال الكرماني: التشبيهُ هنا في أصلِ الثواب؛ لا في الكمية ولا الكيفية، والتشبيه لا يستلزم المماثلة من جميع الأوجه.

قال ابن حجر: «وفي الحديثِ الحَثُّ على شكرِ الله على جميعِ نِعَمِهِ؛ إذ لا يختصُّ ذلكُ بالأكل».

وفيه رفعُ الاختلافِ المشهورِ في الغنيِّ الشاكرِ والفقيرِ الصابرِ، وأنهما سواءٌ؛ كذا قيل. ومساوُ الحديثِ يقتضي تفضيلَ الفقيرِ الصابرِ؛ لأنَّ الأصلَ أنَّ المشبّه به أعلى درجةً من المشبّه^(٣).

ثمَّ قال ابنُ حجرٍ رحمه الله: «والتحقيقُ عندَ أهلِ الحدقِ: أنْ لا يُجَابَ في ذلكَ بجوابٍ كُلِّيٍّ - أي في المفاضلةِ بينَ الغنيِّ الشاكرِ أو الفقيرِ الصابرِ -؛ بلْ يختلفُ الحالُ باختلافِ الأشخاصِ والأحوالِ، نَعَمْ، عندَ الاستواءِ من كُلِّ جهةٍ، وفَرَضَ رَفَعِ العوارضِ بِأَسْرِها: فالفقيرُ أَسْلَمُ عاقبةً في الدارِ الآخرة، ولا ينبغي أنْ يُعَدَلَ بالسلامةِ شيءٌ، والله أعلمُ»^(٤).

(١) صحيح البخاري (٨٢/٧)، والحديث المشار إليه أخرجه الترمذي (٢٤٨٦)، وابن ماجه

(١٧٦٤) بلفظ: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ».

(٢) (٥٨٢/٩ - ٥٨٣) باختصار.

(٣) المرجع السابق (٥٨٣/٩).

(٤) المرجع السابق.

وقال القرطبي رحمه الله - كما نقل ابن حجر أيضًا - : قد جمع الله لنبينا محمد ﷺ الحالات الثلاث : الفقر، والغنى، والكفاف.

فكان الأول - يعني الفقر - أول حالاته، فقام بواجب ذلك؛ من مجاهدة النفس، ثم فتحت عليه الفتوح، فصار بذلك في حد الأغنياء، فقام بواجب ذلك؛ من بذله لمستحقه والمواساة به والإيثار، مع اقتصاره منه ﷺ على ما يسد ضرورة عياله، وهي صورة الكفاف التي مات عليها، وهي حالة سليمة من الغنى المظغي والفقر المؤلم، وفي مسلم مرفوعاً : «قد أفلح من هدي إلى الإسلام ورزق كفافاً، وقنع»^(١)، والكفاف : هو الكفاية بلا زيادة، فمن حصل له ما يكفيه واقتنع به : أمن من آفات الغنى والفقر، نعم؛ التظر في أيّ الحالتين أفضل عند الله للعبد حتى يتكسب ذلك ويتخلق به؟ وهل التقل من المال أفضل؛ ليتفرغ قلبه من الشواغل وينال لذة المناجاة، ولا ينهمك في الاكتساب؛ ليسترخ من طول الحساب؟ أو التشاغل باكتساب المال أفضل؛ ليكثر به من التقرب بالبر والصدقة؛ لما فيه من النفع المتعدي؟

قال : وإذا كان الأمر كذلك؛ فالأفضل : ما اختاره ﷺ وجمهور أصحابه؛ من التقل من الدنيا، ولكل من القولين أدلته. انتهى^(٢).



صور سامية من الإيثار

قد أورد الحافظ النووي رحمه الله في «رياض الصالحين»^(٣) «باب الإيثار والمواساة»، وذكر الحديث التالي في قصة الأنصاريين رضي الله عنهم اللذين آثرا ضيف رسول الله ﷺ على نفسيهما :

(١) هذا اللفظ في سنن ابن ماجه (٤١٣٨)، ولفظ مسلم (١٠٥٤) : «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وفتته الله بما آناه».

(٢) ينظر : فتح الباري (١١/ ٢٧٤ - ٢٧٦).

(٣) ص (٢١٥).



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ.

نَسَأُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، نَسَأُ اللَّهَ أَنْ يُحَاسِبَنَا حِسَابًا يَسِيرًا، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِهِ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِهِ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِهِ، وَجَمِيعِ سَخِطِهِ، وَنَسَأُ أَنْ يَعْزِيبَنَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاذْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وفي رواية: قَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتَ صَبْيَانِي، قَالَ: عَلَّيْهِمْ بِشَيْءٍ، وَإِذَا أَرَادُوا الْعِشَاءَ، فَتَوَمَّيْهِمْ، وَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا، فَأَطْفِئِي السَّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ.

ولعل القصة قبل فرضِ الحجاب؛ فَإِنَّ الْحِجَابَ فُرِضَ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ^(١).

فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، وَبَاتَا طَاوِئِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، غَدَا - أَيِ الصَّحَابِيِّ الْمُضَيِّفِ ﷺ - عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ».

(١) ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٤/١٢٢) لابن الملquin، وقال الشيخ محمد ابن عثيمين في فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: «... كلُّ حديث يدل على أن المرأة تكشف وجهها عند الرجال الأجانب فإنه يحتمل أن يكون قبل الحجاب، وإذا كان كذلك فلا دليل فيه، والقاعدة المعروفة عند العلماء في الاستدلال: أن ما كان محتملاً لا يصح أن يكون دليلاً؛ لأن المحتمل له معنيان، فحمله على أحد المعنيين دون دليل يحتاج إلى دليل، ولهذا قالوا: إذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال».

وفي رواية: فنزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، والحديث في البخاري ومسلم^(١).

قال النووي رحمته الله في «شرح مسلم»^(٢):

«قوله: «فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتَ صِبْيَانِي، قَالَ: عَلَّيْهِمْ بِشَيْءٍ، إِلَى آخِرِهِ» هذا محمولٌ على أَنَّ الصبيانَ لم يكونوا محتاجينَ إلى الأكلِ، وإنما تطلبُهُ أَنفُسُهُمْ على عادةِ الصبيانِ مَنْ غَيْرِ جوعِ يَضُرُّهُمْ، فَإِنَّهُمْ لو كانوا على حاجةٍ؛ بحيثُ يَضُرُّهُمْ تَرْكُ الأكلِ: لكانَ إطعامُهُمْ واجبًا، ويجبُ تقديمُهُ على الضيافة، وقد أثنى اللهُ ورسولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا الرجلِ وامرأته، فدلَّ على أَنَّهُما لم يَتْرُكَا واجبًا؛ بَلْ أَحْسَنَا وَأَجْمَلَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انتهى كلامُ النووي.

وقد يُضافُ إلى هذا ويؤيدُ ما ذكرهُ النووي رحمته الله: قوله: «وَبَاتَا طَاوِيئِينَ»، ولو كانَ الصبيانُ مثلَهُم لقالَ: وباتوا، واللهُ تعالى أعلم.



صَوْرٌ مِنْ زَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

روى البخاري رحمته الله في صحيحِهِ في كتابِ الرقاق^(٣) عن أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما شَبَعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لِيَالٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ».

قالَ ابنُ حجرٍ رحمته الله في «فتحِ الباري»^(٤): «قالَ الطبريُّ: استشكلَ بعضُ الناسِ كَوْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يَطْوُونَ الأيامَ جوعًا، معَ ما ثَبَتَ

(١) أخرجه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/١٢) باختصار.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٥٤)، ومسلم (٢٩٧٠).

(٤) (٢٩١/١١).



أَنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ لِأَهْلِهِ قُوَّةَ سَنَةٍ^(١)، وَأَنَّهُ قَسَمَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ أَلْفَ بَعِيرٍ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ سَاقٍ فِي عَمَرَتِهِ مِثْلَ بَدَنَةِ فَحَرَهَا وَأَطْعَمَهَا الْمَسَاكِينَ، وَأَنَّهُ أَمَرَ لِأَعْرَابِيِّ بِقَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَغَيْرِهِمْ رضي الله عنهم، مَعَ بَذْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَدْ أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِجَمِيعِ مَالِهِ، وَعُمَرُ رضي الله عنه بِنِصْفِهِ، وَحَثَّ عَلَى تَجْهِيزِ جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَجَهَّزَهُمَ عُثْمَانُ رضي الله عنه بِأَلْفِ بَعِيرٍ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ^(٢).

والجواب: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُمْ فِي حَالَةٍ دُونَ حَالَةٍ، لَا لِعَوَزٍ وَضِيقٍ؛ بَلْ تَارَةً لِلإِثَارِ، وَتَارَةً لِكِرَاهَةِ الشَّعْبِ، وَلِكَثْرَةِ الْأَكْلِ، انْتَهَى كَلَامُ الطَّبْرِيِّ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَا كُنَّا نَشْبُعُ مِنَ التَّمْرِ فَقَدْ كَذَبَكُمْ، فَلَمَّا فُتِحَتْ قُرَيْظَةُ أَصَبْنَا شَيْئًا مِنَ التَّمْرِ وَالْوَدَكِ».

وَتَقَدَّمَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ قُلْنَا الْآنَ نَشْبُعُ مِنَ التَّمْرِ».

وَتَقَدَّمَ عَنْهَا: «تُوفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ شَبَعْنَا مِنَ التَّمْرِ».

(١) أَيُّ: يَدْخِرُ لَهُمْ قُوَّةَ سَنَةٍ. «المؤلف».

(٢) أَلْفَ بَعِيرٍ ثَرَوَةٌ خَيَالِيَّةٌ، مَبْلُغٌ لَيْسَ يَسِيرًا أَبَدًا، الدِّيَةُ مِثْلُ بَعِيرٍ، وَهَذِهِ أَلْفُ بَعِيرٍ! وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمَنْبَرِ يَخْطُبُ وَيَحُثُّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ لِلتَّجْهِيزِ لَغَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهِيَ مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ، وَيَقَابِلُونَ جَيْشًا لَيْسَ كَغَيْرِهِ؛ جَيْشَ الرُّومِ، تَصَدَّقَ عُثْمَانُ رضي الله عنه بِأَلْفِ بَعِيرٍ، فَتَزَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمَنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا ضَرَّ عُثْمَانُ بَعْدَ هَذَا، مَا ضَرَّ عُثْمَانُ بَعْدَ هَذَا»، رضي الله عنه هَذِهِ مَتَقَبَّةٌ مِنَ الْمَنَاقِبِ الَّتِي تَمَيَّزَ بِهَا ذُو النُّورَيْنِ رضي الله عنه، يَعْنِي مَهْمَا عَمَلَ مِنَ الذُّنُوبِ لَنْ تَضُرَّهُ! لِمَاذَا؟ لِأَنَّ هَذِهِ الْحَسَنَةَ الْعَظِيمَةَ الثَّقِيلَةَ فِي الْمِيزَانِ الَّتِي صَدَرَتْ عَنْ صَادِقٍ مُخْلِصٍ مُحْسِنٍ مُتَّقٍ لِلَّهِ مَا تَقِفُ أَمَامَهَا أَيُّ سَيِّئَةٍ مَهْمَا كَانَتْ إِلَّا اسْتَهْلَكَتْهَا، وَكَانَتْ سَبَبًا فِي غُفْرَانِهَا؛ نَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. «المؤلف».

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «لما فُتِحَتْ خَيْرُ شَبْعَانَ مِنَ التَّمْرِ».

والْحَقُّ: أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ كَانُوا فِي حَالِ ضَيْقٍ قَبْلَ الْهَجْرَةِ حَيْثُ كَانُوا بِمَكَّةَ، ثُمَّ لَمَّا هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَ أَكْثَرُهُمْ كَذَلِكَ، فَوَسَّاهُم الْأَنْصَارُ بِالْمَنَازِلِ وَالْمَنَاجِحِ رضي الله عنهم، فَلَمَّا فُتِحَتْ لَهُمُ النَّضِيرُ وَمَا بَعْدَهَا رَدُّوا عَلَيْهِمْ مَنَاجِحَهُمْ.

وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ: قَوْلُهُ رضي الله عنه: «لَقَدْ أَخْفَتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوْذِيَتْ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ»^(١)، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، مَالِي وَلِبْلَالٌ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ أَحَدٌ؛ إِلَّا شَيْءَ يَوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ»^(٢)، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

نَعَمْ؛ كَانَ رضي الله عنه يَخْتَارُ ذَلِكَ مَعَ إِمْكَانِ حَصُولِ التَّوَسُّعِ وَالتَّبَسُّطِ فِي الدُّنْيَا لَهُ، كَمَا أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، فَقُلْتُ: لَا يَا رَبُّ! وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا، فَإِذَا جِئْتُ: تَضَرَعْتُ إِلَيْكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ: شَكَرْتُكَ»^(٣).



زُهْدُ فَاطِمَةَ رضي الله عنها

مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَشْهُورَةِ: تَعْلِيمُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ رضي الله عنهما التَّسْبِيحَ عِنْدَ النَّوْمِ.

وَقَدْ شَرَحَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رحمته الله هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَضَافَ لَهُ بَعْضَ الرِّوَايَاتِ مِنْ غَيْرِ الصَّحِيحِينَ، كَمَا ذَكَرَ فَوَائِدَ، أَحَبِبْتُ عَرْضَهَا كَمَا سَيَأْتِي.

(١) رضي الله عنه وَلَا مُوسَى صلى الله عليه وسلم الَّذِي لَقِيَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَالِقِيًّا! «المؤلف»

(٢) يَعْنِي أَنَّهُ شَيْءٌ يَسِيرٌ قَلِيلٌ. «المؤلف».

(٣) فَتْحُ الْبَارِي (٢٩٢/١١) بِاخْتِصَارٍ.



ونص الحديث - كما رواه الإمام البخاري بسنده^(١) -: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُهُ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِسَبِيٍّ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَلَمْ تَوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ، يَقُولُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَتَانَا، وَقَدْ دَخَلْنَا مُضَاجَعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا»، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِيهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مُضَاجَعَكُمَا، فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ مِمَّا سَأَلْتُمَا»، انْتَهَى الْحَدِيثُ.

الإمام البخاري رحمه الله بَوَّبَ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: «بَابُ: الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِنَوَائِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمَسَاكِينِ، وَإِثَارُ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلَ الصُّفَّةِ وَالْأَرَامِلَ حِينَ سَأَلَتْهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَشَكَتْ إِلَيْهِ الطَّحْنَ وَالرَّحَى أَنَّ يُخْدِمَهَا مِنَ السَّبْيِ فَوَكَّلَهَا إِلَى اللَّهِ»^(٢).

وفي رواية عند أبي داود: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جَرَّتِ الرَّحَى حَتَّى أَثَرَتْ فِي يَدِهَا، وَاسْتَقَتْ بِالْقَرْبَةِ حَتَّى أَثَرَتْ فِي عُنُقِهَا، وَقَمَّتِ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَتْ ثِيَابُهَا. وفي رواية لابن حبان: يَقُولُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْنَا قَطِيفَةٌ إِذَا لَبَسْنَاهَا^(٣) طَوَّلًا خَرَجَتْ مِنْهَا جَنُوبُنَا، وَإِذَا لَبَسْنَاهَا عَرْضًا خَرَجَتْ مِنْهَا رُؤُوسُنَا وَأَقْدَامُنَا. وفي رواية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا اعْتَذَرَ عَنِ الْإِعْطَاءِ قَالَ: «وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمَا وَأَدْعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوِي بِطُونَهُمْ لَا أَجِدُ مَا أَنْفَقُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ - يَعْنِي السَّبْيَ - وَأَنْفَقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ»؛ أَي: عَلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ وَالْمَحْتَاجِينَ. وفي رواية لأبي داود: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

(١) صحيح البخاري (٣١١٣)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٢) صحيح البخاري (٨٤/٤).

(٣) «لبسناها»؛ أَي: تَغَطَّيْنَا بِهَا. «المؤلف».

«سَبَقُكُنَّ يَتَامَى بَدْرٍ»، وفي تهذيب الآثار للطبري: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ ﷺ: «اصْبِرِي يَا فَاطِمَةُ، إِنَّ خَيْرَ النِّسَاءِ الَّتِي نَفَعَتْ أَهْلَهَا»^(١).

وذكر ابن حجر رحمه الله عن بعض أهل العلم في فوائد هذا الحديث:

١ - أَنَّ مَنْ وَاظَبَ عَلَى هَذَا الذِّكْرِ عِنْدَ النَّوْمِ لَمْ يُصِبهُ إعياءٌ^(٢)؛ لِأَنَّ فَاطِمَةَ ﷺ شَكَتِ التَّعَبَ مِنَ الْعَمَلِ، فَأَجَابَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ^(٣).

٢ - «فِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ شَطَطِ الْعَيْشِ، وَقِلَّةِ الشَّيْءِ، وَشِدَّةِ الْحَالِ، وَأَنَّ اللَّهَ حَمَاهُمُ الدُّنْيَا مَعَ إِمْكَانِ ذَلِكَ؛ صِيَانَةً لَهُمْ مِنْ تَبْعَاتِهَا، وَتِلْكَ سُنَّةُ أَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ»^(٤).

٣ - فِيهِ حَمْلُ الْإِنْسَانِ أَهْلَهُ عَلَى مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ نَفْسَهُ، مِنْ إِثَارِ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا، إِذَا كَانَتْ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ، فَعَلَّمَهُمَا مَا هُوَ الْأَوَّلَى بِحَالِهِمَا مِنَ الذِّكْرِ عَوَضًا عَمَّا طَلَبَاهُ مِنَ الْخَادِمِ، فَهُوَ مِنْ بَابِ تَلْقَى الْمُخَاطَبِ بِغَيْرِ مَا يَطْلُبُ؛ تَنْبِيْهَا لَهُ بِأَنَّ الْأَهَمَّ مِمَّا طَلَبَهُ هُوَ التَّزَوُّدُ لِلْمَعَادِ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَشَاقِّ الدُّنْيَا، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ^(٥).

وهذا الحديث يُشبه حديثًا آخرَ رواه البخاري أيضًا، سأذكر الحديث مع زياداتٍ من غير صحيح البخاري نقلتها من ابن حجر رحمه الله:

عن ابنِ عمرَ ﷺ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهَا، وَفِي رِوَايَةٍ: وَقَلَّمَا كَانَ يَدْخُلُ إِلَّا بَدَأَ بِهَا، وَجَاءَ عَلِيٌّ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَاطِمَةَ اشْتَدَّ عَلَيْهَا أَنَّكَ جِئْتَ فَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا، قَالَ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى بَابِهَا سِتْرًا مُوشِيًّا - أَيِ:

(١) هذه الروايات ذكرها الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/١١٩ - ١٢١).

(٢) يعني: في يومه. «المؤلف».

(٣) ينظر: فتح الباري (١١/١٢٥).

(٤) المرجع السابق (١١/١٢٤).

(٥) ينظر: المرجع السابق.



مُزِينًا بَعْدَ الْوَانِ -، مَا لِي وَلِلدُّنْيَا»، فَأَتَاهَا عَلِيٌّ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لِيَأْمُرَنِي فِيهِ بِمَا شَاءَ. قَالَ: تَرْسُلِي بِهِ إِلَى فُلَانٍ، أَهْلِي بَيْتِ بِهِمْ حَاجَةٌ^(١).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ - نَقْلًا عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ -: «كَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ لِابْنَتِهِ مَا كَرِهَ لِنَفْسِهِ؛ مَنْ تَعَجَّلَ الطَّيِّبَاتِ فِي الدُّنْيَا؛ لَا أَنْ سَتَرَ الْبَابَ حَرَامٌ»^(٢).



«كَانَ يَنْهَانَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْإِرْفَاءِ»

خَرَجَ أَبُو دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي سَنِهِ^(٣) بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرِيدَةَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ رَحَلَ إِلَى فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ وَهُوَ بِمَصْرَ فَقَدِمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ آتِكَ زَائِرًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ أَنَا وَأَنْتَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ مِنْهُ عِلْمٌ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ: وَمَالِي أَرَاكَ شَعِثًا وَأَنْتَ أَمِيرُ الْأَرْضِ؟ قَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْهَانَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْإِرْفَاءِ»، قَالَ: فَمَا لِي لَا أَرَى عَلَيْكَ جِذَاءً؟ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُنَا أَنْ نَحْتَفِيَ أَحْيَانًا».

قَالَ الشَّارِحُ فِي «عَوْنِ الْمَعْبُودِ»^(٤): قَوْلُهُ: «شَعِثًا»؛ أَيُّ: «مُتَفَرِّقَ الشَّعْرِ، غَيْرَ مُتَرَجِّلٍ فِي شَعْرِكَ، وَلَا مَمْتَشِطٍ فِي لِحْيَتِكَ».

قَوْلُهُ: «كَانَ يَنْهَانَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْإِرْفَاءِ»: «كَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِفْرَاطَ فِي التَّنَعُّمِ، مِنَ التَّدْهِينِ وَالتَّرْجِيلِ عَلَى مَا هُوَ عَادَةُ الْأَعَاجِمِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ»^(٥)، انْتَهَى كَلَامُ الشَّارِحِ.

(١) ينظر: فتح الباري (٢٢٨/٥ - ٢٢٩).

(٢) فتح الباري (٢٢٩/٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤١٦٠).

(٤) (١٤٥/١١).

(٥) المرجع السابق (١٤٦/١١).

ونقل عن الحافظ ابن حجر قوله: «القيد بالكثير في الحديث إشارة إلى أن الوسط المعتدل من الإرفاء لا يُذم»^(١).

وقال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله في فتح ذي الجلال والإكرام^(٢): «هل الأفضل التعلُّل أو الاحتفاء؟

ج: أما إذا كان الإنسان سيمشي على أرضٍ تضره فلا شك أن التعلُّل أولى؛ بل قد يكون واجباً. وأما إذا كانت الأرض عادية فالأفضل أن يحتفي أحياناً وأن يتعلَّ أحياناً، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود: كان النبي ﷺ ينهى عن كثرة الإرفاء، ويأمر بالاحتفاء أحياناً».



﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿[التكاثر: ١ - ٨].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة التكاثر - وهذا مختصر من كلامه -: «يقول تعالى: شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتماذى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر، وصيرتم من أهلها»^(٣).

وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٢) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) «قال الحسن البصري: هذا وعيدٌ بعد وعيد»^(٤).

ثم قال تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧)، «هذا

(١) المرجع السابق، وينظر أيضاً: فتح الباري لابن حجر (١٠/٣٦٨).

(٢) (١٩٦/١) باختصار وتصرف يسير.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٨/٤٧٢).

(٤) المرجع السابق (٨/٤٧٤).



تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٢) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ تَوَعَّدَهُمْ بهذا الحال، وهي رؤية النار التي إذا زَفَرَتْ زَفْرَةً خَرَّ كُلُّ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ وَنَبِيٍّ مَرْسَلٍ عَلَى رُكْبَتَيْهِ؛ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالْعِظَةِ وَمُعَايِنَةِ الْأَهْوَالِ؛ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْأَثَرُ الْمَرْوِيُّ فِي ذَلِكَ» (١).

ثم قال ﷺ في تفسير قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمِيذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٥): قال الترمذي - وساق سنده إلى النبي ﷺ - (٢): «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ - يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ - الْعَبْدُ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟».

وقال مجاهدٌ: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمِيذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٥): عن كلِّ لَذَّةٍ مِنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا.

وَبُتِّتْ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَسَنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ أَبِي هَنْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَةُ وَالْفَرَاغُ».

ومعنى هذا: أَنَّهُمْ مُقْصَرُونَ فِي شُكْرِ هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ، لَا يَقُومُونَ بِوَاجِبِهِمَا، وَمَنْ لَا يَقُومُ بِحَقِّ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ فَهُوَ مَغْبُونٌ (٣).



(١) المرجع السابق.

(٢) ينظر: المرجع السابق (٤٧٦/٨)، وهو في سنن الترمذي (٣٠٥/٥)، برقم: (٣٣٥٨)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب»، وقال ابن كثير بعد أن ساقه: «تفرد به الترمذي»، ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق الوليد بن مسلم، عن عبد الله بن العلاء بن زهير، به.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤٧٧/٨ - ٤٧٨).



القسم الثامن فوائد تربوية واجتماعية

حقُّ الرَّجَمِ

كما جاء في الأحاديث الحثُّ على صَلَةِ الرَّجَمِ، كحديث: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبْسُطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ: فَلْيَصِلْ رَجْمَهُ»^(١)، فكذلك جاءت الأحاديث بالتحذير من قطيعة الرَّجَمِ.

فمن ذلك:

ما خَرَّجَهُ البخاريُّ ومسلم^(٢) عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ».

وأخرج ابنُ حبانَ والحاكم^(٣) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَدْمُنٌ خَمِرٍ، وَلَا مَصْدُقٌ بَسْحَرٍ، وَلَا قَاطِعٌ رَحِمٍ».

وروى أبو داود^(٤) عن أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يَعْجَلَ اللَّهُ لَصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدْخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ».

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٣) أخرجه أحمد (١٩٥٦٩)، وابن حبان (٦١٣٧)، والحاكم (٧٢٣٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١).



وروى البخاري في «الأدب المفرد»^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إن أعمال بني آدم تُعرض كلَّ عشية خميس ليلة الجمعة فلا يُقبلُ عملُ قاطعِ رَحِمٍ».

وروى الطبراني من حديث ابن مسعود قال: «إن أبواب السماء مغلقة دون قاطع الرحم»^(٢).

وروى البخاري في «الأدب المفرد»^(٣) من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رَحِمٍ»، نسأل الله العافية والسلامة.



سُنَّةُ نَبَوِيَّةٍ

روى الإمام مسلم في صحيحه^(٤) عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تَلَقَّى بِصَبِيانِ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسَبَقَ بِي إِلَيْهِ فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنِي فَاطِمَةَ رضي الله عنها فَأَرَدَفَهُ خَلْفَهُ فَأَدْخَلَنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ عَلَى الدَّابَةِ.

قال النووي رحمته الله تعليقاً على هذا الحديث: «هذه سنة مستحبة أن يتلقى الصبيان المسافرين، وأن يُركبهم، وأن يردفهم، وأن يلاطفهم»^(٥).



(١) أخرجه أحمد (١٠٢٧٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٦١).

(٢) كذا في فتح الباري (٤١٥/١٠) وغيره، والذي في المعجم الكبير للطبراني (١٥٨/٩) ٨٧٩٣: «أُشْدَّ اللَّهُ قَاطِعَ رَحِمٍ لَمَّا قَامَ عَنَّا، فَإِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَدْعُو رَبَّنَا، وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ مُرْتَجَّةٌ دُونَ قَاطِعِ رَحِمٍ»، ومعنى مُرْتَجَّةٌ: مغلقة، ينظر: تهذيب اللغة (٦/١١).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٢٨).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٧/١٥).

من هَدَى النَّبِيُّ ﷺ مع الأطفال

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلْقِي بِصبيانِ أهلِ بيته، وإنَّه قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فُسِّقَ بِي إِلَيْهِ، فحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنِي فَاطِمَةَ رضي الله عنه، فَأَرَدَفَهُ حَلْفَهُ، فَأَدْخَلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ (١).

وروى مسلم^(٢) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيتُ الحسنَ بنَ عليٍّ رضي الله عنه على عاتقِ النَّبِيِّ ﷺ وهو يقول: «اللهمَّ إني أحبه فأحبه».

وروى مسلمٌ أيضًا^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: خرجتُ مع رسولِ الله ﷺ في طائفةٍ من النهارِ حتى جاء سوقَ بني قَيْنُقاعَ، ثُمَّ انصرفَ حتى أتى خِباءَ فَاطِمَةَ - يعني بيتَها -، فقال: «أَنْتُمْ لُكْعُ؟ أَنْتُمْ لُكْعُ؟» يعني حسنًا، فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْسِبُهُ أُمُّهُ لِأَنَّهُ تَغَسَّلَهُ وَتُلْبِسُهُ سَخَابًا، فلم يلبثْ أنْ جاء يسعى، حتى اعتنقَ كُلُّ واحدٍ منهما صاحبه، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللهمَّ إني أحبه فأحبه، وأحِبُّ مَنْ يَحِبُّهُ».

قوله: «وَتُلْبِسُهُ سَخَابًا»: قال النووي: «السَّخَابُ: قلادةٌ من القُرْنفلِ والمسكِ والعودِ ونحوها مِنْ أَخْلَاطِ الطَّيِّبِ، يُعْمَلُ عَلَى هَيْئَةِ الشُّبْحَةِ، ويُجْعَلُ قلادةً للصِّبيانِ والجواري»^(٤).



صلاح الذُّرِّيَّةِ

قال الإمام البخاري رحمته الله: «قال الحسنُ في قولِ الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ

(١) أخرجه مسلم (٢٤٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٩)، ومسلم (٢٤٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٢٢)، ومسلم (٢٤٢١).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٣/١٥).



أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً نَاكِرَةً أَعْيُنٌ ﴿[الفرقان: ٧٤]: في طاعة الله، وما شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى حبيبهُ في طاعة الله﴾^(١).

ومن أعظم نعم الله على العبد: أن يصلح ذريته، وصلاح الذرية له أسباب:
السبب الأول: سلامة النية، وصدق الرغبة في صلاحهم؛ أي أن الذي يهتم من ذلك: أن يكونوا على الحال التي يحب الله.

السبب الثاني: الدعاء، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ مَنْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

السبب الثالث: امثال الآداب والتوجيهات الواردة في الكتاب والسنة، كقوله عليه السلام: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ...» الحديث^(٢).

السبب الرابع: صلاح الوالدين، كما قال الله ﷻ في قصة الغلامين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «حُفِظَا بِصَلَاةِ أَبِيهِمَا»^(٣). وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه قال لابنه: لَا زِيدَنَّ فِي صَلَاتِي رَجَاءً أَنْ أُحْفَظَ فِيكَ^(٤). وقال تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

(١) أخرجه البخاري تعليقاً (١٠٩/٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٥).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٨٣٨).

(٤) ينظر: جامع العلوم والحكم (٥٥٤/٢).

السَّبَبُ الْخَامِسُ: النَّصْحُ لَذَرَارِي الْمُسْلِمِينَ، وَتَمْنِي الْخَيْرِ لَهُمْ، وَالْفَرْحُ بِصَلَاحٍ مَنْ يَصْلُحُ مِنْهُمْ، وَالِدَعَاءُ لَهُمْ، وَالسَّعْيُ فِيهِ نَفْعٌ لَهُمْ، وَفِيهِ كَفٌّ لِلشَّرِّ عَنْهُمْ، فَاللَّهُ شَكُورٌ، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَقَدْ قِيلَ: «أَشْتَهِيَ الْخَيْرَ لَجَارِكَ تَرَهُ فِي دَارِكَ».

السَّبَبُ السَّادِسُ: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ - سُبْحَانَهُ -، فَلَا يَعْتَمِدُ الْعَبْدُ عَلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، أَوْ حُسْنِ أَسْلُوبِهِ، وَإِنَّمَا يَجْتَهِدُ فِي بَذْلِ الْأَسْبَابِ، وَيَجْتَهِدُ فِي الدَّعَاءِ، وَيُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»^(١).



فَضْلُ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ

فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ»، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ^(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ^(٣) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فُسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلُقُ الدِّينَ».

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ...»^(٤).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٠٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٧٥).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٣١/٢٠/١٣)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي كَشْفِ الْأَسْتَارِ (٢٠٥٩)، وَيَنْظُرُ: صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ لِلْأَلْبَانِيِّ (٧١/٣)، وَقَالَ: «صَحِيحٌ لَغَيْرِهِ».

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٩١٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٥٠٩)، وَأَحْمَدُ (٢٧٥٠٨).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٨٩)، وَمُسْلِمٌ (١٠٠٩).



وروى الطبراني عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي أَيُّوبَ: «يَا أَبَا أَيُّوبَ! أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يَحِبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ تَصْلُحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَبَاغَضُوا وَتَفَاسَدُوا»، وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ^(١). وَفِي رَوَايَةٍ: «تَسْعَى لِإِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا، وَتُقَارِبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا»^(٢).



احذرو! فَقَدْ تُخَجَّبُ عَنْكَ الْمَغْفِرَةُ

ذَكَرَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ»^(٣) فِي تَحْرِى النَّبِيِّ ﷺ صِيَامَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ أَحَادِيثَ وَأَثَارًا فِي التَّهْجِيرِ مِنَ التَّهَاجُرِ.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَرَى صِيَامَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَحَرَى صِيَامَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ»، خَرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ.

وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَهَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ تَصُومُ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ؟ فَقَالَ: «إِنَّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ يَغْفِرُ اللَّهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ؛ إِلَّا الْمُتَهَجِّرِينَ، فَيَقُولُ: دَعَوْهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا».

وَخَرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَعِنْدَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَكْثَرَ مَا يَصُومُ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ، فَقِيلَ لَهُ؟ قَالَ: «إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ كُلَّ اِثْنَيْنٍ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ - أَوْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ -؛ إِلَّا الْمُتَهَاجِرِينَ، فَيَقُولُ: أَخْرَوْهُمَا».

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/١٣٨/٣٩٢٢)، وحسنه الألباني في سلسلة

الأحاديث الصحيحة (٦/٢٩٩)، وينظر: صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٣/٧٢).

(٢) أخرجه البزار في المسند (٦٦٣٣).

(٣) ص (٣٠١ - ٣٠٢).

وأخرجهُ الترمذِيُّ، ولفظه: قَالَ: «تُعَرِّضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَأَحَبُّ أَنْ يُعَرِّضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»، وَرُوِيَ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، وَرَجَّحَ بَعْضُهُمْ وَقْفَهُ.

وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا؛ إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، يَقُولُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا».

ويروى بإسنادٍ فيه ضعفٌ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «تُرْفَعُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ، وَيُتْرَكُ أَهْلُ الْحَقْدِ بِحَقْدِهِمْ»، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

ثُمَّ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١): «فَهَذَا عَرَضٌ خَاصٌّ فِي هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ (٢) غَيْرُ الْعَرَضِ الْعَامِّ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَرَضٌ دَائِمٌ؛ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، فَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَسْأَلُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ -: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ».

ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ رَجَبٍ حَدِيثًا آخَرَ (٣) فِي مُسْلِمٍ، وَهُوَ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ»، إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ.



(١) المرجع السابق، ص (٣٠٣).

(٢) أي: الاثنين والخميس.

(٣) ينظر: المرجع السابق.

مَنْ هُوَ الْعَالَمُ الرَّبَّانِيُّ؟

قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِهِ^(١): «وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّنَ﴾ [آل عمران: ٧٩] «يَعْنِي: حُلَمَاءَ، فُقَهَاءَ، عُلَمَاءَ». قَالَ الْبُخَارِيُّ: «وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ هُوَ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصَغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ». قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَعْلِيْقًا عَلَى هَذَا: وَافَقَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي هَذَا التَّفْسِيرِ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا رَوَى عَنْهُ^(٢).

ثُمَّ قَالَ: «وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ اخْتَلَفَ فِي هَذِهِ النِّسْبَةِ؛ هَلْ هِيَ نِسْبَةٌ إِلَى الرَّبِّ؟ أَوْ إِلَى التَّرْبِيَةِ؟».

ثُمَّ قَالَ: «وَالْمَرَادُ بِصَغَارِ الْعِلْمِ: مَا وَضَحَ مِنْ مَسَائِلِهِ، وَبِكِبَارِهِ: مَا دَقَّ مِنْهَا. وَقِيلَ: يُعَلِّمُهُمْ جَزَائِيَّاتِهِ قَبْلَ كَلِّيَّاتِهِ، أَوْ فُرُوعَهُ قَبْلَ أَصُولِهِ، أَوْ مَقْدَمَاتِهِ قَبْلَ مَقَاصِدِهِ. وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: لَا يُقَالُ لِلْعَالَمِ رَبَّانِيٍّ؛ حَتَّى يَكُونَ عَالِمًا مُعَلِّمًا عَامِلًا»^(٣).



نصيحةُ الشيخ محمد العثيمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لطلابِ العلمِ

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعَثِيمِينُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَدَايَةِ شَرْحِهِ لِبَلُوغِ الْمَرَامِ «فَتَحِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٤)، فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِ الطَّهَارَةِ:

«بَدَأَ الْمُؤَلِّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكِتَابِ الطَّهَارَةِ كَغَيْرِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يَرْتَبُونَ كِتَابَهُمْ عَلَى أَبْوَابِ الْفَقْهِ، وَذَلِكَ لَعَدَةِ أَسْبَابٍ - فَذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَسْبَابٍ، ثُمَّ قَالَ -:

(١) صحيح البخاري (٢٥/١).

(٢) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي (١٦١/١): «وَقَدْ فَسَّرَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الرَّبَّانِيَّ بِأَنَّهُ الْحَكِيمُ الْفَقِيهُ، وَوَافَقَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ؛ فِيمَا رَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ فِي غَرَبِهِ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ».

(٣) فَتَحِ الْبَارِي (١٦٢/١).

(٤) (١/٤٥ - ٤٦).

الرابع: أنهم يبدؤون بالطهارة؛ لأجل تطهير إرادة الإنسان، بحيث لا يريد بطلب العلم إلا وجه الله والدار الآخرة؛ لأن الذين يطلبون العلم تتنوع مقاصدهم، فمنهم من يقصد الدنيا، ومنهم من يقصد الآخرة.

فالذين يريدون أن يصرفوا وجوه الناس إليهم، أو يريدون بطلبهم العلم أن ينالوا رئاسة أو مرتبة أو ما أشبه ذلك من أمور الدنيا هؤلاء لم يطلبوا العلم لله؛ بل هم آثمون، ولهذا جاء في الحديث: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا: لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»؛ يعني: ربحها.

ولهذا فإني أدعو طلاب العلم ونفسي: إلى إخلاص القصد والنية في كل العبادات؛ لا سيما في طلب العلم؛ لأنه من أفضل القربات، كما قال الإمام أحمد حينما سُئل عن أفضل الأعمال، قال: العلم ليس يعدله شيء لمن صحَّت نيته. قالوا: كيف تصحيح النية؟ قال: ينوي رفع الجهل عنه وعن الناس، ولا ينوي غير هذا.

وقد يقال أيضاً: إن طالب العلم لو نوى بطلبه حفظ الشريعة فإن هذه نية صالحة؛ لأن حفظها من أهم المهمات، وكذلك لو نوى بطلب العلم أن يعبد الله على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، فالذي يعبد الله على بصيرة يجد لعبادته لذة وحلاوة عظيمة؛ بخلاف من يعبد الله على غير علم ولا بصيرة.

وقد يُضاف قصد رابع - أيضاً - وهو: الدعوة إلى الله؛ لأن الدعوة إلى الله لا بُدَّ أن تكون مبنية على علم، فمن يدعو إلى الله على جهل فإن ضرره أكثر من نفعه، وقد يكون هذا القصد داخلاً في نية رفع الجهل عن الناس، ولكن لأهمية الدعوة أفردتها، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، انتهى كلامه ﷺ.



فائدة تربوية من كلام الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ

من كلام الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» على حديث عبادة بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، يَا بُنَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ - ضَمَّنَ كَلَامِهِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ -: «وَيَسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ:

١ - ملاطفة الأبناء بالموعظة، وتؤخذ من قوله: «يا بُنَيَّ».

٢ - أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُلَقَّنَ الْأَبْنَاءَ الْأَحْكَامَ بِأَدْلَتِهَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ، وَسَكَتَ، وَلَكِنَّهُ أَسْنَدَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ.

فمثلاً: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ لِابْنِكَ: سَمِّ اللَّهَ عَلَى الْأَكْلِ، وَاحْمِدِ اللَّهَ إِذَا فَرَعْتَ. فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ يَحْصُلُ بِهِ الْمَقْصُودُ، لَكِنْ إِذَا قُلْتَ: سَمِّ اللَّهَ عَلَى الْأَكْلِ، وَاحْمِدِ اللَّهَ إِذَا فَرَعْتَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِالتَّسْمِيَةِ عِنْدَ الْأَكْلِ، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ وَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبَ الشَّرْبَةَ وَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»، إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ اسْتَفَدْتَ فَائِدَتَيْنِ:

الأولى: أَنْ تُعَوِّدَ ابْنَكَ عَلَى اتِّبَاعِ الْأَدْلَةِ.

الثانية: أَنْ تُرَبِّيَهُ عَلَى مَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ هُوَ الْإِمَامُ الْمَتَّبَعُ الَّذِي يَجِبُ الْأَخْذُ بِتَوْجِيهَاتِهِ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠).

وهذه في الحقيقة كثيراً ما يُفْعَلُ عنها ، فأكثرُ الناسِ يوجِّهُ ابنه إلى الأحكامِ فقط ؛ لكنَّهُ لا يربطُ هذه التوجيهاتِ بالمصدرِ الذي هو الكتابُ والسُّنةُ^(١).



فضلُ الرِّفْقِ

❖ هذه أحاديثُ في فضلِ الرِّفْقِ:

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يَحُبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»، متفقٌ عليه^(٢).

وقالَ ﷺ - فيما رواه مسلم^(٣) -: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يَحُبُّ الرِّفْقَ، ويعطي على الرِّفْقِ ما لا يعطي على العنْفِ، وما لا يعطي على ما سواه».

وفي الحديثِ عن النبي ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانُهُ، ولا ينزَعُ مِنْ شيءٍ إلا شانهُ»، رواه مسلم^(٤).

وروى الإمامُ مسلمٌ - أيضاً - عن النبي ﷺ أَنَّهُ قالَ: «مَنْ يَحْرِمِ الرِّفْقَ يَحْرِمِ الْخَيْرَ»^(٥).

وفي قولِ النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرِّفْقَ، ويعطي على الرِّفْقِ ما لا يعطي على العنْفِ، وما لا يعطي على ما سواه» ذَكَرَ ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ ﷺ في شرحِ هذا الحديثِ مَعْنَيْنِ:

أحدهما: «يعطي»؛ يعني من الأجرِ والثوابِ، أي: أَنَّ الرِّفْقَ يُعْطَى أَجْرًا أَكْثَرَ مما يُعْطَى مَنْ كَانَ بخلافِ ذلك.

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٤٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٤).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٩٢).



المعنى الآخر: أَنَّ اللهَ «يعطي على الرفق»؛ يعني: من الثمراتِ والنتائج
وَتَحَقُّقِ المقاصدِ، فالإنسانُ إذا قصدَ أمرًا فَإِنَّهُ يَتَحَقَّقُ بالرفقِ نتيجةَ مسعاهُ أَكْثَرُ
مما يَتَحَقَّقُ بالشدةِ والعُنْفِ.
وقَوَّى ابنُ حجرٍ هذا المعنى^(١).



(١) ينظر: فتح الباري (١٠/٤٤٩).



القسم التاسع

مسائل وفوائد

تسوية الصفوف في الصلاة (١)

ذَكَرَ الشَّيْخُ سَعِيدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ وَهْبٍ الْقَحْطَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْقِيَمِ «صَلَاةُ الْمُؤْمِنِ» مَبَاحَثَ كَثِيرَةً جَدًّا تَتَعَلَّقُ بِالصَّلَاةِ؛ مِنْهَا: مَبْحَثٌ فِي شَأْنِ الْإِمَامَةِ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ (١):

تَسْوِيَةُ الصَّفُوفِ تَجِبُ عَلَى الصَّحِيحِ؛ لِحَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَتَسَوْنَ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وَجُوهِكُمْ»، وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ (٢).

وظاهرُ كلامِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَجُوبُ تَسْوِيَةِ الصَّفُوفِ؛ لِهَذَا

(١) ينظر: صلاة المؤمن، ص (٦٤٧ - ٦٥٠).

(٢) قوله: «الْقِدَاحُ»: لَيْسَ جَمْعُ قَدَحٍ - وَهُوَ الْإِنَاءُ الَّذِي يَشْرَبُ بِهِ -؛ بَلِ الْمُرَادُ: «الْقِدَاحُ» جَمْعُ قَدَحٍ، وَهُوَ: عَوْدُ السَّهْمِ. فَالسَّهْمُ مَكُونٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ: الْعَوْدُ وَيُسَمَّى الْقِدَحَ، وَالَّذِي يُرْكَبُ فِي رَأْسِهِ النَّصْلُ، وَالَّذِي يُرْكَبُ فِي أَسْفَلِهِ وَيُسَمَّى الرِّيشَ أَوْ الْقُدَّةَ، يُقَالُ: «رِيشُ سَهْمٍ»: بِعَنِي يُرْكَبُ لَهُ رِيشًا، وَهُوَ: الْقُدُّ الْوَارِدُ فِي الْحَدِيثِ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذُو الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ».

الْمَقْصُودُ: أَنَّ هَذَا الْعَوْدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقِيمًا تَمَامَ الاسْتِقَامَةِ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ إِذَا أُطْلِقَ فَسَيَتَعَرَّجُ فِي سَبِيلِهِ وَلَا يَصِلُ إِلَى الْهَدَفِ، فَيُشَبَّهُ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اعْتِنَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِتَسْوِيَةِ الصَّفُوفِ بِتَسْوِيَةِ الْقِدَاحِ. «الْمُؤَلَّف».



الحديث، ولحديث أنس رضي الله عنه: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ»، وفي لفظ لمسلم: «مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ».

وفي الحديث: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا، وَمَنَاكِبَنَا، ويقول: «لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ».

ثُمَّ أَوْرَدَ رحمته الله عِدَّةَ أَلْفَاظٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُهَا فِي تَسْوِيَةِ الصَّفُوفِ:

منها: قوله ﷺ: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا»، رواه البخاري.

ومنها: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ».

وكما تقدَّم: «مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ» في البخاري، «مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ» في مسلم، «مِنْ حُسْنِ الصَّلَاةِ» في البخاري ومسلم.

ومنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ».

ومنها: قول النَّبِيِّ ﷺ: «أَقِيمُوا الصَّفُوفَ»، وفي لفظ: «أَتِمُّوا الصَّفُوفَ».

ومنها: قوله ﷺ: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ» يقولها ثلاثاً، ففي الحديث: أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ» قَالَهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ لَتَقِيمَنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيَخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ».

ومنها: قوله ﷺ: «أَقِيمُوا الصَّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الْحَلَلَ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فُرْجَاتِ الشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ».

ومنها: قوله ﷺ: «رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالْأَعْنَاقِ»، وفي لفظ النسائي: «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنِّي لَأَرَى الشَّيَاطِينَ تَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ^(١)».

(١) قال الشيخ سعيد رحمته الله: «الْحَذَفُ»: الغنم الصغار الحجازية. وقيل: غنم صغار ليس لها أذنان ولا آذان، يُجاء بها من جُرَشِ اليمين. «المؤلف».

ومنها: قوله ﷺ: «أَتَبُّوا الصَّفَّ الْمُقَدَّمَ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيُكُنْ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ».

ومنها: قوله ﷺ: «اسْتَوُوا، اسْتَوُوا، اسْتَوُوا».

ومنها: قوله ﷺ: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا».

ومنها: قوله ﷺ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يَتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ».

وفي كتاب «المجموع شرح المذهب»^(١) في فقه الشافعية قَالَ ﷺ: «قَالَ أَصْحَابُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ^(٢): يُسْتَحَبُّ إِذَا كَانَ الْمَسْجِدُ كَبِيرًا أَنْ يَأْمُرَ الْإِمَامُ رَجُلًا يَأْمُرُهُمْ بِتَسْوِيتِهَا، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ، أَوْ يَنَادِي فِيهِمْ، وَيُسْتَحَبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَاضِرِينَ أَنْ يَأْمُرَ بِذَلِكَ مَنْ يَرَى مِنْهُ خِلَافًا فِي تَسْوِيةِ الصَّفِّ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَالْمَرَادُ بِتَسْوِيةِ الصُّفُوفِ: إِتِمَامُ الْأُولَى فَلأُولَى، وَسَدُّ الْفُرْجِ، وَيحَاذِي الْقَائِمِينَ فِيهَا، بِحَيْثُ لَا يَتَقَدَّمُ صَدْرُ أَحَدٍ وَلَا شَيْءٌ مِنْهُ عَلَى مَنْ هُوَ بَجَنِّهِ».

ولهذا قَالَ الشَّيْخُ سَعِيدُ الْقَحْطَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعَلَامَةُ: مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعَثِيمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْقَوْلُ الرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: وَجُوبُ تَسْوِيةِ الصَّفِّ، وَأَنَّ الْجَمَاعَةَ إِذَا لَمْ يُسَوُّوا الصَّفَّ فَهُمْ آثِمُونَ»^(٣).



(١) (٢٢٥/٤).

(٢) أي: الشافعية. «المؤلف».

(٣) صلاة المؤمن، ص(٦٤٧ - ٦٤٨)، وهو في الشرح الممتع (١٠/٣).



تسوية الصفوف في الصلاة (٢)

عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَادُوا بَيْنَ الْمَنَائِبِ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فَرْجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ»، رواه أبو داود وصححه الألباني^(١).

من آداب صلاة الجماعة: تسوية الصفوف، والتراص؛ كما روى البخاري وغيره عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُوا»^(٢).

وهذا التراص لا يعني التزاحم الشديد الذي يُشَوِّشُ على المصلي صلاته، فالمسألة اعتدال ومتابعة للسنة.

أيضاً: الحرص على الصف الأول لا يُسَوِّغُ التَّقَدُّمَ إلى الفرجة إذا كان ذلك يترتب عليه إيذاء أخيه المسلم، كما لو كانت الفرجة ضيقة جداً، والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]؛ فكيف إذا كان إيذاؤه في صلاته؟!.

هذا في شأن من تَقَدَّمَ وَتَرَتَّبَ على تقدُّمه ذلك، أما من كان في الصف فهو مندوب إلى أن يحتمل زلة أخيه، ولا يكون فعله هذا مدعاة لأن يحمل في قلبه عليه؛ فإن سلامة الصدور شأنها عظيم، نسأل الله من فضله.

وأبو داود رحمته الله - الذي روى الحديث السابق عن النبي ﷺ: «وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ» - قال: «معناه: إذا جاء رجل إلى الصف ليدخل فيه، فينبغي أن يُلِينَ لَهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكَبُهُ؛ حتى يدخل في الصف»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (٦٦٦)، وينظر: صحيح سنن أبي داود للألباني (٢٤٣/٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٩).

(٣) سنن أبي داود (١٧٨/١).

وشارح سنن أبي داود في «عون المعبود» قال^(١): «كونوا لِيَنِينَ هَيِّنِينَ
منقادين بأيدي إخوانكم إذا أخذوا بها؛ ليقدموكم أو يؤخروكم حتى يستوي
الصف؛ لتألوا فضل المعاونة على البر والتقوى...».

أيضاً: روى أبو داود في سننه وصححه الألباني^(٢): عن النبي ﷺ أنه
قال: «خَيَارُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مَنَاقِبَ فِي الصَّلَاةِ».

قوله ﷺ: «أَلْيَنُكُمْ مَنَاقِبَ»؛ أورد لها الشارح في «عون المعبود»^(٣) عدة
تفسيرات؛ منها: كلام الخطابي، فقد ذكر الخطابي لها تفسيرين؛ أحدهما:
ألا يمتنع على من يريد الدخول بين الصفوف، ليسد الخل أو لضيق المكان؛
بل يُمكنه من ذلك ولا يدفعه بمنكبه؛ لأجل أن تراص الصفوف ويتكاتف
الجموع. انتهى كلام الخطابي.

وهذا - الذي ذكره الخطابي - من السماحة ومن حسن الخلق الذي وعد
صاحبه بثقليل الموازين، كما أنه يدخل في قول الله ﷻ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾
[الأعراف: ١٩٩] يعني: خذ ما جادت به نفوس الناس، ولا تنتظر منهم أن
يكونوا كلهم على نفس الأخلاق^(٤). فالناس مُعطى ومحروم في شأن
الأخلاق، نسأل الله من فضله.

ومع هذا؛ لا يمنع من تنبيه المخطئ، وتعليم الجاهل؛ بل هذا مطلوب،
هذا من حق أخيك عليك؛ بل إنك - بإذن الله - إذا نبهته كان ذلك سبباً في
زوال الموجدية من القلب؛ كما هو مُشاهد ومُجرب.

وسبحان الله! الناس في هذه المسألة - مسألة التقدم إلى الفرج - طرفان
ووسط، فيقابل من تقدم ذكره - أي الذين يتقدمون في فرجة ضيقة جداً - من

(١) (٢٥٨/٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٦٧٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٥٠/٣).

(٣) (٢٦١/٢) باختصار.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٣١/٣).



لا يتقدم مطلقاً؛ إلا إذا التفت إليه وطلب منه أن يتقدم، وهذا مُفَرِّط، كما أن ذاك مُفَرِّط، فهذا قَصَرَ في أدب نبوي؛ سدَّ الفرج، كما زهد في فضيلة صف متقدم، ولو لم يكن هذا الصف المتقدم هو الأول.



الغيبَةُ في القلبِ

سؤال: بِمَ تكون الغيبة؟

الجواب:

١ - باللسان.

٢ - بالاستماع وعدم الإنكار.

٣ - بالإشارة.

٤ - بالكتابة.

٥ - بالرسوم.

سؤال: هل تكون الغيبة بالقلب؟

الجواب: قال الحافظ النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ «الْأَذْكَارِ»^(١):

بَابُ الْغَيْبَةِ بِالْقَلْبِ: اعْلَمْ أَنَّ سُوءَ الظَّنِّ حَرَامٌ مِثْلُ الْقَوْلِ: فَكَمَا يَحْرُمُ أَنْ تَحْدِثَ غَيْرَكَ بِمَسَاوِيِّ إِنْسَانٍ؛ يَحْرُمُ أَنْ تَحْدِثَ نَفْسَكَ بِذَلِكَ وَتَسِيءَ الظَّنَّ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَجْنَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢].

وَرَوَيْنَا فِي صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»، فَسَمَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَدِيثًا. وَالْأَحَادِيثُ بِمَعْنَى مَا ذَكَرْتُهُ كَثِيرَةٌ، وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ: عَقْدُ الْقَلْبِ وَحُكْمُهُ عَلَى غَيْرِكَ بِالسُّوءِ.

(١) ينظر: ص (٥٥٥).

فأما الخواطرُ وحديثُ النَّفْسِ إذا لم يَسْتَقِرَّ وَيَسْتَمِرَّ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ فَمَعْفُورٌ عَنْهُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَا اخْتِيَارَ لَهُ فِي وَقْعِهِ، وَلَا طَرِيقَ لَهُ إِلَى الْإِنْفِكَاحِ عَنْهُ، وَهَذَا هُوَ الْمَرَادُ. انْتَهَى كَلَامُ النَّوَوِيِّ.



ما حكم قول «جمعة مباركة»؟

سُئِلَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ صَالِحِ الْفُوزَانِ - حَفْظُهُ اللَّهُ وَبَارَكَ فِيهِ -: مَا حُكْمُ إِرسَالِ رِسَائِلِ الْجَوَالِ كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ، وَتَخْتُمُ بِكَلِمَةِ «جُمُعَةٌ مُبَارَكَةٌ»؟
فأجاب: مَا كَانَ السَّلَفُ يُهَيِّئُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَلَا تُحَدِّثُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلُوهُ.

وهكذا أجاب الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ الْمَاجِدُ، قَالَ: لَا نَرَى مَشْرُوعِيَّةَ التَّهْنِئَةِ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: جُمُعَةٌ مُبَارَكَةٌ؛ لِأَنَّهُ يَدْخُلُ فِي بَابِ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَذْكَارِ الَّتِي يُؤَقَّفُ فِيهَا عِنْدَ الْوَارِدِ، وَهَذَا مَجَالٌ تَعَبُدِيٌّ مُحَضَّرٌ، وَلَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ^(١).

وبمثل هذا أجاب الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْمُنْجِدُ^(٢).

أَيْضًا: يَقَالُ هُنَا: إِنَّ الْإِتْيَانَ بِصِيغَةٍ مُحَدَّدَةٍ، فِي تَوْقِيتٍ مُحَدَّدٍ، يَحْتَاجُ دَلِيلًا؛ لِئَلَّا يَصِيرَ بَدْعَةً، قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّفْرِيقُ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالْبَدْعَةِ فِي الْمَدَاوِمَةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْبَغِي التَّفَقُّطُ لَهُ»^(٣)، وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمَدَاوِمَةُ عَلَى خِلَافِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعِبَادَاتِ بَدْعٌ بِاتِّفَاقِ الْأُئِمَّةِ^(٤).

(١) ينظر: الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ سليمان الماجد، تحت عنوان: «قول: جمعة مباركة».

(٢) ينظر موقع: الإسلام سؤال وجواب، رقم الفتوى: (١٣٤٧٤١).

(٣) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٨/٥).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢٠/٢٢).



ومن جانب آخر: وَرَدَ فِي السُّنَّةِ الدُّعَاءُ بِالْبَرَكَةِ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ؛ لَيْسَ مِنْهَا هَذِهِ الصَّيْغَةُ. مَثَلًا: يُدْعَى لِمَنْ تَزَوَّجَ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ»^(١)، وَمِنْ أَدْعِيَةِ الطَّعَامِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ»^(٢)، «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ»^(٣)، والدُّعَاءُ لِلْمُضَيَّفِ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ وَاعْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمَهُمْ»^(٤)، وَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَبَارِكَ فِي نَفْسِي»

وَفِي سَمْعِي وَفِي بَصَرِي وَفِي رُوحِي وَفِي خَلْقِي وَفِي خُلُقِي وَفِي أَهْلِي وَفِي مُحْيَايَ وَمَمَاتِي وَفِي عَمَلِي»^(٥).

عَلَى أَيِّ حَالٍ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٦).



فائدة من «اقتضاء الصراط المستقيم»

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعْلِيْقًا عَلَى الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(٧) مَرْفُوعًا: «لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»:

«فِيهِ تَنْبِيْهُ عَلَى أَنَّ التَّشْدِيدَ عَلَى النَّفْسِ ابْتِدَاءٌ يَكُونُ سَبَبًا لِتَشْدِيدٍ آخَرَ يَفْعَلُهُ اللَّهُ؛ إِمَّا بِالْشَّرْعِ، وَإِمَّا بِالْقَدَرِ.

(١) أخرجه أبو داود (٢١٣٠)، والترمذي (١٠٩١)، وابن ماجه (١٩٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٧٣٠) ضمن حديث طويل، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأصله متفق عليه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/٣١٦/٧١٧)، والحاكم في المستدرک (١٩١١).

(٦) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨/١٨).

(٧) أخرجه أبو داود (٤٩٠٤).

فأما بالشرع: فمثل ما كان النبي ﷺ يخافه في زمانه من زيادة إيجاب أو تحريم، كنحو ما خافه لما اجتمعوا لصلاة التراويح معه، ولما كانوا يسألون عن أشياء لم تُحرم، ومثل: أن من نذر شيئاً من الطاعات وجب عليه فعله، وهو منهى عن نفس عقد النذر، وكذلك الكفارات الواجبة بأسباب.

وأما بالقدر: فكثير، قد رأينا وسمِعنا من كان يتنطع في أشياء فيبتلى أيضاً بأسباب تُشدُّ الأمور عليه في الإيجاب والتحريم؛ مثل: كثير من الموسوسين في الطهارة، إذا زادوا على المشروع ابتلوا بأسباب توجب حقيقة عليهم أشياء مُثَقَّة مُضِرَّة^(١).

ثم قال رحمه الله: «والتشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات»^(٢).

انتهى من كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم»، وموضوع الكتاب: التحذير من مشابهة الكفار، ومن الأشياء التي حذر من مشابهة أهل الكتاب فيها: التشديد على النفس.



تَحْتِمُ أَوْ تَتَدَبَّرُ

قول الله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩].

قال الشوكاني رحمه الله: «عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه تلا هذه الآية: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/٣٢٣).

(٢) المرجع السابق (١/٣٢٢).



ءَانَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ» [الزمر: ٩]، قَالَ: ذَاكَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ رضي الله عنه. وفي لفظ: نَزَلْتُ فِي عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رضي الله عنه ^(١).

عَثْمَانُ رضي الله عنه كَانَ كَثِيرَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَجَاءَ فِي سِيرَتِهِ: أَنَّ أَهْلَ الْفِتْنَةِ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَكَانَ يَقْرَأُ مِنَ الْمَصْحَفِ. وَرَوَى أَنَّهُ رضي الله عنه رَبَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ ^(٢).

وَهُنَا سَوَالٌ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: الْحَرَصُ عَلَى كَثْرَةِ التَّلَاوَةِ؟ أَوْ الْحَرَصُ عَلَى التَّدْبِيرِ؟

الْجَوَابُ - وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ -: أَنَّ يُقَالَ: الْقُرْآنُ كِتَابٌ مُبَارَكٌ، وَكِلَاهُمَا عَلَى خَيْرٍ، هَذَا وَذَاكَ؛ لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ الْأَفْضَلَ وَالْأَكْمَلَ الْجَمْعُ بَيْنَ كَثْرَةِ التَّلَاوَةِ وَالتَّدْبِيرِ.

وَعَلَى أَيِّ حَالٍ: يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢].

لَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُخْطِئُ فِي فَهْمِ هَذَا، فَيَزْهَدُ فِي الْاسْتِكْثَارِ مِنَ التَّلَاوَةِ بِحُجَّةٍ أَنَّ الْأَهَمَّ هُوَ التَّدْبِيرُ، فَيَكُونُ هَذَا مَدْعَاةً لَزُهْدِهِ فِي التَّلَاوَةِ وَعَدَمِ اسْتِكْثَارِهِ مِنْهَا، وَهَذِهِ مَبَالِغَةٌ مَنَشُؤُهَا: قُصُورُ الْعِلْمِ، أَوْ الْكُسْلُ؛ بَلْ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَرْتَبَ لِنَفْسِهِ مَقْدَارًا مُعَيَّنًا يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ، وَأَنْ يَخْتَمَ كُلَّ أُسْبُوعٍ أَوْ أُسْبُوعَيْنِ وَعَلَى الْأَقَلِّ إِلَّا يَمُرَّ شَهْرٌ أَوْ نَحْوُهُ وَهُوَ لَمْ يَخْتَم.

وَهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم، فَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَخْتَمُ كُلَّ أُسْبُوعٍ، وَهَذَا - أَعْنِي تَرْتِيبَ حِزْبٍ يَوْمِي - اقْتِدَاءً مِنْهُمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فِيهِ الْحَدِيثُ: أَنَّ وَفْدًا قَدَمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ يَمُرُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ لَيْلَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، فَمَرَّةً أَبْطَأَ

(١) فتح القدير (٤/ ٤٥٤)، وفيه: «وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مُرْدَوَيْهِ وَأَبُو نَعِيمٍ - فِي الْحَلِيلَةِ - وَابْنُ عَسَاكِرٍ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ أَنَّهُ تَلَا...».

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٩٤٦) مَعْلَقًا، وَوَصَلَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنَفِ (٨٥٨٩).

عليهم، فلما جاء قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخْرَكَ؟^(١) قَالَ: «إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ حَزْبِي مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُخْرِجَ حَتَّى أُتِمَّهُ»^(٢).

معناه - والله تعالى أعلم - : أَنَّهُ كَانَ بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ حِزْبِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي كَانَ يُوَاطِبُ عَلَى تِلَاوَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ، فَكَرِهَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّهُ.

وَمِنْ فَوَائِدِ حَرَصِ الْقَارِئِ عَلَى أَنْ يَخْتَمَ: أَنَّ هَذَا يَكُونُ مُحَفِّزًا لَهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الْقِرَاءَةِ وَاجْتِنَامِ الدَّقَائِقِ إِذَا أُتِيحَتْ لَهُ، فَلَا يُفَرِّطُ فِيهَا.

وَانْظُرْ فِيمَنْ حَوْلَكَ؛ فِيمَنْ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ فِي الْمَسَاجِدِ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، فَصَاحِبُ الْخَتْمَةِ: يَغْتَنِمُ مَا بَقِيَ عَلَى الْإِقَامَةِ لِيَقْرَأَ حِزْبَهُ الْيَوْمِيَّ وَلَوْ كَانَ بِضَعِ دَقَائِقَ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَمْ يُرْتَبْ لِنَفْسِهِ خَتْمَةً: دُونَهُ فِي الْحَرَصِ، فَرُبَّمَا تَرَاهُ يَقْلُبُ نَظْرَهُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَيَطَالُعُ سَاعَتَهُ فَيَنَّةً بَعْدَ أُخْرَى، يَتَرَقَّبُ كَمْ بَقِيَ عَلَى الْإِقَامَةِ!.



أنواع الشهداء

فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الشَّهْدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤): وَقَدْ اجْتَمَعَ لَنَا مِنَ الطَّرِيقِ الْجَيِّدَةِ، أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِينَ خَصْلَةً، وَهِيَ:

الْأَوَّلُ: الْمَطْعُونُ.

الثَّانِي: الْمَبْطُونُ.

(١) قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ مُشْتَاقُونَ لِمَجَالَسَةِ النَّبِيِّ ﷺ. «المؤلف».

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٣٩٣)، ابْنُ مَاجَهَ (١٣٤٥).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٨٢٩)، وَمُسْلِمٌ (١٩١٤).

(٤) يَنْظُرُ: فَتْحُ الْبَارِي (٤٣/٦).



الثالث: الغرقُ.

الرابع: صاحبُ الهَدمِ.

الخامس: الحريقُ.

السادس: صاحبُ ذاتِ الجَنبِ. قال ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: وهو مَرَضٌ معروفٌ، ويقالُ لَهُ: الشُّوصَةُ. وفي «القاموس»^(١): «الشُّوصَةُ: وجعٌ في البطنِ، أو ريحٌ تعتقبُ في الأضلاعِ، أو وَرَمٌ في حجابِها من داخلٍ، واختلاجُ العِرْقِ»؛ أي: اضطرابُه.

السابع: المرأةُ تموتُ بجُمُع، قال ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: هي النفساءُ، وقيل: التي يموتُ ولدُها في بطنِها ثُمَّ تَمُوتُ بسببِ ذلك، ولأحمد: «وفي النفساءِ يقتلُها ولدُها جُمُعًا شهادةً».

الثامن: السَّلُّ، وَرَدَ في حديثِ رواه الإمامُ أحمدُ.

التاسع: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»، رواه أصحابُ السننِ.

العاشر: «مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ».

الحادي عشر: «مَنْ قُتِلَ دُونَ عِرْضِهِ».

الثاني عشر: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»، رواه النسائيُّ.

الثالث عشر: مَنْ وَقَصَهُ فَرَسُهُ أَوْ بَعِيرُهُ، روى الطبرانيُّ: «والخارُ عَنْ

دَابَّتِهِ».

الرابع عشر: مَنْ لَدَغَتْهُ هَامَّةٌ.

الخامس عشر: موتُ الغريبِ، روى الطبرانيُّ: «موتُ الغريبِ شهادةً».

السادس عشر: مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا.

السابع عشر: المرءُ يموتُ على فِرَاشِهِ في سَبِيلِ اللهِ.

(١) القاموس المحيط ص (٦٢٢).

الثامن عشر: الشَّرِيقُ.

التاسع عشر: الذي يفتَرُسُهُ السَّيْعُ.

العشرون: مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ بِنَيَّْةٍ صَادِقَةٍ.

الحادي والعشرون: مَنْ يَتَرَدَّى مِنْ فَوْقِ الْجِدَارِ^(١).

ثُمَّ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَوَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي أُمُورٍ أُخْرَى، لَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهَا لضعفها، قَالَ ابْنُ التَّيْنِ - أَحَدُ شُرَاحِ الْحَدِيثِ -: هَذِهِ كُلُّهَا مِيتَاتٌ فِيهَا شِدَّةٌ، تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَى أُمَةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنْ جَعَلَهَا تَمْحِيصًا لِدُنُوبِهِمْ، وَزِيَادَةً فِي أَجُورِهِمْ، يُبْلَغُهُمْ بِهَا مَرَاتَبُ الشَّهَدَاءِ»^(٢).

وَذَكَرَ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعِثِمِيُّ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ -: أَنَّ الَّذِي يَمُوتُ فِي حَوَادِثِ السَّيَارَاتِ يُرَجَى أَنْ تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ؛ قِيَاسًا عَلَى الَّذِي يَمُوتُ بِالْهَدْمِ^(٣).

وَعَلَى أَيِّ حَالٍ؛ فَنَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُحْسِنَ لَنَا جَمِيعًا الْخَاتِمَةَ، وَحُسْنُ الْخَاتِمَةِ لَهُ أَسْبَابٌ، كَمَا أَنَّ سُوءَ الْخَاتِمَةِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ - لَهُ أَسْبَابٌ.

وَعَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ: الْجَزَاءُ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ، فَمَنْ كَانَ فِي حَيَاتِهِ صَالِحًا مُسْتَقِيمًا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، يَحْرُصُ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ، فَاللَّهُ ﷻ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يَخْذُلَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَالْعَكْسُ؛ إِلَّا إِنْ تَدَارَكَ اللَّهُ - بِرَحْمَتِهِ - ذَلِكَ الْمُقْصَرَّ.

وَمِنْ كَلَامِ الْعُلَمَاءِ: «الْخَوَاتِمُ مِيرَاثُ السَّوَابِقِ»^(٤).

يَعْنِي: مَا هِيَ سَابِقَةٌ هَذَا الْإِنْسَانِ؟ فَسَابِقَتُهُ - وَهِيَ مَا مَضَى مِنْ حَيَاتِهِ - تَوَرَّثُ خَاتِمَةً مِنْ جَنْسِهَا، فَمَنْ كَانَ مَا مَضَى مِنْ حَيَاتِهِ فِي صَلَاحٍ وَاسْتِقَامَةٍ

(١) ينظر: المرجع السابق (٤٣/٦ - ٤٤).

(٢) فتح الباري (٤٤/٦).

(٣) ينظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز (٤٧٣/١٣ - ٤٧٤).

(٤) ينظر: جامع العلوم والحكم (١٨٠/١).



وحرص على طاعة الله، وامتنالٍ لأمر الله، وأتباعٍ لسنة رسول الله ﷺ، ويجاهدُ نفسه في طاعة الله، فهذه تورثُ خاتمةً من جنسها، والعكسُ.



من أحكام الحَيَّاتِ

روى البخاري ومسلم^(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يخطبُ على المنبر يقول: «اقتلوا الحَيَّاتِ، واقتلوا ذا الطُفَيْتَيْنِ والأبترَ، فإنهما يطمسانِ البصرَ، ويستسقطانِ الحَبْلَ».

قال عبد الله بن عمر: فبينما أنا أطارِدُ حيةً لأقتلها، فناداني أبو لبابة رضي الله عنه: لا تقتلها. فقلتُ: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أمرَ بقتلِ الحَيَّاتِ. فقال: إنَّه نهى بعدَ ذلكَ عن ذواتِ البيوتِ، وهي العوامرُ.

قوله: «ذا الطُفَيْتَيْنِ»: الطُفَيْتَانِ خَطَّانِ أبيضانِ على ظهرِ الحيةِ، والطُفْيَةُ في الأصلِ هي: خُوصَةٌ نوعٌ من النخيلِ، يقالُ له المُقْلُ، شُبَّةُ الخَطَّانِ اللذانِ على ظهرِ الحيةِ بخوصتينِ من خوصِ المُقْلِ^(٢).
قوله: «الأبترَ»: قصيرُ الذنبِ^(٣).

قوله: «ويستسقطانِ الحَبْلَ»: أي أنَّ المرأةَ الحاملَ إذا نظرتُ إليها خافتُ، وأسقطت الحملَ - غالبًا - لشدةِ خوفِها منهما^(٤).

وقد حدثني صاحبُ لي من السودانِ، قال: عندنا في السودانِ نوعٌ من الحَيَّاتِ يَنْقُذُ لِعَابَهُ إلى العينِ، فإذا أصابها عَمِيَ. فلعلَّها هي المرادةُ هنا، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٧، ٣٢٩٨)، ومسلم (٢٢٣٣).

(٢) ينظر: فتح الباري (٣٤٨/٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق.

(٤) ينظر: المرجع السابق.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ الْحَيَّاتِ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْأَبْتَرِ، وَذِي الطُّفَيْتَيْنِ، أَمَا بَقِيَّةُ الْحَيَّاتِ فَيُقْتَلْنَ إِنْ كُنَّ فِي الْبَرَارِيِّ وَالطُّرُقِ، وَإِنْ كُنَّ فِي الْبُيُوتِ: يُنْذَرْنَ وَيُؤَدَّنَ ثَلَاثًا^(١).

يعني: أَنَّ الْأَبْتَرَ وَذَا الطُّفَيْتَيْنِ يُقْتَلُ فِي أَيِّ مَكَانٍ، فِي الْبَيْتِ أَوْ خَارِجَ الْبَيْتِ، أَمَا بَقِيَّةُ الْحَيَّاتِ فَيُقْتَلْنَ إِنْ كُنَّ فِي الْبَرَارِيِّ وَالطُّرُقِ، وَإِنْ كُنَّ فِي الْبُيُوتِ: يُنْذَرْنَ وَيُؤَدَّنَ ثَلَاثًا.

وَفِي رَوَايَةٍ: «فَحَرِّجُوا عَلَيْهِ ثَلَاثًا»^(٢)، قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ فِي صِفَةِ التَّحْرِيجِ: أَنْ يُقَالَ: «كُفُّوا شَرَّكُمْ، فَإِنْ عُدْتُمْ فَعَلْنَا وَفَعَلْنَا»^(٣). وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «أَنْ يُقَالَ لَهُنَّ: أَنْتُنَّ فِي ضَيْقٍ وَحَرَجٍ إِنْ لَبِثْتِ عِنْدَنَا، أَوْ ظَهَرَتْ لَنَا، أَوْ عُدْتِ إِلَيْنَا»^(٤). وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ^(٥): «وَأَمَّا مَالِكٌ فَإِنَّهُ قَالَ: يَكْفِي فِي الْإِنْدَارِ أَنْ يَقُولَ: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَلَّا تَبْدُوا لَنَا وَلَا تُؤَدُّوْنَا».

وَقَوْلُهُ: «ثَلَاثًا»؛ هَلِ الْمَرَادُ: ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ؟ أَوْ ثَلَاثُ مَرَاتٍ؟ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «وَاخْتَلَفَ فِي الْمَرَادِ بِالثَّلَاثِ، فَقِيلَ: ثَلَاثُ مَرَاتٍ، وَقِيلَ: ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ»^(٦).

وَقَدْ يَفْسَرُهَا رَوَايَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جَنًّا قَدْ أُسْلِمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَادْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٧)، وَفِي رَوَايَةٍ لَهُ أَيْضًا^(٨): «إِنَّ لِهَذِهِ الْبُيُوتِ عَوَامِرَ،

(١) ينظر: الفوائد المجنية، ص (٧٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣٦).

(٣) الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري (٥٦/٣).

(٤) فتح الباري (٦/٣٤٩).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١/٣١٧).

(٦) فتح الباري (٦/٣٤٩).

(٧) أخرجه مسلم (٢٢٣٦).

(٨) أخرجه مسلم (٢٢٣٦).



فَإِنْ رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْهَا فَحَرِّجُوا عَلَيْهَا ثَلَاثًا، فَإِنْ ذَهَبَ وَإِلَّا فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ». العَوَامِرُ: الْحَيَّاتُ الَّتِي تَكُونُ فِي الْبُيُوتِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعْلَقًا عَلَى رِوَايَةٍ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا»: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ إِذَا لَمْ يَذْهَبْ بِالْإِنْذَارِ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَوَامِرِ الْبُيُوتِ، وَلَا مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنَ الْجِنِّ؛ بَلْ هُوَ شَيْطَانٌ، فَلَا حُرْمَةَ عَلَيْكُمْ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ سَبِيلًا لِلْإِنْتِصَارِ عَلَيْكُمْ بِثَأْرِهِ؛ بِخِلَافِ الْعَوَامِرِ وَمَنْ أَسْلَمَ»^(١).

لَكِنْ؛ إِذَا لَدَغَتْ الَّتِي فِي الْبُيُوتِ: فَقَالَ ابْنُ بَازٍ: عُمَارُ الْبُيُوتِ إِذَا لَدَغَتْ فَإِنَّهَا تُقْتَلُ^(٢). وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «مَا كَانَ مِنْهَا مُحَقَّقَ الضَّرَرِ وَجَبَ دَفْعُهُ»^(٣).

قَالَ النَّوَوِيُّ تَعْلِيْقًا عَلَى حَدِيثٍ: أَمَرَ ﷺ مُحَرَّمًا بِقَتْلِ حَيَّةٍ بِمَنْىَ^(٤): «فِيهِ أَنَّهُ لَا يُنْذَرُهَا فِي غَيْرِ الْبُيُوتِ، وَأَنْ قَتَلَهَا مُسْتَحَبٌّ»^(٥).



فائدةٌ من كتاب «الممتع»

قَالَ فِي «زَادِ الْمُسْتَقْنَعِ»^(٦): «وَلُبُّهُ فَوْقَ حَاجَتِهِ»؛ يَعْنِي: مَنْ آدَابَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ أَنَّهُ يَحْرُمُ لُبُّ الْإِنْسَانِ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِهِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعِثِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الشرح الممتع على زاد المستقنع»^(٧): «أَيُّ يَحْرُمُ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ حِينَ انْتِهَائِهِ، وَعَلَّلُوا ذَلِكَ بِعِلَّتَيْنِ:

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٣٦/١٤).

(٢) ينظر: الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري (٥٦/٣).

(٣) فتح الباري (٣٥٠/٦).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٣٥).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٣٤/١٤).

(٦) ص (٢٨).

(٧) (١٢٦/١).

الأولى: أَنَّ فِي ذَلِكَ كَشْفًا لِلْعَوْرَةِ بِلا حَاجَةٍ.

والثانية: أَنَّ الْحُشُوشَ وَالْمَرَا حِضَّ مَأْوَى الشَّيَاطِينِ وَالنَّفُوسِ الْخَبِيثَةِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْقَى فِي هَذَا الْمَكَانِ الْخَبِيثِ.

وتَحْرِيمُ اللَّبَثِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّعْلِيلِ، وَلَا دَلِيلَ فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ وَلِهَذَا قَالَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: إِنَّهُ يُكْرَهُ وَلَا يَحْرُمُ، انْتَهَى.



اِفْتَدَى بِنَبِيِّكَ ﷺ فِي مَظْهَرِهِ وَمَخْرَجِهِ

فِي فَتَاوَى الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَا أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْفُوا السَّوَارِبَ، وَوَقُرُوا اللَّحَى، خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ»، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جُرُّوا السَّوَارِبَ وَأَرْحُوا اللَّحَى، خَالِفُوا الْمَجُوسَ».

وَخَرَجَ النَّسَائِيُّ فِي سَنِيهِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا».

قَالَ الْعَلَامَةُ الْكَبِيرُ وَالْحَافِظُ الشَّهِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ بُنْ حَزْمٍ: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ قَصَّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءَ اللَّحْيَةِ فَرْضٌ...».

يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَخِلَاصَةُ الْجَوَابِ: أَنَّ تَرْبِيَةَ اللَّحْيَةِ وَتَوْفِيرَهَا وَإِرْخَاءَهَا فَرْضٌ لَا يَجُوزُ تَرْكُهُ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَمَرَ بِذَلِكَ، وَأَمَرَهُ عَلَى الْوُجُوبِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وَهَكَذَا قَصُّ الشَّارِبِ وَاجِبٌ، وَإِحْفَاؤُهُ أَفْضَلُ.



أَمَّا تَوْفِيرُهُ فَذَلِكَ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُ يَخَالِفُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «قَصُّوا الشَّوَارِبَ»، «أَحْفُوا الشَّوَارِبَ»، «جَزُّوا الشَّوَارِبَ»، «مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا».

وفي اللفظ الأخير وهو قوله: «مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا»؛ وعيدٌ شديدٌ وتحذيرٌ أكيدٌ.

وَمَنْ ذَلِكَ يُعْلَمُ أَنَّ إِعْفَاءَ الشَّارِبِ ذَنْبٌ مِنَ الذُّنُوبِ، وَمَعْصِيَةٌ مِنَ الْمَعَاصِي. وهكذا حُلِقَ اللَّحْيَةُ وتَقْصِيرُهَا مِنْ جَمَلَةِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي تَنْقُصُ الْإِيمَانَ وتُضَعِّفُهُ، وَيُخْشَى مِنْهَا حُلُولُ غَضَبِ اللَّهِ وَنَقْمَتِهِ^(١)، انتهى كلامُ الشيخ باختصارٍ.

وبعد؛ فَمَا مِنْ يَحْلِقُ لِحْيَتَهُ، مَا الَّذِي يَدْعُوكَ لِلِإِصْرَارِ عَلَى مَخَالَفَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَصْيَانِ أَمْرِهِ؟ أَلَسْتَ تَحِبُّهُ؟! إِذَنْ؛ فَثَمَرَةُ مَحَبَّتِهِ طَاعَتُهُ، وَتَقْدِيمُ طَاعَتِهِ عَلَى هَوَى النَّفْسِ.

أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا أَخِي: أَنْ تَلْقَى اللَّهَ غَدًا وَقَدْ اقْتَدَيْتَ بِنَبِيِّهِ ﷺ فِي هَيْئَتِهِ، وَمَظْهَرِهِ وَمَخْبَرِهِ؟ أَوْ أَنْ تَكُونَ - عِيَاذًا بِاللَّهِ - مِنَ الْعَاصِينَ وَالْمُخَالَفِينَ؟.

يَا أَخِي! اسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَبَادِرْ وَلَا تُسَوِّفْ، وَجَاهِدْ نَفْسَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ تَرَدُّدَكَ لَا يَزِيدُ عَنْ كَوْنِهِ حَوَاجَزَ نَفْسِيَّةٍ، وَعَوَاقِقَ وَهْمِيَّةٍ، جَاهِدْ نَفْسَكَ وَالْحَقَّ بِرُكْبِ الْمُقْتَدِينَ الْمُتَّبِعِينَ لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ: تَحْمَدُ قَرَارَكَ، وَتَفْرَحُ بِإِنجَارِكَ، وَتُقِي بوعِدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].



ماذا قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعِثِمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ؟

قَالَ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعِثِمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً فِي التَّحْذِيرِ مِنْ حَلْقِ اللِّحْيَةِ أَوْ أَخْذِ شَيْءٍ مِنْهَا:

حَذَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَلْقِ اللِّحْيَةِ أَوْ التَّهَاوُنِ بِهَا، فَقَالَ ﷺ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَقُرُوا اللَّحَى»، رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

فتوفيرُها: أي عَدمُ التعرضِ لها؛ مخالفةً للمُشْرِكِينَ والمَجُوسِ، وموافقةً لَهْدِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَلِهَذَا يَحْرُمُ حَلْقُهَا أَوْ أَخْذُ شَيْءٍ مِنْهَا؛ لِأَنَّ هَذَا مَعْصِيَةٌ وَمُخَالَفَةٌ لِلْفِطْرَةِ، وَمُخَالَفَةٌ لِلرُّسُولِ ﷺ، وَمُخَالَفَةٌ لِسُنَنِ الْمُرْسَلِينَ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

وفي حَلْقِهَا إِصْرَارٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: وَإِذَا أَصَرَّ الْإِنْسَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ - وَلَوْ صَغِيرَةً - كَانَ فَاسِقًا غَيْرَ عَذْلٍ، فَلَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا بِالنَّاسِ، وَلَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا عَلَى أَحَدٍ مِمَّنْ لَهُ الْوَلَايَةُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ مِنْ شُرُطِ الْوَلَايَةِ الْعَدَالَةَ، وَحَلْقُ اللِّحْيَةِ يَنَافِي الْعَدَالَةَ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ؛ أَنَّ الْفَاسِقَ لَا تَصَحُّ وَلايَتُهُ فِيمَا يَشْتَرُطُ فِيهِ الْعَدَالَةُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ حَلْقَ اللِّحْيَةِ الَّذِي تَهَاوَنَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ الْيَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا أَصَرَّ عَلَيْهِ صَارَ كَبِيرَةً فِي حَقِّهِ.

وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْحَنَابِلَةِ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا جَنَى عَلَى شَخْصٍ جَنَايَةً تَرْتَبُ عَلَيْهَا سَقُوطُ شَعْرِ لِحْيَتِهِ عَلَى وَجْهِهِ لَا تَنَبُّتٌ بَعْدَهُ: فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ دِيَةٌ رَجُلٍ كَامِلَةٌ، كَمَا لَوْ قَتَلَهُ هُوَ بِنَفْسِهِ. وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنَ الْمَذْهَبِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَةِ شَعْرِ اللِّحْيَةِ وَبَقَائِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ.

أَسْأَلُ اللَّهَ لِي وَلِإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ الْعِصْمَةَ مِمَّا يُغْضِبُ وَجْهَهُ ﷺ.



انتهى كلامُ الشيخِ رَحِمَهُ اللهُ مَلْخَصًا مِنْ «فَتْحِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِشَرْحِ بُلُوغِ الْمَرَامِ»^(١).

اقْرَأْ وَتأملْ

قال الحافظُ النووي رَحِمَهُ اللهُ كِتَابَ «رياضِ الصالحين»^(٢): قال رسولُ الله ﷺ: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ»، رواه البخاريُّ، وقال ﷺ: «الإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ»، رواه أبو داودَ والنسائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ. انتهى.

«القَمِيصُ»: ما سَتَرَ أَعْلَى الْبَدَنِ؛ سواءً إِلَى النِّصْفِ أَوْ إِلَى أَسْفَلِهِ، وَهِيَ الثِّيَابُ الَّتِي نَلْبَسُهَا. فَالْإِسْبَالُ فِي هَذِهِ، وَفِي الْبُتْلُونِ، وَفِي الْمَشْلُحِ.

قَالَ النووي رَحِمَهُ اللهُ^(٣): وَرَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ إِزَارِي يَسْتَرِخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خِيَلَاءٌ». انتهى.

بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: وَأَنَا مَا أَفْعَلُهُ خِيَلَاءً! أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ مَلِيَّ الْبَدَنِ، فَكَانَ إِزَارُهُ يَسْتَرِخِي، وَيَتَعَاهَدُهُ؛ أَي: يَشُدُّهُ، ثُمَّ مَعَ الْحَرَكَةِ وَالْمَشْيِ وَنَحْوِهِمَا يَسْتَرِخِي، فَمَنْ وَرَعَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَافَ أَنَّهُ - فِي فِتْرَةٍ غَفَلَ عَنْهَا - يَكُونُ مِمَّنْ خَالَفَ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خِيَلَاءٌ»؛ أَنْتَ تَتَعَاهَدُهُ، وَهَذَا الْأَمْرُ - وَهُوَ اسْتِرْخَاءُ الثَّوبِ - لَا تُقِرُّ نَفْسَكَ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي جُرَيْجٍ؛ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَرَّتَيْنِ، قَالَ: «لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ،

(١) ينظر: (١/ ٢٩٠ - ٢٩٢).

(٢) ينظر: ص (٢٧٦)، باختصار.

(٣) ينظر: رياض الصالحين، ص (٢٧٥).

عَلَيْكَ السَّلَامُ نَحْيَةُ الْمَيِّتِ، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ»، قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتُهُ فَكَشَفَهُ عَنْكَ - سَبْحَانَهُ -، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ - أَي قَحِطٌ وَجَدِبٌ - فَدَعَوْتُهُ، أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ أَوْ فَلَاحٍ فَضَلَّتْ رَاغِلَتُكَ فَدَعَوْتُهُ، رَدَّهَا عَلَيْكَ»، قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ - أَي طَلَبَ أَنْ يُوصِيَهُ - قَالَ ﷺ: «لَا تَسْبَنَّ أَحَدًا، وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَاِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ»، قَالَ النُّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رواهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»^(١).

انظُرْ! رَجُلٌ لِنَوَّهِ وَقَدْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ فِي أَوْلِيَّاتٍ مَا أَوْصَاهُ بِهِ: «ارْفَعْ إِزَارَكَ»، وَلَمْ يَسْأَلْهُ هَذَا الرَّجُلُ: إِنْ كَانَ بِقَصْدٍ؟ أَوْ بَغَيْرِ قَصْدٍ؟

وَهَكَذَا وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي زَهْدِهِ وَوَرَعِهِ -، قَالَ النُّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْحَاءً، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، ارْفَعْ إِزَارَكَ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ النُّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): رَوَى أَبُو دَاوُدَ - بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ -: أَنَّ سَهْلَ بْنَ الْحَنْظَلِيَّةِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ الرَّجُلُ خُرَيْمٌ الْأَسَدِيُّ، لَوْلَا طَوْلُ جُمَّتِهِ^(٤)، وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ»، فَبَلَغَ خُرَيْمًا، فَعَجَّلَ ﷺ فَأَخَذَ شَفْرَةً فَقَطَعَ بِهَا جُمَّتَهُ إِلَى أُذُنَيْهِ، وَرَفَعَ إِزَارَهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ^(٥). انْتَهَى.

(١) المرجع السابق، ص (٢٧٦).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٧٩).

(٣) المرجع السابق، ص (٢٧٨ - ٢٧٩).

(٤) «الجُمَّة»: الشعرُ إِذَا طَالَ حَتَّى بَلَغَ الْمَنْكِبَيْنِ وَسَقَطَ عَلَيْهِمَا. يَنْظُرُ: دَلِيلُ الْفَالْحِينِ لَطَرَقِ

رِيَاضُ الصَّالِحِينَ (٥/٢٧٩).

(٥) قَالَ فِي مِرْقَاةِ الْمِفَاتِيحِ (٧/٢٨٣٣): «لَا شَكَّ أَنَّ طَوْلَ الشَّعْرِ لَيْسَ مَذْمُومًا، وَلَا جَاءَ =



هكذا الصحابة رضي الله عنهم في مبادرتهم وعدم تلکهم وتَعَذُّرهم بأعذار واهية، يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وعمر رضي الله عنه لما طُعنَ وحُمِلَ إلى بيته وجُرَّحه يثُعبُ دماً، وبعد ذلك أتاه الناس يُعوذونه، وكان ممن أتاه شاب قال: أبشر يا أمير المؤمنين من قدم في الإسلام ما قد عِلِمْتُ، صَحِبْتَ رسولَ الله ﷺ، وكذا وكذا، ثم وَلِيتَ فَعَدَلْتُ، فقال: «وَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ كِفَافٌ، لَا لِي وَلَا عَلَيَّ»، ثم وَلَى هذا الشاب، فرأى عمرُ ثوبه متجاوزاً الكعبين، قال: رُدُّوا عَلَيَّ الغلامَ، فقال: «يَا بُنَيَّ! ارفَعْ ثوبَكَ؛ فَإِنَّهُ أَبْقَى لثوبِكَ، وَأَتَقَى لربِّكَ»^(١).

فعمر رضي الله عنه - وهو في هذا الموقف - لم يترك الإنكارَ عليه، وذلك الشاب جاء ومدَّحه وأثنى عليه، وعمرُ منشغلٌ بهذا في ساعاته الأخيرة، رضي الله عنه.

أختم بهذا الحديث، وأرجو من كلِّ مسبلٍ أن يتأمله:

قال النووي رحمته الله^(٢): روى أبو داود - بإسنادٍ صحيحٍ على شرطِ مسلم - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رجلٌ يُصلي مسبلٌ إزاره، قال له رسولُ الله ﷺ: «اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ»، فذهب فتوضَّأ، ثم جاء، فقال: «اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ»، فقال رجلٌ: يا رسولَ الله! ما لك أَمَرْتَهُ أَنْ يتوضَّأ، ثم سَكَتَ عنه؟ قال: «إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إزاره، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ».

فَلَنَحْتَظْ لديننا، وَلَنَحْتَظْ لصلَاتنا، وَلَنَسْتَعِزَّ بِاللَّهِ، وَلَنَكُنْ ممنُ يَسْتَمِعُ القولَ فيتبعُ أحسنه.. لَا نُسَوِّغُ لأنفسنا، أَوْ نُزَكِّي أَنْفُسَنَا.

والأمرُ - والله الحمدُ والشكرُ - لَا عُسْرَ فِيهِ، مَا قِيلَ: إلبَسْ على هيئةٍ منقّرة.. بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَرِضَا اللَّهِ وَسَخِطِهِ قَيْدَ أَنْمَلَةٍ؛ وَاحِدٌ سَتِيْمَتَرٌ أَوْ

= أمرٌ بقطع ما زادَ على مقدارٍ معلومٍ منه، فلعله ﷺ رأى هذا الرجلَ يتبخترُ بطولِ جُمُتِهِ كما يدلُّ عليه قوله: «وإسبال إزاره».

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

(٢) رياض الصالحين، ص (٢٧٧).

اثنين سنتيمتر!! فما فائدتك منه؟ اجعل ثوبك لا يتجاوز الكعبيين ويبقى على هيئة مقبولة: ﴿وَلْيَأْسُ الْتَقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]؛ لكن نعوذ بالله من تشييط الشيطان وتسويله وتزيينه.



مَنْ حَقَّقِ النَّبِيَّ ﷺ

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ذَكَرَ اللَّهُ طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَكْثَرِ مَنْ ثَلَاثِينَ مَوْضِعًا مِنَ الْقُرْآنِ (١)، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] (٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١ - ٥٢]: فَجَعَلَ الطَّاعَةَ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، وَجَعَلَ الْخَشْيَةَ وَالتَّقْوَىٰ لِلَّهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وَقَالَ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، وَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ

(١) فائدة: قال الإمام أحمد بن حنبل: «نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً»، الإبانة لابن بطة ص (٩٧)، الصارم المسلول ص (٥٦).

(٢) يعني: الذين يخالفون عن أمر النبي ﷺ. «المؤلف».



كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ: «لَا يَا عُمَرُ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ: فَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، قَالَ: «الآنَ يَا عُمَرُ».

فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ حَقُوقَ الرَّسُولِ ﷺ؛ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، وَمَحَبَّتِهِ، وَتَعْزِيرِهِ، وَتَوْقِيرِهِ، وَنَصْرِهِ، وَتَحْكِيمِهِ، وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ، وَالتَّسْلِيمَ لَهُ، وَاتِّبَاعَهُ، وَالصَّلَاةَ وَالتَّسْلِيمَ عَلَيْهِ، وَتَقْدِيمَهُ عَلَى النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ، وَرَدَّ مَا يُتَنَازَعُ فِيهِ إِلَيْهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ طَاعَتَهُ طَاعَتُهُ، فَقَالَ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وَ﴿مُبَايَعَتُهُ مُبَايَعَتُهُ﴾، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وَقَرَنَ بَيْنَ اسْمِهِ وَاسْمِهِ فِي الْمَحَبَّةِ فَقَالَ: ﴿أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٢٤]، وَفِي الْأَذَى فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وَفِي الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٤]، وَفِي الرِّضَا فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، فَهَذَا وَنَحْوُهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي^(١).

مَاذَا قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عُثَيْمِينَ فِي شَأْنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؟

الْعِبَارَةُ التَّالِيَةُ مِنْ كِتَابِ «الضَّيَاءِ اللَّامِعِ مِنَ الْخُطْبِ الْجَوَامِعِ»^(٢) لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُ لِمَنْ رَأَاهُ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ: هَذَا لَيْسَ لَكَ، هَذَا لِلْهَيْئَةِ، مَا أَنْتَ بِمَلْزُومٍ.

قَالَ الشَّيْخُ: فَمَا أَعْظَمَ جَهْلَ هَذَا الْقَائِلِ، وَمَا أَقْبَحَ فَعْلُهُ، فَكُلُّنَا أَجْنَادٌ لِلْحَقِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَكُلُّنَا قَدْ أَمَرْنَا رَبَّنَا أَنْ نَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ،

(١) مجموع الفتاوى (١/٦٧ - ٦٨) باختصار وتصرف يسير.

(٢) (٣٣٢/٤).

وَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نُغَيِّرَ الْمُنْكَرَ بِمَا اسْتَطَعْنَا مِنْ فَعَلٍ أَوْ قَوْلٍ، فَإِنْ عَجَزْنَا عَنْ ذَلِكَ أَنْكَرْنَا الْمُنْكَرَ بِقُلُوبِنَا بِالْبُغْضِ وَالْكَرَاهَةِ.

رحمه الله وَرَجِمَ علماءنا^(١).



«الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»

الحمد لله الذي يَسَّرَ عَلَى عِبَادِهِ الدِّينَ، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٨]، وَفِي «الْمُسْنَدِ» وَ«الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»^(٢): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ».

وَالنَّاسُ أَمَامَ هَذِهِ النُّصُوصِ وَأَمْثَالِهَا: طَرَفَانِ وَوَسْطٌ: طَرَفٌ يُعْرِضُ عَنْهَا، وَيَأْبَى إِلَّا الْأَخْذَ بِالْأَشَدِّ، وَطَرَفٌ يَبَالِغُ فِيهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى غَيْرِ مَحَامِلِهَا، وَيَجْعَلُهَا - مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُ أَوْ لَا يَشْعُرُ - ذَرِيعَةً لَاتِّبَاعِ أَهْوَائِهِ وَتَسْوِيقِهِ لِنَفْسِهِ مَا تَشْتَهِي.

أَمَّا مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَاتَّقَى رَبَّهُ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ بِهَا بِفَقْهِ وَوَرَعٍ، مُسْتَرَشِدًا وَمَهْتَدِيًا وَمُقْتَدِيًا بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُ ﷺ - بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ - خَيْرٌ مِنْ وَضَحِهَا وَبَيِّنِهَا.

وَالشَّيْطَانُ قَدْ يَكِيدُ لِلْعَبْدِ مِنْ بَابِ التَّشْدِيدِ وَيُزَيِّنُ لَهُ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الدِّينُ، وَقَدْ يَكِيدُهُ مِنْ بَابِ التَّسْهِيلِ وَالتَّرَخُّصِ وَالسَّمَاحَةِ وَالْيُسْرِ، حَتَّى يَتِمَادَى فِي التَّوَسُّعِ فِي الْمَشْتَبَهَاتِ فَالْمَكْرُوهَاتِ فَالْمَحْرَمَاتِ، وَلَا يَنْجُو أَحَدٌ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ.

(١) وَكَذَلِكَ خُطْبَةٌ قِيَمَةٌ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي (٤/٣٣٤)، الْخُطْبَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ حُطْبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. «الْمُؤَلَّف».

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢١٠٧)، وَابْنُ خَالٍ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ (٢٨٧).

ونأخذُ عبرةً مما يلي :

أبو بكرٍ رضي الله عنه وما أدراك ما أبو بكرٍ؟! هذه الأمة - بصالحيتها وعلمائها ومجاهديها وعِبَادِها - خيرُهم على الإطلاق - بعدَ نبيِّهم ﷺ -: أبو بكرٍ رضي الله عنه، ومع كثرة ما تعلَّم من النبي ﷺ من الأدعية والأذكار فإنه رَغِبَ في الزيادة، كما قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، قال يا رسول الله، علِّمني دعاءً أدعوه به إذا أصبحتُ وإذا أمسيْتُ، قال ﷺ: «قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ الشيطانِ وشركه»، وضَبِطَتْ أيضًا: «وشركه»، وفي روايةٍ أخرى: «وأنْ أفتَرَفَ على نفسي سوءًا أو أجَرَّهُ إلى مسلم»، «قلُّه إذا أصبحتُ وإذا أمسيْتُ وإذا أخذت مضجعك»^(١).

سبحانَ الله! كان المتوقعُ أو ربَّما يَخْطُرُ في الذهنِ أنَّ النبيَّ ﷺ سيَدُّهُ على دعاءِ طَلَبِ الدرجاتِ العُلا من الجنة، ومرافقةِ النبي ﷺ ونحو ذلك، مما يُرْجَى أنَّ الله ﷻ قد أَنالَه سيدَ هذه الأمة ﷺ؛ لكن انظر كيف اختارَ النبي ﷺ لأبي بكرٍ أن يتعوذَ بالله من شرِّ نفسه، وهل نفسُ أركى - بعدَ النبي ﷺ - من نفسِ أبي بكرٍ رضي الله عنه؟ لكن هذا يُشْعِرُكَ بخطرِ النَّفسِ، وأنه لا يَسْلَمُ من شرِّها وشرِّ الشيطانِ إلا من سلَّمَه الله.

ثم أبو بكرٍ رضي الله عنه قال: يا رسول الله! علِّمني دعاءً أدعوه به إذا أصبحتُ وإذا أمسيْتُ، فقال النبي ﷺ: «قلُّه إذا أصبحتُ وإذا أمسيْتُ وإذا أخذت مضجعك»، مما يَدُلُّ على تَأَكُّدِ الحاجةِ المَاسَّةِ إلى التعوذِ بالله من شرِّ النَّفسِ وشرِّ الشيطانِ.

فكما تقدم: النَّفسُ والشيطانُ قد يُلبَّسانِ على العبدِ ما يشتهي من الأفعالِ في صورةِ الطاعةِ أو القُرْبَةِ، فقد يُصَوِّرُ الشيطانُ التشدُّدَ في غيرِ محلِّه أنه ورعٌ

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧)، والترمذي (٣٣٩٢).

وَعَيْرُهُ عَلَى مُحَارَمِ اللَّهِ، وَقَدْ يُصَوِّرُ التَّسَاهُلَ وَالتَّرَخُّصَ فِي غَيْرِ مُحَلِّهِ أَنَّهُ سَمَاحَةٌ وَيُسْرٌ وَتَنْشِيطٌ لِلنَّفْسِ وَتَرْوِيجٌ عَنْهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصُّوَرِ.

وَالْعَبْدُ إِذَا اتَّقَى اللَّهَ تَعَالَى وَاجْتَهَدَ فِي تَلَمُّسِ مَرَاضِيهِ وَتَحَرِّيِ الْأَحَبِّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاجْتَهَدَ فِي أَنْ يُعِيدَهُ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَحِبَائِلِهِ: فَإِنَّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ حَرِيٌّ بِأَنْ يُوَفَّقَ وَأَنْ يَحْفَظَ وَيَسَدِّدَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وَيَقُولُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فَجَدِيرٌ بِكُلِّ مُسْلِمٍ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى اللَّهِ: أَنْ يُعِيدَهُ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشُرَكَهِ وَأَنْ يُعِيدَهُ أَنْ يَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِهِ سُوءًا أَوْ يَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ، فَحِثِّذْ - إِذَا جَرَّ عَلَى غَيْرِهِ سُوءًا - كَسْبَ وِزْرِهِ وَوِزَرَ مِنْ عَمَلٍ بِهِ بِسَبَبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

كَمَا يَحْذَرُ أَشَدَّ الْحَذَرِ أَنْ يَجْرَّ عَلَى غَيْرِهِ أَسْبَابَ الْقَطِيعَةِ وَالشَّحْنَاءِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، فَإِنَّ هَذِهِ مِنْ أخطرِ الْأَشْيَاءِ، وَمِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى الشَّيْطَانِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضْعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: وَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ، قَالَ: فَيُذْنِيهِ مِنْهُ - أَوْ قَالَ: فَيَلْتَزِمُهُ - وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ أَنْتَ»^(١).

فَالْتَفْرِيقُ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى الشَّيْطَانِ، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَيَغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(٢)، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٣/٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٥).



وفي المقابل: فَإِنَّ حِرْصَ الْإِنْسَانِ عَلَى مَا يُقَرِّبُ الْقُلُوبَ وَيَجْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَتَنَازُلَهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ رَغْبَاتِهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ: مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ وَالطَّاعَاتِ.



«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»

ذَكَرَ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي سِيَاقِ التَّحْذِيرِ مِنْ مِثَالِهَا الْكُفَّارِ فِي أَعْيَادِهِمْ فِي أَيِّ وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ - أَنَّ مِنَ الْاجْتِهَادَاتِ الْخَاطِئَةِ: أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَرِيدُ أَلَّا يَتَشَبَّهَ بِالْكَفَّارِ فِي أَعْيَادِهِمْ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ يُرِيدُ أَنْ يُلَبِّيَ رَغْبَةَ أَوْلَادِهِ فِي تَشَوُّفِهِمْ أَنْ يَفْعَلُوا مَا يَفْعَلُهُ الْكَفَّارُ مِنْ مَظَاهِيرِ الْعِيدِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: أَنَا أَصْنَعُ لَكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فِي غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ؛ فِي الْأَسْبُوعِ الْقَادِمِ، أَوْ بَعْدَ شَهْرٍ - مِثْلًا -، وَخَطَأً الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا الْاجْتِهَادُ؛ لِأَنَّ عِيدَهُمْ صَارَ هُنَا - بِصُورَةٍ أَوْ بِأُخْرَى - هُوَ مَنْشَأُ هَذَا الْوَعْدِ، وَذَكَرَ الْبَدِيلَ، وَهُوَ: أَنَّهُمْ يُحَالُونَ عَلَى عِيدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَيُقْضَى لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْحَقُوقِ مَا يَقْطَعُ تَطَلُّعَهُمْ إِلَى غَيْرِهِ، «فَإِنْ لَمْ يَرْضَوْا فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَمَنْ أَغْضَبَ أَهْلَهُ اللَّهُ أَرْضَاهُ اللَّهُ وَأَرْضَاهُمْ»، انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ «اقتضاء الصراط المستقيم»^(١).



التحذيرُ من مشاهدة عيدِ النصارى «رأس السنَّة»

إِنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ وَشَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: يَقْتَضِي وَيَسْتَلْزِمُ مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَمَحَبَّةَ مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ مِنَ الْأَشْخَاصِ، وَمَحَبَّةَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَزْمِنَةِ وَالْأَمَكْنَةِ، وَبُغْضَ مَنْ يُبْغِضُهُ اللَّهُ مِنَ الْأَشْخَاصِ، وَبُغْضَ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ، وَالْمَوَالَاةَ فِيهِ، وَالْمَعَادَاةَ فِيهِ.

(١) ينظر: (٢/٥ - ٦).

ومما نهى الله عنه - ويقدح في الولاء والبراء - حضور أعياد الكافرين، قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

قوله تعالى: ﴿يَشْهَدُونَ﴾ فُسِّرَ بمعنى: يحضرون. كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «شهدت العيد مع رسول الله ﷺ»^(١). يعني: حضرته.

قال في «فتح القدير»^(٢): ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾: لا يحضرون الزور. انتهى.

وفي معنى: ﴿الزُّورَ﴾ قال ابن كثير رحمه الله^(٣): «قال أبو العالية وطاووس ومحمد بن سيرين والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم: هي أعياد المشركين»، انتهى.

سؤال: لو قيل: ما وجه كون حضور أعياد الكافرين قاذحاً في عقيدة المسلم وولائه وبرائه؟

الجواب: يُجيب عن هذا الإمام ابن تيمية رحمه الله فيقول: «إن الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك التي قال الله - سبحانه -: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكَاهُمْ نَاسِكُوهُمْ﴾ [الحج: ٦٧]^(٤)، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج؛ بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر»^(٥).

«الشعائر»: أعلام الدين الظاهرة.

وقال - أيضاً - رحمه الله: «غاية ما كان يوجد من بعض الناس - يعني في عهد

(١) أخرجه البخاري (٩٦٢).

(٢) ينظر: (٨٩/٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٣٠/٦).

(٤) وفي الآية الأخرى أيضاً: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. «المؤلف».

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/٥٢٨) باختصار.



الصحابة والتابعين - ذهابٌ إليهم للتنزه بالنظر إلى عيدهم ونحو ذلك، فنهى عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك^(١)، انتهى.



لُعِنَتِ الْعَرَبِيَّةُ

إنَّ اللغةَ العربيةَ أفضلُ اللغاتِ على الإطلاقِ، وليسَ هذا تَعْصَبًا لِلْغِنَا، وإنَّما هي حقيقةٌ تُثَبِّتُهَا الأدلةُ والبراهينُ.

ويكفيها شرفاً: أَنَّ اللهَ ﷻ أنزلَ كتابَه - الذي هو ذِكْرٌ للعالمينَ - بها، فلا يُظَنُّ ظَانٌّ أَنَّ هذا إنما حَصَلَ اتِّفَاقًا؛ يعني: لما كان الرسولُ ﷺ عربيًّا نَزَلَ القرآنُ بِلُغَتِهِ! ليسَ الأمرُ بهذه السَّذَاجَةِ؛ بل لما كانتِ اللغةُ العربيةُ هي أفضلُ لغةٍ، وأبلغها، وأدقها، وأقدرها على إيصالِ المعاني إلى المخاطبِ، ولغيرِ ذلكَ من المزايا - اختارها الله تعالى - وهو الحكيمُ العليمُ - لِيُنْزَلَ بها كتابُهُ الذي خُوطِبَتْ بِهِ البشريةُ كُلُّها؛ بل الثقلانِ من الإنسِ والجنِّ.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رحمته الله في هذا الشأنِ: «إِنَّ اللسانَ العربيَّ شعارُ الإسلامِ وأهلِهِ، واللغاتُ مِنْ أعظمِ شعائرِ الأُمَمِ التي بها يُمَيِّزُونَ...»^(٢).

ثُمَّ تَكَلَّمَ رحمته الله عن التحدُّثِ بغيرِ اللغةِ العربيةِ، فقالَ: وأما الخطابُ باللغاتِ الأعجميةِ مِنْ غيرِ حاجةٍ؛ في أسماءِ الناسِ، والشهورِ، والتواريخِ، ونحوِ ذلكَ، فهوَ منهْيٌ عنه، وهذا قولُ مالِكٍ والإمامِ أحمدَ، فإنه قالَ - أي الإمامُ مالِكٌ -: نهى عمرُ رضي الله عنه عن رطانةِ الأعاجمِ. وَكَرِهَ الشافعيُّ لمنْ يعرفُ العربيةَ أَنْ يسميَ بغيرِها، وَأَنْ يتكلَّمَ بها خالطًا لها بالعجميةِ. وهذا الذي قالَهُ الأئمةُ مأثورٌ عن الصحابةِ والتابعينَ^(٣).

(١) المرجع السابق (٥٠٥/١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٥١٩/١).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٥٢٠/١) وما بعدها.

ثُمَّ ذَكَرَ أَثَرًا أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَرَوَى مَرْفُوعًا، قَالَ: «مَنْ يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ فَلَا يَتَكَلَّمَ بِالْعَجْمِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ يورثُ النِّفَاقَ».

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: وَهَذَا الْكَلَامُ يَشْبَهُ كَلَامَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَّا رَفْعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَمَوْضِعٌ نَبِيْنٌ.

ثُمَّ قَالَ: وَاعْلَمْ أَنَّ اعْتِيَادَ اللُّغَةِ يُوْثِّرُ فِي الْعَقْلِ وَالْخُلُقِ وَالذِّينِ تَأْثِيرًا بَيِّنًا، وَيُوْثِّرُ أَيْضًا فِي مِشَابَهَةِ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمِشَابَهَتِهِمْ تَزِيدُ الْعَقْلَ وَالذِّينَ وَالْخُلُقَ.

وَلِهَذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ الْمُتَقَدِّمُونَ لَمَّا سَكَنُوا أَرْضَ الشَّامِ وَمِصْرَ وَلِغَةً أَهْلِيهِمَا رُومِيَّةً، وَأَرْضَ الْعِرَاقِ وَخِرَاسَانَ وَلِغَةً أَهْلِيهِمَا فَارْسِيَّةً، وَسَكَنُوا الْمَغْرِبَ وَلِغَةً أَهْلِيهَا بَرْبَرِيَّةً - عَوَّدُوا أَهْلَ هَذِهِ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ، حَتَّى غَلِبَتْ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْأَمْصَارِ؛ مُسْلِمِهِمْ وَكَافِرِهِمْ.

وَأَيْضًا؛ فَإِنَّ نَفْسَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الدِّينِ، وَمَعْرِفَتَهَا فَرَضٌ وَاجِبٌ؛ فَإِنَّ فَهْمَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ فَرَضٌ، وَلَا يَفْهَمُ إِلَّا بِفَهْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ، فَإِنَّهَا مِنْ دِينِكُمْ»^(١).

وَلَعَلِّي أوردُ مَثَالًا طَرِيفًا عَنْ دِقَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَفْرِيقِهَا بَيْنَ الْمُسَمِّيَّاتِ: مِنْ ذَلِكَ إِطْلَاقُهَا مَسْمِيَّاتٍ خَاصَّةٍ عَنِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ حَالَاتِهِ أَوْ صِفَاتِهِ، وَسَأوردُهُ عَلَى شَكْلِ لُغْزٍ:

العربُ لها مسمياتٌ مختلفةٌ على حسبِ حالاتِ الضرعِ:

١ - فإذا سألَ الحليبُ مِنْ حَلْمَةٍ ضَرَعَ الشاةِ مِنْ غَيْرِ حَلْبٍ بِسَبَبِ سَعَةِ ثُقْبِ الْحَلَمَاتِ، فَهَذِهِ لَهَا اسْمٌ.



٢ - وإذا كَانَ ثُقُبُ الحَلْمَةِ ضَيْقًا فَإِنَّ لَهُ اسْمًا آخَرَ.

٣ - وبعضُ الشَّيْءِ ضَرَعُهَا صَغِيرٌ لَا يَكَادُ يُمَسِّكُ بِالْيَدِ، فهذه لها اسمٌ آخرٌ.

٤ - وقد تكونُ بعضُ الشَّيْءِ لها زيادةٌ حَلْمَةٍ - وهو أمرٌ معيَّبٌ -، فهذه لها اسمٌ آخرٌ.

المطلوبُ نسبةٌ كلِّ مسمًى إلى الوصفِ الذي يناسبُهُ:

١ - الكَمِيشَةُ.

٢ - الثَّعُولُ.

٣ - الفَشُوشُ.

٤ - الضَّبُوبُ.

الجوابُ:

الفَشُوشُ: هي التي يَفُشُّ لبنُها من غيرِ حَلَبٍ، يعني يسيلُ لِسَعَةٍ ثُقُبِ حلماتِ ضرعِها.

الضَّبُوبُ: عكسُها، وهي ضيقةُ ثُقُبِ الحَلْمَةِ.

الكَمِيشَةُ: الصغيرةُ الضرعِ، لا تكادُ اليدُ تمسكُها.

الثَّعُولُ: التي لها زيادةٌ حَلْمَةٍ، وهو أمرٌ معيَّبٌ في الشَّاةِ^(١).



(١) الفرقُ بين الألفاظِ المتقاربةِ المعاني بابٌ واسعٌ، يكشفُ سعةَ اللغةِ العربيةِ ودقَّتَها وعبقريَّتَها، والمؤلفاتُ في هذا الفنِّ كثيرةٌ؛ منها: المخصَّصُ لابنِ سيِّده، وفقهُ اللغةِ للثعالبي، والصاحبي لابنِ فارسٍ، والإفصاحُ في فقهِ اللغةِ لعبدِ الفتاحِ الصعيديِّ وحسينِ موسى.

١، ٢، ٣... أرقام عربية أو هندية؟

هذه فتوى صادرة من مجلس المجمع الفقهي الإسلامي، نصّها^(١):

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد، وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، أمّا بعد:

فإنّ مجلس المجمع الفقهي الإسلامي قد نظّر في الكتاب الوارد إلى الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي من وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالأردن، والبحث المقدّم منه إلى مجلس الوزراء الأردني بعنوان: «الأرقام العربية من الناحية التاريخية»، والمتضمن أنّ هناك نظرية تشيع بين بعض المثقفين؛ مفادها: أنّ الأرقام العربية في رسمها الراهن (١ - ٢ - ٣ - ٤ - إلخ) هي أرقام هندية، وأنّ الأرقام الأوروبية (١-٢-٣-٤-etc) هي الأرقام العربية الأصلية. ويقودهم هذا الاستنتاج إلى خطوة أخرى؛ هي: الدعوة إلى اعتماد الأرقام في رسمها الأوروبي في البلاد العربية، داعمين هذا المطلب بأنّ الأرقام الأوروبية أصبحت وسيلة للتعامل الحسابي مع الدول والمؤسسات الأجنبية التي باتت تملك نفوذًا واسعًا في المجالات الاقتصادية والاجتماعية في البلدان العربية، وأنّ ظهور أنواع الآلات الحسابية التي لا تستخدم إلا هذه الأرقام يجعل اعتماد رسم الأرقام الأوروبية في البلاد العربية أمرًا مرغوبًا فيه إن لم يكن شيئًا محتومًا لا يمكن تفاديه.

ونظّر أيضًا فيما تضمّنه البحث المذكور من بيان للجذور التاريخية لرسم الأرقام العربية والأوروبية، وأطلع المجلس أيضًا على قرار مجلس هيئة كبار العلماء في دورتها «الحادية والعشرين»، والمتضمن: أنّه لا يجوز تغيير رسم الأرقام العربية المستعملة حاليًا إلى رسم الأرقام المستعملة في العالم الغربي؛ للأسباب التالية:

(١) باختصار وتصرف يسير، ينظر: فقه النوازل (١١٢/٢).



أولاً: أنه لم يثبت أن الأرقام المستعملة في الغرب هي الأرقام العربية؛ بل إن المعروف غير ذلك، والواقع يشهد له، كما أن مضي القرون الطويلة على استعمال الأرقام الحالية في مختلف الأحوال والمجالات يجعلها أرقاماً عربية، وقد وردت في اللغة العربية كلمات لم تكن في أصولها عربية، وباستعمالها أصبحت من اللغة العربية.

ثانياً: أن الفكرة لها نتائج سيئة، وآثار ضارة، فهي خطوة من خطوات التغريب للمجتمع الإسلامي تدريجياً، يدُلُّ على ذلك: أن إحدى الجهات الرسمية في دولة عربية تبنت وثيقة تدعو إلى ضرورة تعميم الأرقام المستخدمة في أوروبا؛ لتحقيق الوحدة الثقافية والعلمية وحتى السياحية على الصعيد العالمي.

ثالثاً: أنها - أي هذه الفكرة - ستكون ممهدة لتغيير الحروف العربية، واستعمال الحروف اللاتينية؛ بدّل العربية؛ ولو على المدى البعيد.

رابعاً: أنها مظهر من مظاهر التقليد للغرب واستحسان طرائقه.

خامساً: أن جميع المصاحف والتفاسير والمعاجم والكتب المؤلفة كلها تستعمل الأرقام الحالية في ترقيمها، أو في الإشارة إلى المراجع، وهي ثروة عظيمة هائلة، وفي استعمال الأرقام الإفرنجية الحالية - عوضاً عنها - ما يجعل الأجيال القادمة لا تستفيد من ذلك التراث بسهولة ويسر... انتهى

وفي ضوء ما تقدّم يقرّر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي ما يلي:

أولاً: التأكيد على مضمون القرار الصادر عن مجلس هيئة كبار العلماء، والمتضمن: عدم جواز تغيير رسم الأرقام العربية المستعملة حالياً برسم الأرقام الأوروبية...

والله وليّ التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت الفتوى باختصار.

وَمَمَّنْ وَقَعَ عَلَى هَذِهِ الْفَتَوَى :

د. عَبْدُ اللَّهِ عَمْرٍ نَصِيف .

وَالشَّيْخُ مُصْطَفَى أَحْمَدُ الزَّرْقَا - مِنْ عُلَمَاءِ الشَّامِ ..

وَالشَّيْخُ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ الصَّوَّاف - مِنْ عُلَمَاءِ الْعِرَاقِ ..

وَالشَّيْخُ : مُحَمَّدٌ رَشِيدُ لَبَّانِي . وَمُحَمَّدُ الشَّاذَلِي . وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ

جَوْسِي . وَعَبْدُ الْقُدُوسِ الْهَاشِمِيُّ . وَمُحَمَّدُ رَشِيدِي ، هَؤُلَاءِ مِنْ مُخْتَلَفِ دَوْلِ

الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ، رَحِمَ اللَّهُ مَيَّتَهُمْ ، وَسَدَّدَ حَيَّهْمُ وَثَبَّتُهُ .



«مَوْتُ الْمُؤْمِنِ بِعَرَقِ الْجَبِينِ»

هَذِهِ فَائِدَةٌ مِنْ كِتَابِ «صَلَاةِ الْمُؤْمِنِ»^(١) لِلشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ عَلِيٍّ الْقَحْطَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَقَدْ ذَكَرَ عِلَامَاتِ حَسَنِ الْخَاتِمَةِ ، وَذَكَرَ مِنْهَا : الْمَوْتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ ، وَذَكَرَ لَفْظَ الْحَدِيثِ - كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : «مَوْتُ الْمُؤْمِنِ بِعَرَقِ الْجَبِينِ» ، وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَهَ : «الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ» ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢) : وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ . وَبَوَّبَ لَهُ ابْنُ مَاجَهَ : «بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُؤْمِنِ يُوجَرُ فِي النَّزْعِ» .

وَذَكَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ قَوْلَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ عِبَارَةٌ عَمَّا يُكَابِدُهُ الْمُؤْمِنُ مِنْ شِدَّةِ السَّيَاقِ الَّذِي يَغْرُقُ دُونَهُ جَبِينُهُ ؛ وَذَلِكَ تَمْحِصًا لِدُنُوبِهِ^(٣) .



(١) ينظر : ص (١١٧٨) .

(٢) ينظر : المرجع السابق ، ص (١١٧٩) .

(٣) ينظر : ص (١١٧٩) ، وفيه : «والثاني : أنه كناية عن كَدِّ الْمُؤْمِنِ فِي طَلَبِ الْحَلَالِ وَتَضْيِيقِهِ عَلَى نَفْسِهِ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى» ، وَيَنْظُرُ : سَبِيلُ السَّلَامِ (١/٤٦٥) .

«لقنوا موتاكم»

أوردَ الإمام البخاريُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في صحيحه^(١) باباً عنوانه: «باب آخر ما تكلم به النبيُّ ﷺ»، ثم ذكرَ حديثَ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فكانَ آخرَ كلمةٍ تكلمَ بها ﷺ: «اللهم الرفيق الأعلى».

«الرفيق الأعلى»: معناه - والله تعالى أعلم - : الرفقةُ الأعْلَوْنَ الذين ذكرَهُم الله: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]^(٢).

«رفيقٌ»: يطلقُ على المفرد، وعلى الجمع؛ تقول: هذا رفيقي، وهؤلاء رفاقي.

«قال السَّهْلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الحكمةُ في اختتامِ كلامِ المصطفى ﷺ بهذه الكلمة: كونُها تتضمنُ التوحيدَ والذكرَ بالقلبِ، حتى يُستفادَ منه: الرخصةُ لغيره أنه لا يُشترطُ أن يكونَ الذكرُ باللسانِ؛ لأنَّ بعضَ الناسِ قد يمنعه^(٣) من النطقِ مانعٌ، فلا يضرُّه إذا كانَ قلبُه عامراً بالذكرِ. انتهى مُلَخَّصاً»^(٤).

كأنَّه يُشيرُ إلى ما رواه مسلم^(٥) عن النبيِّ ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»، وما رواه أبو داود^(٦) عن النبيِّ ﷺ: «من كانَ آخرُ كلامِهِ لا إله إلا الله دَخَلَ الجنةَ».

فكأنَّه يقولُ: إنَّ هذا فيه عزاءٌ، ويُستفادُ منه عدمُ اشتراطِ كونِ الذكرِ باللسانِ؛ لأنَّ بعضَ الناسِ قد يمنعه من النطقِ مانعٌ، فلا يضرُّه.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٣)، ومسلم (٢٤٤٤).

(٢) ينظر: فتح الباري (١/١٢٤).

(٣) أي: حال الاحتضار. «المؤلف».

(٤) فتح الباري (٨/١٣٨).

(٥) أخرجه مسلم (٩١٦، ٩١٧).

(٦) أخرجه أبو داود (٣١١٦).

فبعضُ الناسِ قد يَقلُقُ على مَيِّتِه إذا لم يسمعه ينطقُ بهذه الكلمة، ولا شكَّ أنَّ مَنْ وُفِّقَ لنطقِها وكانتْ آخِرَ كلامِه أنَّها من المَبرراتِ.

على أيِّ حالٍ؛ قالَ النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ في صفةِ التلقينِ: «يُلَقَّنُهُ برفقٍ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُضْجِرَهُ فِيرَدَّهَا، وإذا قالَهَا مرةً لا يُعيدُها عليه؛ إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ آخَرَ»^(١).

وبعضُهم يقولُ: يُعرِّضُ بها، كأنَّ يَجْهَرُ بها - مثلاً - لِيُسمَعَ المَيِّتَ، أو يقرأَ هذا الحديثَ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، فلا يُلِحُّ: قُلْ كَذَا، قُلْ كَذَا؛ لِأَنَّ المَحْتَضَرَ في حالِ حَرَجَةٍ، فَقَدْ يَتَقَوَّهُ بِكَلِمَةٍ - نَسَأُ اللهُ العَافِيَةَ - ويموتُ عليها.

سؤالٌ: هلْ يقولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ؟

الجوابُ: قالَ النوويُّ: جَمهورُ أَهْلِ العِلْمِ على أَنَّهُ يَكْتَفِي المَلَقُّ بِقَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ^(٢).



«هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُزْفُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ؟»

قَبْلَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَقَرَّبًا تُوفِّيتُ والدَةَ أَحَدِ أَصْهَارِي^(٣)؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهَا وَارْحَمْهَا، وَارْفَعْ دَرَجَتَهَا فِي المَهْدِيْنَ، وَاخْلُفْهَا فِي عَقِبِهَا فِي الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِهَا يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَأَحْسِنَ اللهُ عِزَاءَ ذُرِّيَّتِهَا وَمَنْ أَصِيبَ بِهَا وَسَائِرِ ذَوِيهَا.

وَمِمَّا عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتُهُ: أَنْ يَقُولُوا فِي مِثْلِ هَذِهِ المُنَاسِبَةِ: «اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مَصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا»^(٤).

(١) الأذكار للنووي، ص (٢٥١).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) ألقى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هذه الكلمة في ١٠/٤/١٤٤٠هـ.

(٤) أخرجه مسلم (٩١٨).



قَالَ الْعُلَمَاءُ: «أَجْرُنِي» أَفْصَحُ مِنْ أَجْرُنِي^(١).

سؤال: ما وجه المصيبة عليّ أنا؟ وهي رحمها الله ليست أمّا ولا خالة ولا عمّة أو نحوهم من الأقربين.

الجواب: أنّ وفاتها من المصائب من عدّة أوجه:

أحدها: ما يترتّب على ذلك من حزن أولادها وذويها، والمسلمون كالجسد الواحد، يحزن أحدهم لحزن إخوانه، ويفرح لفرحهم.

وجه آخر: أنّه لا يعلم إلا الله ماذا يفوت المسلمين عموماً - فضلاً عن ذويها - من الخير في دينهم ودنياهم، انظر إلى قول النبي ﷺ فيما رواه البخاري^(٢): «هل تُنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»، وروى أبو داود^(٣) وغيره عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنما تُنصرون وترزقون بضعفائكم»، وروى النسائي^(٤) عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعفائها؛ بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم».

تأمل: نصر ورزق؛ مطلبان عظيمان، وهذا نفع لذويها وقرباتها ولعموم المسلمين.

إذن؛ ماذا يفوت المسلمين ب وفاة فرد من أفرادهم المُسنّين وغيرهم من ضعفائهم؟

أمّا ما يفوت ذويها فهو أبلغ؛ ذلك أنّ غالب أمثال هؤلاء يواظبون على الدعاء لِذُراريهم، وربما لزوجات وأزواج ذرياتهم؛ بصلاح دينهم ودنياهم.

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٩٤).

(٤) أخرجه النسائي (٣١٧٨).

ومن هذا الوجه فأننا بِحُكْمِ أَنِي جَدُّ لِبَعْضِ ذُرِّيَّتِهَا فَلَا شَكَّ أَنَّ النَقْصَ
الَّذِي يَنَالُ ذُرِّيَّتِي يَنَالُنِي .

وَلَوْ تَتَبَعْنَا الْأَوْجُهَ فِي كَوْنِهَا مُصِيبَةً لَوْجَدْنَا أَوْجُهًا كَثِيرَةً .

عَلَى أَيِّ حَالٍ ؛ أَحَبُّتُ التَّنْبِيهَ عَلَى مَا يَفُوتُ الْمُسْلِمِينَ بِوَفَاةِ صَالِحِيهِمْ ،
وَإِنْ كَانُوا مِنْ عَوَامِّ الْأُمَّةِ ، وَلَا تَقْتَصِرُ الْمُصِيبَةُ عَلَى فَقْدِ الْعُلَمَاءِ وَإِنْ كَانَ فَقْدُهُمْ
- بَلَا شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ - أَشَدَّ وَأَبْلَغَ ، وَكَمَا قِيلَ : مَوْتُ عَالِمٍ ثُلْمَةٌ فِي الْإِسْلَامِ .

وَمِنْ هُنَا : فَلْتَجِبْ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ وَأَمْثَالُهَا بِمَا أُرْشَدَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْأَدَابِ ،
وَمِنْهَا الدُّعَاءُ بِمَا تَقَدَّمَ : «اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي ، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا» .



مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَسْتَعْدِمُ جَنًّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ

قَالَ الشَّيْخُ صَالِحُ آلِ الشَّيْخِ - حَفَظَهُ اللَّهُ وَبَارَكَ فِيهِ - جَوَابًا عَلَى سُؤَالٍ فِي
كِتَابِ «التَّمْهِيدِ شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ»^(١) :

سُؤَالٌ : هَلْ يَجُوزُ الْعِلَاجُ عِنْدَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَعَالِجُ بِمُسَاعَدَةِ جَنٍّ مُسْلِمِينَ ؟

أَجَابَ - وَهَذَا كَلَامُهُ بِاخْتِصَارٍ - : ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي آخِرِ
كِتَابِ «النَّبَوَاتِ» : أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا يَسْتَعْدِمُونَ الْجِنَّ إِلَّا بِمَا فَعَلَهُ مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ ؛ بِأَنْ أَمَرَهُمْ وَنَهَاَهُمْ ، يَعْنِي : بِالْأَوْامِرِ وَالنَّوَاهِي الشَّرْعِيَّةِ ، أَمَّا طَلَبُ
خِدْمَتِهِمْ ، وَطَلَبُ إِعَانَتِهِمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ سَجَايَا أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، وَلَا مِنْ أَفْعَالِهِمْ .

قَالَ الشَّيْخُ صَالِحٌ : فَالْمَقَامُ فِيهِ تَفْصِيلٌ :

فَإِذَا كَانَ الْإِسْتَعْدَامُ بِطَلَبٍ مِنَ الْإِنْسِيَّ : فَهَذَا لَا يَجُوزُ ، فَهُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى
الشَّرِكِ ، وَهُوَ نَوْعٌ اسْتِمْتَاعٍ - يَعْنِي قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا
اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ [الْأَنْعَامُ : ١٢٨] الْآيَةُ - .



وإذا كانَ بغيرِ طَلَبِ الْإِنْسِي: فَإِنَّ هَذَا قَدْ يَحْصُلُ؛ لَكِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ خُلُقِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَلَا مِمَّا سَخَّرَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لخاصَّةِ عِبَادِهِ، فَلَا يَسْلَمُ مَنْ هَذَا حَالُهُ مِنْ نَوْعِ خَلَلٍ جَعَلَتِ الْجِنَّ تَكْثِيرُ مَنْ خَدَمْتِهِ وإِخْبَارِهِ بِالْأُمُورِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. فِينبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَيَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَرَدَّةِ الْجِنِّ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُؤَدِّي قَبُولَ خَبَرِهِمْ واعْتِمَادُهُ إِلَى حَصُولِ الْأُنْسِ بِهِمْ، وَقَدْ يَقُودُهُ ذَلِكَ إِلَى التَّوَسُّلِ بِهِمْ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِمْ والْعِيَاذُ بِاللَّهِ. انتهى ملخصاً.



فائدة: أَيُّ النَوَازِلِ يُقْنَتُ لَهَا؟

قَالَ الشَّيْخُ: مُحَمَّدُ الْعِثِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «الْقَوْلِ الْمَفِيدِ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ»^(١):

«إِذَا نَزَلَ بِالْمُسْلِمِينَ نَازِلَةٌ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُدْعَى لَهُمْ حَتَّى تَنْكَشِفَ، وَهَذَا الْقُنُوتُ مَشْرُوعٌ فِي كُلِّ الصَّلَوَاتِ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ^(٢)؛ إِلَّا أَنَّ الْفُقَهَاءَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ اسْتَشْنَوْا الطَّاعُونَ، وَقَالُوا: لَا يُقْنَتُ لَهُ؛ لِعَدَمِ وُجُودِ ذَلِكَ، وَقَدْ وَقَعَ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَقْنَتْ، وَلِأَنَّهُ شَهَادَةٌ؛ فَلَا يَنْبَغِي الدَّعَاءُ بِرَفْعِ سَبَبِ الشَّهَادَةِ.

وظَاهِرُ السُّنَّةِ: أَنَّ الْقُنُوتَ إِنَّمَا يُشْرَعُ فِي النَوَازِلِ الَّتِي تَكُونُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، مِثْلُ: إِيْذَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ.

أَمَّا مَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ: فَإِنَّهُ يُشْرَعُ لَهُ مَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ، مِثْلُ

(١) (١/٣٠٠).

(٢) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٢٧٤٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٤٤٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا مُتَتَابِعًا فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَصَلَاةِ الصُّبْحِ فِي دَبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ، إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ» مِنَ الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ، يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، عَلَى رَعْلٍ وَذَكَوَانَ وَعُصَيَّةً، وَيُؤْمِنُ مَنْ خَلْفَهُ.

الكسوف؛ فيُشْرَعُ لَهُ صَلَاةُ الْكُسُوفِ. والزلازلُ شُرِعَ لَهَا صَلَاةُ الْكُسُوفِ؛ كما فعلَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما، وقالَ: «هذه صَلَاةُ الْآيَاتِ». والجَدْبُ يُشْرَعُ لَهُ الاستِسْقَاءُ، وهكذا.

وما عَلِمْتُ لساعتي هذه أَنَّ الْقنُوتَ شُرِعَ لِأَمْرِ نَزَلَ مِنَ اللَّهِ؛ بَلْ يُدْعَى لَهُ بِالْأَدْعِيَةِ الْوَارِدَةِ الْخَاصَّةِ، انتهى كلامه رحمته.



«مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»

خَرَجَ الترمذِيُّ رحمته ^(١) عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، حَتَّى إِذَا كَانَ بِحَرَّةِ السُّفْيَا فَقَالَ: «اِئْتُونِي بِوَضُوءٍ» فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وَخَلِيلَكَ، وَدَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدَّهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلِي مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ»، قَالَ الترمذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

قَالَ الْمُبَارَكْفُورِيُّ فِي «تَحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ» ^(٢) فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وَخَلِيلَكَ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ»: «لَمْ يَذْكُرِ الْخَلَّةَ لِنَفْسِهِ؛ مَعَ أَنَّهُ خَلِيلٌ أَيْضًا صلى الله عليه وسلم؛ تَوَاضَعًا وَرِعَايَةً لِلْأَدَبِ مَعَ أَبِيهِ». ثُمَّ رَوَى الترمذِيُّ - أَيْضًا - عَنْ عَلِيٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»، قَالَ الترمذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ حَسَنٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ» ^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (٣٩١٤)، والنسائي في الكبرى (٤٢٥٦).

(٢) (٢٨٤/١٠).

(٣) أخرج البخاري (١١٩٦)، ومسلم (١٣٩١)، والترمذي (٣٩١٦) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٣٩١٥) عن علي وأبي هريرة رضي الله عنهما مقرونين.



قَالَ الْمُبَارَكْفُورِيُّ: قَوْلُهُ: «رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»: «أَيَّ كَرُوضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ فِي نَزُولِ الرَّحْمَةِ، وَحَصُولِ السَّعَادَةِ، بِمَا يَحْصُلُ مِنْ مَلَازِمَةِ الذِّكْرِ؛ لَا سِيَّمَا فِي عَهْدِهِ ﷺ، فَيَكُونُ تَشْبِيهًا بِغَيْرِ أَدَاءٍ. أَوْ الْمَعْنَى: أَنَّ الْعِبَادَةَ فِيهَا تُوْدِي إِلَى الْجَنَّةِ مُجَازًا. أَوْ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ: وَأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ رَوْضَةٌ حَقِيقِيَّةٌ؛ بِأَنَّ يَنْتَقِلَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ بَعِيْنُهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى الْجَنَّةِ.

هَذَا مُحْصَلُ مَا أَوَّلَهُ الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَهِيَ عَلَى تَرْتِيْبِهَا هَذَا فِي الْقُوَّةِ»^(١).

يَعْنِي: أَقْوَاهَا الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّهَا كَرُوضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ فِي نَزُولِ الرَّحْمَةِ، وَحَصُولِ السَّعَادَةِ بِمَا يَحْصُلُ مِنْ مَلَازِمَةِ الذِّكْرِ؛ لَا سِيَّمَا فِي عَهْدِهِ ﷺ.



فَوَائِدُ مِنَ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْعَثِيمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعَثِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ «بَلُوغِ الْمَرَامِ»^(٢) فِي فَوَائِدِ حَدِيثٍ: «اسْتَنْزَهُوْا مِنَ الْبَوْلِ»:

«اسْتَنْزَى الْفَقْهَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَسِيرَ الْبَوْلُ مَمَّنْ بِهِ سَلْسٌ دَائِمٌ مَعَ كَمَالِ التَّحَقُّظِ. يَعْنِي: بِشَرِطِ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَحَقَّقَ تَحَقُّظًا كَامِلًا.

وَعَلَّلُوا ذَلِكَ: بِأَنَّ التَّحَقُّظَ مِنْ يَسِيرِهِ وَكَثِيرِهِ شَاقٌّ وَفِيهِ حَرَجٌ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وَهَذَا الَّذِي اسْتَنْزَاهُ الْفَقْهَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَجِيهٌ جَدًّا؛ وَذَلِكَ لِانْتِفَاءِ الْحَرَجِ، وَكَمَا يَقُولُ الْعَامَّةُ: لَا يُحْسُ بِحَرَارَةِ الْجَمْرَةِ إِلَّا مَنْ وَطَّئَهَا، يَعْنِي: لَا يُحْسُ بِالْمَشَقَّةِ الْعَظِيمَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا مَنْ ابْتَلَى بِهِ - أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُ -^(٣).

(١) تحفة الأحوذى (١٠/٢٨٥).

(٢) المسمى: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام.

(٣) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (١/٥٤٣) باختصار.

❖ فائدة أخرى: قال ﷺ:

«الذي عليه جماهير أهل العلم: أن الذي عليه جنابة لا يقرأ القرآن حتى وإن توضأ؛ بخلاف المَكْتَبِ في المسجد، فيجوز للجُنُبِ إذا توضأ»^(١).

❖ فائدة أخرى: قال ﷺ:

عند الوضوء هل يُعفى عن الشيء اليسير من أعضاء الوضوء المفروض غسلها؛ ممّا لم يُصبه الماء فيمن يشقّ عليهم التَّحَرُّزُ من مانع وصول الماء، كأصحاب الدّهانات؟

الجواب: اختار شيخ الإسلام ﷺ أنه يُعفى عن ذلك إذا كان يسيراً، ووافقهُ الفقهاء رحمهم الله في الوَسْخِ الذي يكون في الأظفار - يعني الأظفار الطويلة يكون تحتها وَسْخٌ يمنع وصول الماء -، فهذا معفو عنه عند الفقهاء رحمهم الله؛ لأنّ هذا يشقُّ التَّحَرُّزُ منه.

وما ذهب إليه شيخ الإسلام صحيح، ولكن فيما يشقُّ التَّحَرُّزُ منه، وذلك عند أصحاب الدّهانات، فهؤلاء لا شكّ أنّه يُسمحُ عنهم.

ثمّ قال: ولا شكّ أنّه إذا عجزَ الإنسان عن إزالة ما لصقَ ببدنه - كالبيوت ونحوها - ولم يمكن إزالته إلا بإزالة الجلد - ولا يجب إزالة الجلد -: فهذا لا شكّ يُعفى عنه، ولكن يحرصُ الإنسان على ألا يَقْرَبَهَا، والحمد لله؛ توجد قفازات البلاستيك إذا أردت أن تستعمل مثل هذه المادّة فالبسها وإلا فتحرّز منها^(٢).



(١) المرجع السابق (٤٦٩/١).

(٢) ينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٣٤٠/١).



حَكْمُ مَسِّ المَصْحَفِ للصَّبِيَّانِ

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعَثِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي فَوَائِدِ حَدِيثٍ: «لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ»:

مَنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ: «أَنَّ الْمَصْحَفَ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا طَاهِرٌ؛ سِوَاهُ كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، فَالْصَّغِيرُ الَّذِي بَلَغَ سِنَّ التَّمْيِيزِ لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا إِذَا تَطَهَّرَ، وَهَذَا هُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّهُ يُرَخَّصُ لِلصَّغَارِ فِي مَسِّهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، فَإِنَّ الصَّغَارَ يُعْطَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ؛ إِمَّا بِاللَّوْحِ، وَإِمَّا بِأَوْرَاقٍ خَاصَةٍ، كَأَجْزَاءِ مِثْلِ: جُزْءِ (عَمَّ)، أَوْ جُزْءِ (تَبَارَكَ)، وَيَشُقُّ أَنْ نُلْزِمَهُم بِالْوُضُوءِ. وَلَا شَكَّ أَنَّهُ إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَشَقَّةٌ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي إِلْزَامُهُمْ؛ لِأَنَّ مَنْ دُونَ الْبُلُوغِ قَدْ رُفِعَ عَنْهُ الْقَلَمُ؛ لَكِنْ يُؤْمَرُونَ وَلَا يُلْزَمُونَ»^(١)، انْتَهَى.



مَتَى يَكُونُ النَّوْمُ نَاقِضًا لِلْوُضُوءِ؟

سؤال: مَا النَّوْمُ الَّذِي يَنْقُضُ الْوُضُوءَ؟

الجواب: قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعَثِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ «بُلُوغِ الْمَرَامِ»، الْمُسَمَّى: «فَتْحُ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٢):

الْقَاعِدَةُ: أَنَّهُ إِذَا نَامَ نَوْمًا لَوْ أَحْدَثَ لَمْ يُحَسَّ بِنَفْسِهِ: فَعَلِيهِ الْوُضُوءُ، وَإِلَّا فَلَا وَضُوءَ عَلَيْهِ.

فَإِذَا كَانَ لَوْ أَحْدَثَ لِأَحْسَ بِنَفْسِهِ فَإِنَّ نَوْمَهُ لَا يَنْتَقِضُ؛ حَتَّى لَوْ تَرَأَى لَهُ حُلْمٌ، أَوْ كَانَ مُضْطَجِعًا، أَوْ مَتَكِّئًا، أَوْ سَاجِدًا، أَوْ رَاكِعًا؛ مَا دَامَ يَقُولُ: لَوْ

(١) فَتْحُ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِشَرْحِ بُلُوغِ الْمَرَامِ (٤٦٣/١) بَاخْتِصَار.

(٢) يَنْظُرُ: (٤٠١/١).

أَنَّهُ أَحْدَثَ لِأَحْسَ بِنَفْسِهِ، فَالنُّومُ لَا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ حَتَّى لَوْ بَقِيَ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ يَنْعَسُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أَحْدَثَ لِأَحْسَ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ بَقَاءُ الْوُضُوءِ فَلَا يَنْقُضُهُ بِالشَّكِّ.



هَلْ تَمَسُّحُ الْمَرْأَةِ عَلَى طَبَقَةِ الْحِنَاءِ عِنْدَ الْوُضُوءِ؟

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعِثِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ «بُلُوغِ الْمَرَامِ»^(١):

«النِّسَاءُ يَسْتَعْمِلْنَ الْحِنَاءَ عَلَى الرُّؤُوسِ، وَالْحِنَاءُ يَتَلَبَّدُ عَلَى الرَّأْسِ وَيَمْنَعُ وَصُولَ الْمَاءِ؛ فَهَلْ يُعْفَى عَنْ ذَلِكَ كَمَا عُفِيَ عَنْ مَسْحِ رَأْسِ الرَّجُلِ بِالْعِمَامَةِ؟
الْجَوَابُ: يُعْفَى عَنْ ذَلِكَ»^(٢)، إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ^(٣).



مَنْ أَحْكَامِ الْوَسَاوِسِ وَالشُّكُوكِ

خَرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ^(٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «كُنَّا نَحْزُرُ قِيَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الظَّهْرِ وَالْعَصْرِ، فَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الظَّهْرِ قَدَرُ ﴿الْمَ ۝١﴾ تَزِيلُ السَّجْدَةِ»، الْحَدِيثُ.

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعِثِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ: الْبِنَاءُ عَلَى غَلْبَةِ الظَّنِّ. إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَصْلٌ يُبْنَى عَلَيْهِ فَلَا بُدَّ مِنَ الْيَقِينِ، وَإِلَّا فَإِنَّ مِنَ التَّيْسِيرِ عَلَى الْعِبَادِ أَنَّهُ يُكْتَفَى بِغَلْبَةِ الظَّنِّ.

(١) الْمُسَمَّى: فَتْحُ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِشَرْحِ بُلُوغِ الْمَرَامِ.

(٢) فَتْحُ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِشَرْحِ بُلُوغِ الْمَرَامِ (١/٣٣٩) بِاخْتِصَارِ.

(٣) وَتَمَّتْ كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا مِنَ السَّنَةِ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ فِي إِحْرَامِهِ قَدْ لَبَّدَ رَأْسَهُ بِالْعَسَلِ وَالصَّمْغِ، وَهَذَا يَمْنَعُ مِنْ مَبَاشَرَةِ الشَّعْرِ، فَيَكُونُ هَذَا لَهُ دَلِيلٌ مِنَ السَّنَةِ غَيْرِ الْقِيَاسِ عَلَى الْعِمَامَةِ وَالْخُمَارِ».

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٤٥٢).



مثال ذلك: إنسان يطوف فشك وهو يطوف؛ هل طاف ستة أشواط أو سبعة - وغلب على ظنه أنها سبعة -؟ فيكتفي بغلبة الظن؛ لأنه ليس هناك شيء يعارض، وبيني على ظنه، ولا يلتفت للشك، ولا يعود نفسه الشك^(١)، انتهى كلام الشيخ رحمه الله.

والحمد لله على رحمته وتيسيره وحسن شرعه وحكمه.
ولعل مما يلتحق بهذا: أن من كثر منه الشك في الصلاة فإنه لا يلتفت إليه ولا يسجد سجود السهو.

سؤال: إذا تشكك بين كذا وكذا فماذا يختار منهما؟

مثال ذلك: رجل كثير التشكك، يصلي رباعية، ولما رفع رأسه من السجدة الثانية - من إحدى الركعات - تشكك؛ هل سيقوم للركعة الثالثة أو الرابعة؟ فهنا لا يلتفت للشك؛ لكن ماذا يجعلها؟ الأقل أو الأكثر؟
الجواب: الذي أذكر عن الشيخ محمد العثيمين رحمه الله أنه يعمل بما كان يخطر على قلبه.

وهذا شيء معروف، هو أن الإنسان - مثلاً - وهو ساجد كان في نفسه أنه سيقوم إلى الركعة الفلانية؛ لكن لما رفع رأسه داخله شك يخالف ذلك، فحينئذ يعمل بأول ما تبادر إلى نفسه؛ سواء كان الأقل أو الأكثر، ويكمل صلاته، ولا يسجد للسهو - هذا الذي يكثر من الشكوك -، وإلا لتمادى به الأمر ومن ثم صعب العلاج.

وهكذا من تشكك في الطهارة بعد فراغه منها، فإنه لا يلتفت إلى الشك، مثل من شك بعد أن توضأ وفرغ؛ هل مسح رأسه؟ أو هل مسح جواربيه؟ وكذلك من فرغ من غسل واجب؛ هل غسل كذا؟ أو تجاوزته؟ فإنه لا يلتفت لهذا الشك، فالشكوك في العبادة بعد الفراغ منها لا يلتفت إليها.

(١) ينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٣/ ١٩٠).

قال الشيخ محمد العثيمين رحمته الله في «منظومة أصول الفقه وقواعده»^(١) :
والشكُّ بعدَ الفعلِ لا يُؤثِّرُ وهكذا إذا الشكوكُ تَكثُرُ
أو تَكُ وَهَمًا مثلَ وسواسٍ فدَعُ لكلِّ وسواسٍ يَجِي بِهِ لُكْعُ
وهذا من التخفيفِ - واللهِ الحمدُ - الذي يَحْسُنُ بَلْ يَتَأَكَّدُ أَنْ يُتَعَاهَدَ بِهِ مَنْ
بُلُوا بالوسواسِ ؛ لعلَّهُ يكونُ سببًا في معافاتهم منها .

ولهذا كَانَ مِنْ محاسنِ الفتوى : أَنْ يُتَعَرَّفَ على حالِ المستفتي ؛ هلْ هُوَ
مِمَّنْ تَكثُرُ مِنْهُ الشكوكُ ؟ فحينئذٍ لا يُفتَى كما يُفتَى المُعافَى ، فِيرَاعَى هذا
الْأَمْرُ ، وَتُرَاعَى هذه الاستثناءاتُ والتخفيفاتُ في حَقِّهِ وَأَمثَالِهِ .



«مَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ»

عَلَّقَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَسَامُ رحمته الله في كتابِ «تيسيرِ العلامِ
شرحِ عمدةِ الأحكامِ»^(٢) ، على حديثِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ : «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لغيرِ أبيه وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ ، وَمَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ
لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا ، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٣) .

قالَ الشَّيْخُ رحمته الله : معناه «أَنْ يَدَّعِيَ وَهُوَ عَالِمٌ مَا لَيْسَ لَهُ ؛ مِنْ نَسَبٍ ، أَوْ
مَالٍ ، أَوْ حَقٍّ مِنَ الْحَقُوقِ ، أَوْ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ ، أَوْ يَزْعُمُ صِفَةً فِيهِ يَسْتَغْلِيهَا
وَيَصْرِفُ بِهَا وَجوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، أَوْ يَدَّعِيَ عِلْمًا بِشَرِيعٍ أَوْ طَبِّ أَوْ غَيْرِهِمَا ؛
لِيَكْسِبَ مِنْ وراءِ دَعْوَاهُ ، أَوْ يَخَاصِمُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ عِنْدَ الْحُكَّامِ وَهُوَ
كَاذِبٌ ، فَهَذَا عَذَابُهُ عَظِيمٌ ، فَقَدْ تَبَرَّأَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَالَ : «فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ
النَّارِ» ؛ فَكَيْفَ إِذَا أَيْدَ دَعَاوِيَهُ الْبَاطِلَةَ بِالْإِيمَانِ الْكَاذِبَةِ ، انْتَهَى كَلَامُ الشَّيْخِ .

(١) ص (١٥٣) .

(٢) ص (٦٢٣) بتصرف يسير .

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٠٨) ، ومسلم (١١٢) .



ونسأل الله العافية، هذا الوعيدُ الشديدُ والتحذيرُ من النبي الرؤوفِ الرحيمِ ﷺ جديرٌ بأنَّ يحذره المسلمُ ويحذر، والصورُ الواقعيةُ له قد يصعبُ حصرُها.

فمن ذلك: من ادعى له مؤهلاتٍ أو شهاداتٍ أو خبراتٍ أو ما أشبه ذلك، ليؤلَّى منصبًا أو عملًا من الأعمال، ويقدم بهذا على مَنْ هو أكفأ منه.

ومن ذلك: من ادعى أنَّه قامَ بعملٍ إضافيٍّ خارجِ الدوامِ، وتواطأ هوَ ومسؤولُ الدائرة، ويبقونَ شهورًا وهم على هذا الأمرِ.

ومن الأمثلة: ورثه الميت إذا دبروا شهادةً بأنَّ ميتهم توفي في خارجِ البلادِ وهو في مهمته الرسمية حتى يُصرفَ له كاملُ الراتبِ.

وما أشبه ذلك من الصورِ الكثيرة التي جامعها: فتنة الدنيا، والتكسب وراء هذه الأشياءِ مالا أو واجهةً أو مخطوبةً أو منصبًا أو ما أشبه ذلك.



من العباداتِ القلبية: الخوفُ

كتابُ «القولِ السديدِ في مقاصدِ كتابِ التوحيدِ» للشيخ السعديّ رحمه الله كتابٌ قيمٌ موجزٌ فيه تعليقاتٌ على أبوابِ «كتابِ التوحيدِ»، وليست شروحاتٍ، وإنما يذكرُ مقاصدَ كلِّ بابٍ؛ أي: ما هدفُ المصنفِ رحمه الله من إيرادِ هذا الباب؟ هدفه كذا وكذا، فيتكلَّم في هذا الشأنِ بعباراتٍ علميةٍ مختصرةٍ مفيدةٍ.

وعندَ بابِ الخوفِ؛ بابِ قولِ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ذَكَرَ مسألةً مهمةً: متى يكونُ الخوفُ من الله عبادةً وقربةً، والخوفُ من غيره شركًا أكبر؟

وهذه الآية جاءت بعد قولِ الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَد جَبَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيلُ﴾ (٧٣) فأنقلبوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ

اللَّهُ وَفَضِّلَ لَمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

المخوَّفُ: الشيطانُ، والمخوَّفُ: المؤمنون، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ﴾؛ أي: يخوِّفُكم بأوليائه^(١)، بأنهم سيفعلون كذا وكذا، وعندهم القدراتُ الفلانية؛ ليخافوهم وليتركوا بعض ما أوجب الله، ويفعلوا ما حرم الله، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: هذا الباب عقده المصنف رحمه الله لوجوب تعلق الخوف والخشية بالله وحده، والنهي عن تعلقه بالمخلوقين، وبيان أنه لا يتم التوحيد إلا بذلك.

ولابد في هذا الموضع من تفصيل يتضح به الأمر ويزول الاشتباه.

اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة، فإذا كان الخوف والخشية خوف تالله وتعبّد وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه، وكان يترتب عليه طاعة باطنة وخوف سرّي يمنع عن معصية من يخافه: كان حينئذ تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله^(٢). انتهى.

مثال على ذلك: حدثني أحد الأشخاص أن في قريتهم قبراً لشخص يزعمون أنه من الأولياء، يقول: إذا سرق سارق فيهم - مثلاً -، وأرادوا أن يحققوا معه ويظهر الحق، أتوا به عند هذا القبر، وقالوا: احلف إنك ما سرق، فيظهر الصادق من الكاذب، الكاذب يمتنع ويكف، ويخاف من صاحب القبر أن ينتقم منه، أما لو قالوا له: احلف بالله إنك ما سرق؛ فإنه بسهولة يحلف أيماناً أنه ما سرق.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧٢/٢)، تفسير الجلالين ص (٩١).

(٢) ينظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (١١٥ - ١١٦).



هذا خوف سرّي، خاف من هذا وهو ميت في قبره، هذا شرك أكبر، نسأل الله العافية.

مثال آخر: يقول الشيخ محمد أحمد باشميل رَحِمَهُ اللهُ - من علماء حضرموت -: كنت في شبابي في سفينة في البحر، فهاج البحر، فكان يرفع سفينتنا حتى كأننا على قمة جبل، ثم يهوي بها حتى نحس كأننا وصلنا قعر البحر، فبينما هم على هذا الحال: هتَفَ الركاب: يا أحمد بن عيسى - عندهم شخص يغلون فيه، اسمه أحمد بن عيسى -، هتفوا يستغيثون به - نسأل الله العافية والسلامة -، يقول: فزجرتهم، وقلت: اتقوا الله! أنتم في هذا الموقف الجؤوا إلى الله، قالوا: اسكت اسكت لا يغرقنا، نسأل الله العافية.

إذن؛ هذا خوف سرّي، ففي حال غيبته عنهم خافوا أنه يضرهم أو ما أشبه ذلك.

ثم ذكر الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ الخوف الطبيعي: كأن يخشى من عدو، أو ثعبان، أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري، فهذا النوع ليس عبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين، ولا ينافي الإيمان، وهذا إذا كان الخوف محققاً قد انعقدت أسبابه ليس مذموماً.

لكن إذا كان الخوف وهمياً، كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً، أو سببه ضعيف؛ فهذا مذموم، ويدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعود النبي ﷺ من الجبن، فهو من الأخلاق الرذيلة، ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع، حتى إن خواص المؤمنين وأقوياءهم تنقلب المخاوف في حقهم أمناً وطمأنينة - نسأل الله من فضله -؛ لقوة إيمانهم، وشجاعتهم الشجاعة القلبية، وكمال توكلهم^(١).



(١) ينظر: المرجع السابق، ص (١١٦ - ١١٧).

سَوْقُ الْهَدْيِ

الْهَدْيُ هُوَ: بِهِمَةُ الْأَنْعَامِ الَّتِي تُهْدَى إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ تَعْظِيمًا لَهُ. وَسَوْقُ الْهَدْيِ سَنَةٌ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعُلُهَا، فَقَدْ أَهْدَى لِلْبَيْتِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِئَةً بَدْنَةً^(١)، وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ يَبْعُثُ بِالْهَدْيِ أحيانًا وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ^(٢).

وهذا - كما تقدم - مِنْ تَعْظِيمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ - يَقُولُ: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ سَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وَشَأْنُ هَذِهِ الْعِبَادَةِ كَشَأْنِ كَثِيرٍ مِنَ الْقُرْبِ وَالطَّاعَاتِ الَّتِي تيسِرُ لَنَا مَالَمَ تيسِرُ لِمَنْ قَبْلَنَا.

هَذَا وَإِنْ كُنَّا نَقُولُ: إِنَّ هَذَا زَمَنُ فِتْنٍ وَصَوَارِفَ... إلخ، فَهَذَا وَرَدَتْ فِيهِ السُّنَّةُ، وَهَذَا حَقٌّ؛ لَكِنْ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ فَيَضُّ اللَّهُ مِنْ أَسْبَابِ الطَّاعَاتِ وَتَسْهِيلِهَا مَالَمَ يَتَأَتَّ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ قَبْلَنَا! أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ جَدًّا جَدًّا؛ وَاللَّهُ يَصْعَبُ حَصْرُهَا، هَذَا إِحْدَاهَا.

فَمِنْ صَوَرِ ذَلِكَ: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا يَسَرَ اللَّهُ لَهُ وَتَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ، فَإِنَّهُ يَشْتَرِي خُرُوفًا وَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ قَبْلَ الْمِيقَاتِ أَوْ عِنْدَ الْمِيقَاتِ، وَيُفْضَلُ أَنْ تَتَعَرَّفَ عَلَى أَسْمَاءِ بَاعَةِ أَغْنَامٍ فِي الطَّائِفِ، فِيهِ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ - نَخْبَةٌ مِنْهُمْ يُذَكِّرُونَ بِالْخَيْرِ وَالْأَمَانَةِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: إِنِّي أُرِيدُ كَذَا وَكَذَا، (صَغِيرٌ/ كَبِيرٌ، ضَائِلٌ/ مُعَزٌّ)، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ، وَتَتَوَاعَدُونَ فِي الْمِيقَاتِ، أَوْ فِي أَيِّ مَكَانٍ، فَتَأْخُذُهَا وَتُرْكِبُهَا مَعَكُمْ فِي السَّيَارَةِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٧١٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٦٩٨)، وَمُسْلِمٌ (١٣٢١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُهْدِي مِنَ الْمَدِينَةِ، فَأَقْبَلُ فَلَا يَدُ هَدِيَةٍ، ثُمَّ لَا يَجْتَنِبُ شَيْئًا مِمَّا يَجْتَنِبُهُ الْمُحْرِمُ».



وتكون أيضًا قد رَتَّبَتْ مع أحدٍ في مكة، تعرفه أو يُزَكِّي لك بأمانته، فتدفعها إليه ليدبَحها ويسلخها ويوزعها على من يعرف من المحتاجين.

وأكد عليه أنه يستفيد منها كُلُّها، ما يرمى منها شيء؛ الرأسُ يسْلَخُ، والأحشاء - الكرشُ والمصراَنُ - كذلك تُنظَّفُ، هذي - والله الحمد - أشياء طيبة، ويُعطى حَقُّه، وإن كان له حاجة، فخيرُ الناس أحسنهم قضاءً.

وتكون بذلك - والله الحمد - أقمَت هذه السنة العظيمة.



السَّمَرُ بعدَ العِشاءِ

روى البخاري ومسلم وأصحابُ السُّنَنِ والإمامُ أحمدُ في مسنده^(١) عن أبي بَرزَةَ الأسلمي رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا - يعني العِشاءَ -، والحديثَ بعدها».

وروى ابنُ ماجه^(٢) عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: «جَدَبَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّمَرَ بعدَ العِشاءِ».

ومعنى «جَدَبَ» أي: زَجَرْنَا ونَهَانَا عَنْهُ^(٣).

والذي يُذَكِّرُ طَبِيبًا والمشهورُ بينَ الناسِ والمُجَرَّبُ: أَنَّ نَوْمَ أَوَّلِ اللَّيْلِ أَنْفَعُ لِلْبَدَنِ وَأَكْثَرُ رَاحَةً مِنَ النَّوْمِ آخِرُهُ.

وأذكرُ أَنَّ النَّاسَ فِي أَوَائِلِ الثَّمَانِيَّاتِ الهجرية - قبلَ دخولِ التلفازِ - كَانَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ سَهَرِهِ قَالَ: سَهَرْتُ حَتَّى السَّاعَةِ

(١) أخرجه البخاري (٥٤٧)، ومسلم (٦٤٧)، وأبو داود (٣٩٨)، والترمذي (١٦٨)، والنسائي (٤٩٥)، وابن ماجه (٧٠١)، وأحمد (١٩٧٨١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٧٠٣).

(٣) ينظر: سنن ابن ماجه عقب الحديث السابق.

الرابعة؛ يعني: بالتقويم الغروبي، أي: بعد غروب الشمس بأربع ساعات، يعني بعد صلاة العشاء بساعتين.

ومن العبارات التي كان أهلنا - رَحِمَ اللهُ مَيَّتَهُمْ وحفظَ حَيَّهِمْ ووفقه - يقولونها لأولادهم إذا سهرُوا: رَيِّحُوا ملائكتكم.

والطريف أن الإمام مالكا رَوَى أثرًا في هذا المعنى في كتابه «الموطأ»^(١)، قال رَحِمَهُ اللهُ: بلغني أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت ترسل إلى بعض أهلها بعد العتمّة، فتقول: ألا تُريحون الكتاب؟.

وقد استثنى أهل العلم حالات يُرَخَّصُ فيها السهرُ، وذلك عند الحاجة أو عند المصلحة الرَّاجحة، ومن ذلك: السهرُ في مصالح المسلمين، وحديث الرجل مع امرأته.

فقد روى الإمام أحمدُ والترمذيُّ وحسنه وصححه الألباني في صحيح الترمذي^(٢) عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كان رسولُ الله ﷺ يَسْمُرُ عند أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الليلةَ في أمرٍ من أمورِ المسلمين وأنا معه».

وروى مسلم^(٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: رَقَدْتُ في بيتِ ميمونة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - خالتيه - ليلةَ كان رسولُ الله ﷺ عندها؛ لأنظرَ كيف صلاةُ رسولِ الله بالليل، فتحدثَ النبيُّ مع أهله ساعةً، ثُمَّ رَقَدَ.



(١) أخرجه مالك في الموطأ (٩٨٧/٢).

(٢) جامع الترمذي (١٦٩)، وأخرجه أحمد (١٧٨)، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (٢٧٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٥٢)، ومسلم (٧٦٣).



قِصَّةُ صَاحِبِ السَّوَاكِ

روى الشيخان^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ لَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي؛ لِأَمْرَتِهِمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ».

وروى الإمام مالك وأحمد والنسائي^(٢) عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ لَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي؛ لِأَمْرَتِهِمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ وَضُوءٍ».

وعنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «السَّوَاكُ مَظْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»^(٣).

وفي الصحيح^(٤) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسَّوَاكِ.

وفي الصحيح أيضًا^(٥): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسَّوَاكِ. يعني: يَدْلُكُ أَسْنَانَهُ وَيُنْقِيهَا، وَأَصْلُ الشَّوَصِ: الْغَسْلُ^(٦).

وروى البخاري عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَكْثَرُتُ عَلَيْكُمْ فِي السَّوَاكِ»^(٧).

قَالَ الصَّنْعَانِيُّ رحمته الله فِي «سَبِيلِ السَّلَامِ»^(٨): «وَرَدَ فِي أَحَادِيثَ أَنَّ السَّوَاكَ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَنَّهُ مِنْ خِصَالِ الْفِطْرَةِ، وَأَنَّهُ مِنَ الطَّهَارَاتِ، وَأَنَّ فَضْلَ الصَّلَاةِ الَّتِي يُسْتَاكُ لَهَا سَبْعُونَ ضِعْفًا، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ خَزِيمَةَ وَالْحَاكِمُ وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

قَالَ فِي «الْبَدْرِ الْمُنِيرِ»: قَدْ ذُكِرَ فِي السَّوَاكِ زِيَادَةٌ عَلَى مِئَةِ حَدِيثٍ، فَوَا

(١) أخرجه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).

(٢) أخرجه أحمد (٩٩٢٨)، ومالك (٦٦/١)، والنسائي في الكبرى (٣٠٢١)، وعلقه البخاري (٣١/٣).

(٣) أخرجه النسائي (٥)، وأحمد (٢٤٢٠٣)، وعلقه البخاري (٣١/٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٣).

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٥)، ومسلم (٢٥٥).

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث (٥٠٩/٢).

(٧) أخرجه البخاري (٨٨٨).

(٨) (٥٦/١ - ٥٧).

عَجَبًا لِسُنَّةٍ تَأْتِي فِيهَا الْأَحَادِيثُ الْكَثِيْرَةُ، ثُمَّ يُهْمِلُهَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ...، فَهَذِهِ حَيِّةٌ عَظِيْمَةٌ.

وَلَعَلَّ مَنْ أَعْجَبَ مَا وَرَدَ فِي شَأْنِ السَّوَاكِ: مَا جَاءَ فِي الصَّحِيْحِ^(١) عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَخَاهَا - دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِهَا؛ يَعْنِي: وَهُوَ ﷺ فِي الْإِحْتِضَارِ، وَفِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ سَوَاكٌ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ ﷺ يَحُبُّ السَّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخِذْهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: أَلَيْتَهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيْتَهُ لَهُ، فَاسْتَنْنَ بِهِ، فَقَوْلُ عَائِشَةَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنْنَ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا عَدَا أَنْ فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ يَدَهُ أَوْ أَصْبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «فِي الرِّفْقِ الْأَعْلَى»، قَالَهَا ثَلَاثًا. وَفِي رَوَايَةٍ: فَكَانَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «اللَّهُمَّ الرِّفْقَ الْأَعْلَى».

و«الرِّفْقُ»: بِمَعْنَى الرُّفْقَةِ، أَي: الرُّفْقَةُ الْأَعْلَى، وَهُمْ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فَانْظُرْ هَذَا الْحِرْصَ الْعَظِيمَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى السَّوَاكِ، حَتَّى وَهُوَ فِي السَّاعَاتِ وَاللَّحْظَاتِ الْآخِرَةِ مِنْ حَيَاتِهِ ﷺ.

وَقَدْ حَدَّثَنِي أَحَدُ الْأَصْحَابِ - وَهُوَ فِي الْأَرْبَعِينَاتِ مِنَ الْعَمْرِ - أَنَّهُ لَمْ يَسْتَخْدِمِ الْمَعْجُونُ، وَلَا فُرْشَةَ الْأَسْنَانِ مِنْذُ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً، كَمَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى عِيَادَةِ الْأَسْنَانِ، أَوْ طَبِيبِ الْأَسْنَانِ؛ اِكْتِفَاءً بِالسَّوَاكِ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا مَرَاجِعَاتٍ يَسِيرَةً، وَكَانَ الْأَطْبَاءُ يَنْبَهَرُونَ بِحَالِ أَسْنَانِهِ، وَدَرَجَةِ نَقَائِهَا، وَسَلَامَتِهَا مِنَ الْجِيرِ، وَيَقُولُ: حَتَّى إِنِّي تَرَكْتُ الذَّهَابَ إِلَيْهِمْ مُطْلَقًا؛ تَفَادِيًا لِإِحْرَاجَاتِهِمْ، حَيْثُ يَطْلُبُونَ مِنْهُ كُلَّمَا زَارَهُمُ التَّقَاطُ صُورَةً لِأَسْنَانِهِ، بِاعْتِبَارِهَا ظَاهِرَةً فَرِيدَةً فِي

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٣٨، ٤٤٦٣).

نظافتها ونقاؤها من الجير، هذا مع طيب رائحة فيه بشكلٍ مُتميّز، ويقول: لاحظتُ أنَّ من فوائد السواك أنَّه مُنبّه. وهو يكثرُ من استعمالِ السواك في جميع ساعاتِ اليوم، ويحرصُ كثيرًا على قطعه في اليوم أحيانًا مرتين.

وعلى أيِّ حال؛ فرسولُ الله ﷺ لا ينطقُ عن الهوى، إنَّ هوَ إلا وحيُّ يُوحى، ويكفي في الترغيبِ فيه ما تقدّم من النصوص، ومن ذلك: حديثُ «السواكُ مظهرَةٌ للفم، مرَضاةٌ للربِّ».

ومن الدعواتِ التي كانَ الشيخُ محمدُ ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ يكرِّرها في خطبِ الجمعة: اللهم ارزقنا حُبَّكَ، وَحُبَّ نَبِيِّكَ ﷺ، وارزقنا اتباعَ سنَّتِه ظاهراً وباطناً.



أَيْنَ يَنْصِبُ الشَّيْطَانُ رايَتَهُ؟

روى الإمامُ مسلمٌ رَحِمَهُ في صحيحه^(١) عن سلمانَ الفارسيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «لا تكونَنَّ - إن استطعتَ - أولَ من يدخلُ السوقَ، ولا آخِرَ من يخرجُ منها، فإنها معركةُ الشَّيْطَانِ، وبها يَنْصِبُ رايَتَهُ».

وهذا الحديثُ رواهُ البرقانيُّ في صحيحه^(٢) عن سلمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا تكن أولَ من يدخلُ السوقَ، ولا آخِرَ من يخرجُ منها، فيها باضَ الشَّيْطَانُ وَفَرَخَ».

وفي هذا الموضوع قولُ النبيِّ ﷺ فيما رواهُ الإمامُ مسلمٌ في صحيحه^(٣) عن النبيِّ ﷺ: «أحِبُّ البلادِ إلى الله مساجدُها، وأبغضُ البلادِ إلى الله أسواقُها».

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦/٢٤٨/٦١١٨)، والبرقاني في الصحيح، كما في الجمع بين الصحيحين للحميدي (٢٨٤٠).

(٣) أخرجه مسلم (٦٧١).

قَالَ النُّوْيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ السَّابِقِ: «لَا تَكُونَنَّ - إِنْ اسْتَطَعْتَ - أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصَبُ رَايَتُهُ»:

الْمَعْرَكَةُ مَوْضِعُ الْقِتَالِ، شَبَّ السُّوقَ وَفَعَلَ الشَّيْطَانُ بِأَهْلِهَا، وَنَيْلُهُ مِنْهُمْ بِالْمَعْرَكَةِ؛ لِكَثَرَةِ مَا يَقَعُ فِي الْأَسْوَاقِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَاطِلِ؛ كَالْغَشِّ، وَالْخِدَاعِ، وَالْإِيمَانِ الْكَاذِبَةِ، وَالْعُقُودِ الْفَاسِدَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ^(١).

وَقَوْلُهُ: «وَبِهَا يَنْصَبُ رَايَتُهُ»، قَالَ النُّوْيُّ رَحِمَهُ اللهُ: فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى ثُبُوتِهِ هُنَاكَ، وَاجْتِمَاعِ أَعْوَانِهِ إِلَيْهِ؛ لِلتَّحْرِيشِ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْمَفَاسِدِ الْمَذْكُورَةِ، فَهِيَ مَوْضِعُهُ وَمَوْضِعُ أَعْوَانِهِ^(٢).

وَلَعَلَّ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُثَقِّلُ بِهَا سُرُورُ الْأَسْوَاقِ مَا يَلِي:

الْأَوَّلُ: قَصْرُ الذَّهَابِ إِلَيْهَا عَلَى الْحَاجَةِ، فَلَا يَكُونُ الذَّهَابُ بِقَصْدِ تَوْسِعَةِ الصَّدْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

الثَّانِي: أَنْ يُخْتَارَ مِنَ الْأَسْوَاقِ مَا هُوَ أَخْفُ زَحْمَةً وَأَقْلُ شَرًّا.

الثَّلَاثُ: تَحَرِّيِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَقِلُّ فِيهَا الزَّبَائِنُ.

الرَّابِعُ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

الخَامِسُ: شِرَاءُ الْحَاجَاتِ الْمَوْسِمِيَّةِ قَبْلَ زَمَنِهَا بِوَقْتٍ كَافٍ؛ كَأَغْرَاضِ الْمَدْرَسَةِ، وَمَلَابِسِ الْعِيدِ، وَصَدَقَةِ الْفِطْرِ.



(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٧/١٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق.



«فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ»

خَرَجَ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ - لَمَّا مَرُّوا بِدِيَارِ الْحِجْرِ -:
«لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ
فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ؛ أَنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ».

قَالَ فِي «إِرْشَادِ السَّارِي»^(٢): قَوْلُهُ: «أَنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ» «لَأَنَّ
مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَبْكُ اعْتِبَارًا بِأَحْوَالِهِمْ فَقَدْ شَابَهُمْ فِي الْإِهْمَالِ، وَدَلَّ
عَلَى فَسَادَةِ قَلْبِهِ».



حُبُّ الرَّشَادِ

ذَكَرَ ابْنُ الْقَيْمِ ﷺ فِي كِتَابِهِ «زَادِ الْمَعَادِ»^(٣) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَاذَا
فِي الْأَمْرِينِ مِنَ الشِّفَاءِ؟ الصَّبْرُ وَالثَّقَاءُ»، «وَالثَّقَاءُ» هُوَ: حُبُّ الرَّشَادِ.

ثُمَّ ذَكَرَ ﷺ مِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ: «يُلَيِّنُ الْبَطْنَ، وَيَخْرِجُ الدُّودَ، وَيُمْسِكُ الشَّعْرَ
الْمَتَساقِطَ، وَيُسَهِّى الطَّعَامَ، وَيَنْفَعُ الرُّبَّوَ وَعُسَرَ التَّنَفُّسِ، وَيَجْلُو مَا فِي الصَّدْرِ
وَالرَّئَةِ مِنَ الْبَلْغَمِ اللَّزِجِ، وَإِنْ شَرِبَ مِنْهُ بَعْدَ سَحْقِهِ وَزَنَ خَمْسَةَ دِرَاهِمَ بِالمَاءِ
الْحَارِّ: أَسْهَلَ الطَّبِيعَةَ - يَعْنِي أَنَّهُ مُلَيِّنٌ -، وَحَلَّلَ الرِّيَّاحَ».



جِهَادُ الْمَرْأَةِ

رَوَى الْإِمَامُ الْبَخَارِيُّ^(٤) عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنْتُ
النَّبِيَّ ﷺ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: «جِهَادُكُنَّ الْحُجُّ».

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠٢)، ومسلم (٢٩٨٠).

(٢) (١٩٣/٧ - ١٩٤).

(٣) (٢٧٥/٤ - ٢٧٦) باختصار.

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٧٥).

وعنها رضي الله عنه قالت: سأله نساؤه عن الجهاد، فقال: «نعم الجهادُ الحجُّ»^(١).
وعنها أيضًا رضي الله عنه أنها قالت: يا رسولَ الله، نرى الجهادَ أفضلَ العملِ،
أفلا نجاهدُ؟ قال: «لا، لكنَّ أفضلُ جهادٍ، حجٌّ مبرورٌ»^(٢).

وعنها أيضًا رضي الله عنه قالت: يا رسولَ الله ألا نغزو، أو نجاهدُ معكم،
فقال: «لكنَّ أحسنَ الجهادِ وأجملُه: الحجُّ المبرورُ»، فقالت: فلا أدعُ الحجَّ
بعدَ إذ سمعتُ هذا من رسولِ الله ﷺ^(٣).

وفي الحديث: أن عمرَ رضي الله عنه أذنَ لأزواجِ النبي ﷺ في آخرِ حجةٍ حجَّها،
فبعثَ مَعَهُنَّ عثمانَ بنَ عفانَ، وعبدَ الرحمنَ بنَ عوفٍ رضي الله عنه، وكانَ من قَبْلُ
يمنعُهُنَّ. رواه البخاريُّ^(٤).

قال ابنُ حجرٍ رحمته الله تعليقًا على ما تقدَّم: قوله «لكنَّ أفضلُ الجهادِ»؛ «اختلفَ
في ضبطِ: «لكن»، فالأكثرُ بِضَمِّ الكافِ، خطابٌ للنسوةِ، قال القاسميُّ: وهو
الذي تميلُ إليه نفسِي. وفي روايةِ الحَمَوِيِّ: «لكنَّ»، والأوَّلُ أكثرُ فائدةً؛ لأنَّه
يشتملُ على إثباتِ فضلِ الحجِّ، وعلى جوابِ سؤالِها عن الجهادِ»^(٥).

وقال ابنُ حجرٍ: وروى ابنُ سَعْدٍ من حديثِ أمِّ مَعْبِدٍ الخُزاعِيَةِ قالتُ:
رأيتُ عثمانَ وعبدَ الرحمنَ في خلافةِ عمرَ رضي الله عنه حجَّا بنساءِ النبي ﷺ، فنزلنَ
بِقَدِيدٍ، فدخلنَّ عليهنَّ وهُنَّ ثمانٍ.

ولابنِ سَعْدٍ أيضًا، عن عائشةَ رضي الله عنها أَنَّهُنَّ استأذنَّ عثمانَ رضي الله عنه في الحجِّ،
فقال: أنا أحجُّ بِكُنَّ، فحجَّ بنا جميعًا إلا زينبَ كانت ماتت رضي الله عنها، وإلا

(١) أخرجه البخاري (٢٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٦١).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٦٠) دون قوله: «وكان من قبلُ يمنعُهُنَّ»، قال البيهقي في معرفة السنن والآثار (١٠٨٥٠): «وفي ذلك دلالةٌ على أنه كان يمنعُهُنَّ عن ذلك قبله».

(٥) فتح الباري (٣/٣٨٢)، باختصار.

سودة رضي الله عنها فإنها لم تخرج من بيتها بعد النبي ﷺ. وروى أحمد وأبو داود من طريق واقد بن أبي واقد الليثي عن أبيه - وإسناده صحيح - : أن النبي ﷺ قال لنسائه في حجة الوداع: «هذه ثم ظهور الحُصْرِ»، زاد ابن سعد في رواية: فكن نساء النبي ﷺ يحجبن إلا سودة وزينب، فقالا: لا نُحرِّكنا دابةً بعد رسول الله ﷺ.

فعائشة تأولت هذا الحديث - «هذه ثم ظهور الحُصْرِ» - كما تأوله غيرها من أمهات المؤمنين على أن المراد بذلك: أنه لا يجب عليهنَّ غير تلك الحجة، وتأيد ذلك عندها بقوله ﷺ: «لكن أفضل الجهاد: الحج والعمرة».

وعمر رضي الله عنه كأنه كان متوقفاً في ذلك - يعني في الإذن لهنَّ بالحج -، ثم ظهر له الجواز، فأذن لهنَّ، وتبعه على ذلك نفر من الصحابة رضي الله عنهم ومن عصره من غير نكير.

ولابن سعد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: منعنا عمر رضي الله عنه الحج والعمرة، حتى إذا كان آخر عامٍ، فأذن لنا ^(١).



قرار المرأة في بيتها

لا يخفى شأن قرار المرأة في بيتها وفضله وبركته، وكلام أهل العلم في الترغيب في هذا والتحذير من ضده كثير.

لكنني أقتصر في هذا المقام على ما ذكره الحافظ الدمي رحمته الله في كتاب «المتجر الرابع»، في فصل عقده بعنوان: «ثواب صلاة المرأة في بيتها»، قال:

«عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «المرأة عورة، وإنها إذا

(١) ينظر: المرجع السابق (٤/٧٣ - ٧٤).

خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِهَا اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ^(١)، وَإِنَّهَا لَا تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا فِي قَعْرِ بَيْتِهَا»، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي حُجْرَتِهَا^(٢)، وَصَلَاتُهَا فِي مِخْدَعِهَا^(٣) أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ خَزِيمَةَ^(٤).

قَالَ الدِّمِيَاطِيُّ: «وَالْمُرَادُ أَنَّ الْمَرْأَةَ كُلَّمَا اسْتَتَرَتْ وَبَعْدَ مَنْظَرِهَا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ كَانَ أَفْضَلَ لصلَاتِهَا، فَالرَّجُلُ كُلَّمَا بَعْدَ مَمْشَاهُ وَكَثُرَتْ خُطَاهُ زَادَ أَجْرُهُ وَعَظُمَتْ حَسَنَاتُهُ، وَالْمَرْأَةُ كُلَّمَا بَعْدَ مَمْشَاهَا قَلَّ أَجْرُهَا وَنَقَصَتْ حَسَنَاتُهَا.

وَعَنْ أُمِّ حُمَيْدٍ -امْرَأَةِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه- أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ، قَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَحْبِبِينَ الصَّلَاةَ مَعِي، وَصَلَاتُكَ فِي بَيْتِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ، وَصَلَاتُكَ فِي حُجْرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي دَارِكَ، وَصَلَاتُكَ فِي دَارِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ، وَصَلَاتُكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِي»، قَالَ^(٥):

(١) يَعْنِي: يَتَطَلَّعُ إِلَيْهَا، وَطَمَعَ فِيهَا، يَفْتُنُّهَا وَيَفْتَنُ بِهَا. «الْمُؤَلَّفُ» وَيَنْظُرُ: مِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ شَرْحُ مَشْكَاتِ الْمَصَابِيحِ (٥/٢٠٥٤).

(٢) كَأَنَّ مَعْنَى «حُجْرَتِهَا»: مَا نَسَمِيهِ الْآنَ: الْحَوْشَ، أَوْ ارْتِدَادَ الْبَيْتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. «الْمُؤَلَّفُ».

وَقَالَ الْمُؤَلَّفُ رحمته الله فِي كِتَابِهِ «كَيْ نَسْتَفِيدَ مِنْ رَمَضَانَ» وَكِتَابِ «خُطُواتُ إِلَى حَيَاةٍ طَيِّبَةٍ»: «هِيَ مَا يُحْتَجَرُ فِي الْمَنْزِلِ خَارِجَ الْبَيْتِ وَقُرْبَ الْبَابِ، وَلَعَلَّهُ يُشْبِهُ مَا يَسْمَى عِنْدَ النَّاسِ الْيَوْمَ (بِالْمَلْحَقِ)».

(٣) قَالَ الْمُؤَلَّفُ رحمته الله فِي كِتَابِهِ «كَيْ نَسْتَفِيدَ مِنْ رَمَضَانَ» وَكِتَابِهِ «خُطُواتُ إِلَى حَيَاةٍ طَيِّبَةٍ»: «قَالَ الْحَافِظُ الدِّمِيَاطِيُّ: هُوَ الْخَزَانَةُ تَكُونُ دَاخِلَ الْبَيْتِ. ١٠ هـ. قُلْتُ: الْأَشْبَهُ بِذَلِكَ غُرْفَتُهَا الْخَاصَّةُ بِهَا».

(٤) الْمَتَجَرِّ الرَّابِعُ، ص (١١٧) بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

(٥) أَيِ: الرَّاوِي.



فَأَمَرْتُ فُبْنِي لَهَا مَسْجِدٌ فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِهِ، وَكَانَتْ تَصَلِّي فِيهِ حَتَّى لَقِيََتِ اللَّهَ ﷻ. رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ خَزِيمَةَ وَابْنُ حَبَانَ.

قُلْتُ - أَيِ الدِّمِياطِيِّ -: كَانَ النِّسَاءُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجْنَ مِنْ بَيُوتِهِنَّ إِلَى الصَّلَاةِ يَخْرُجْنَ مُتَبَدِّلَاتٍ مُتَلَفِّعَاتٍ بِالْأَكْسِيَةِ، لَا يُعْرَفْنَ مِنَ الْغَلَسِ، وَكَانَ إِذَا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ يُقَالُ لِلرِّجَالِ: مَكَانُكُمْ حَتَّى يَنْصَرَفَ النِّسَاءُ، وَمَعَ هَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ صَلَاتَهُنَّ فِي بَيُوتِهِنَّ أَفْضَلُ لَهُنَّ»، انْتَهَى كَلَامُ الْحَافِظِ الدِّمِياطِيِّ بِاخْتِصَارٍ^(١).

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى مَجْتَمِعِنَا الْيَوْمَ؛ بَلْ أَغْلَبَ مَجْتَمِعَاتِ الْمُسْلِمِينَ - وَلِلْأَسَفِ - نَجِدُ أَنَّهَا طُبِعَتْ عَلَى هَذَا الْبَرْنَامِجِ الْيَوْمِيِّ^(٢)، وَصَارَ يُسْتَعْرَبُ مَنْ يَسْتَنْكِرُهُ، هَذَا الْبَرْنَامِجُ الَّذِي مَشَتْ عَلَيْهِ النِّسَاءُ لَمْ يَكُنْ مَعْهُدًا فِي تَارِيخِ الْأُمَةِ الْإِسْلَامِيَةِ الْبَتَّةِ، عَلَى مَدَى الْقُرُونِ، وَعَلَى اخْتِلَافِ مَوَاطِنِهِمْ وَبَيِّنَاتِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ الْفَقْهِيَّةِ إِلَى عَقُودٍ قَرِيبَةٍ.

نَعَمْ؛ فِيمَا مَضَى قَدْ يَحْصُلُ أَنْ تَخْرُجَ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْتِهَا سَاعَاتٍ طَوِيلَةً أَوْ قَصِيرَةً؛ لَكِنْ لَيْسَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الْحَاصِلِ؛ أَغْنِي: كَوْنَ بَرْنَامِجِ الْمَجْتَمَعِ؛ إِنَائِهِمْ، مِنْ قَبْلِ سِنِّ التَّمْيِيزِ، يُمَضِّينَ نِصْفَ الْيَوْمِ تَقْرِيْبًا خَارِجَ الْبَيْتِ، وَبشكْلِ جَمَاعِيٍّ، شَمِلَ أَهَالِي الْمَدَنِ وَالْقُرَى وَالْأَرْيَافِ.

سَوَالٌ: لَوْ قَالَ قَائِلٌ: هَذَا طَلَبُ عِلْمٍ، وَمَعْلُومٌ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِهِ وَفَضْلِ الْمَشْيِ إِلَى مَجَالِسِهِ؟

فَالْجَوَابُ: أَنْ يُقَالَ: لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ هَدْيِ السَّلَفِ الَّذِينَ هُمْ أَحْرَصُ مِنَّا

(١) المتجر الرابع، ص (١١٩ - ١٢١)، وتتمته قولُ الحافظِ الدِّمِياطِيِّ: «فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ تَخْرُجُ مَتَزِينَةً مَتَبَهْرَجَةً لَابِسَةً أَحْسَنَ ثِيَابِهَا! وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَوْ عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ بَعْدَهُ لَمَنْعَهُنَّ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَسْجِدِ»، هَذَا قَوْلُهَا فِي حَقِّ الصَّاحِبَاتِ وَنِسَاءِ الصِّدْرِ الْأَوَّلِ، فَمَا ظَنُّكَ لَوْ رَأَتْ نِسَاءَ زَمَانِنَا هَذَا...».

(٢) أي: الدراسة النظامية للبنات.

على الخير، وأفقهُ فيما ينفعُ العبدَ وما لا ينفعُهُ، وتعليمُ المرأةِ يَتَأْتِي بِغَيْرِ هذا الأسلوبِ، وليسَ الاستنكارُ لتعليمِ المرأةِ ما ينفعُها وما تحتاجُه في مصلحةِ دينها ودنياها، إنما الاستنكارُ لهذا البرنامجِ الذي أخذناه عن غيرنا وعدَلْنَا فيه تعديلاتٍ طفيفةً لم تُغَيِّرْ مِنْ جَوْهَرِهِ وَأَسَاسِهِ وَمَبْنَاهُ.

فَمَبْنَاهُ: أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْفَتَاةُ كَمَا يَتَعَلَّمُ الْفَتَى، سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ؛ فِي الطَّرِيقَةِ وَالْمُضْمُونِ، وَفِي الْهَدَفِ وَالْمَالِ؛ أَي: أَنَّهُ فِي نَهَايَةِ ذَلِكَ الْمَشْوَارِ مَا هُوَ مَالٌ تَعْلِيمِ الْفَتَى هُوَ مَالٌ تَعْلِيمِ الْفَتَاةِ، وَالْهَدَفُ الَّذِي يُرْمَى إِلَيْهِ.

وَعَلَى أَيِّ حَالٍ؛ فَالْحَاجَاتُ الْأَسَاسِيَّةُ وَعَوَامِلُ الْفُضِيلَةِ وَمَقُومَاتُ الْكَمَالِ فِيهَا اخْتِلَافٌ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ: أَنَّ فُضْلَيَاتِ نِسَاءِ الْعَالَمِ الْأَرْبَعِ اللَّاتِي كَمُلْنَ؛ مَا عُرِفْنَ وَمَا تَمَيَّزْنَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُتَعَدِّيَةِ: «كَمُلَّ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرِيْمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَةُ بِنْتُ مَزَاحِمَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ» ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(١).

فَفُضْلَيَاتُ نِسَاءِ الْعَالَمِ وَمَنْ نَحُوهُنَّ مَا عُرِفْنَ وَتَمَيَّزْنَ وَفُضِّلْنَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُتَعَدِّيَةِ؛ كَالْجِهَادِ، وَالِدَّعْوَةِ، وَالصَّدَقِ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ، وَتَتَّبِعِ مَجَالِسَ الذَّكْرِ؛ بَلْ فِي زَمَانِهِنَّ مَنْ فَاقَهُنَّ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ أَوْ بَعْضِهَا، وَمَعَ هَذَا هُنَّ أَفْضَلُ مِنْهُنَّ، وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلْنَ فِي الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ فِي بَيُوتِهِنَّ وَقِيَامِهِنَّ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقُوقِ عِبَادِهِ؛ لَا سِيَمَا الزَّوْجِ وَسَائِرِ الْأَهْلِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ فَنِلْتِ تَبَكَّتْ عِيْدَاتٍ سَخِيحَاتٍ﴾ [التَّحْرِيمُ: ٥].

لَأَجْلِ هَذَا؛ فَإِنَّ الطَّالِبَةَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي دِرَاسَتِهَا فَالَّذِي يَظْهَرُ لِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: أَنَّ الْإِنْتِسَابَ مُقَدِّمٌ - بِمَا لَا يُقَارَنُ - عَلَى الْإِنْتِظَامِ؛ عَلَى الْأَقَلِّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤١١)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٣١) بِلَفْظٍ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا أَسِيَةُ أَمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرِيْمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فُضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»، وَأَمَّا ذِكْرُ خَدِيجَةَ وَفَاطِمَةَ فَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٩٥/٥).



فيما بَعْدَ المرحلةِ الثَّانِيَةِ، فدراسةُ الفتاةِ النظاميةِ كُلِّما تقدَّمتْ مرحلتُها زادتْ إشكالاتُها وخرَجُها.

وسبحانَ الله! كمُ بينَ قرارِها في بيتِها وما فيه من طمأنينةِ النَّفْسِ وسكينةِ القلبِ وراحةِ البدنِ، وبينَ خروجِها يوميًّا ولَّاجَةً خَرَّاجَةً، وما فيه من التعرُّضِ يوميًّا للمتاعِبِ، وضغطِ الأعصابِ بسببِ الزحامِ، أو خوفًا في الحافلةِ، وما قد يَطرَأُ من أمطارٍ تُعيقُ حركةَ المرورِ، أو غيرِ ذَلِكَ من الطوارئِ.

وكذلك الإخلالُ بصلاةِ الفجرِ في بعضِ مواسمِ العامِ، حيثُ تُصلى بِعَجَلَةٍ وقلبٍ منشغلٍ؛ بسببِ مجيءِ الحافلةِ بعدَ أَذانِ الفجرِ بوقتٍ قصيرٍ - إنْ كانتْ مَمَّنْ يذهبُ بالحافلةِ -، وكذلك غيرُ صلاةِ الفجرِ.

حتى لو سَلِمَتْ من مشكلاتِ النقلِ العامِ: ستبقى جملةٌ من المتاعِبِ والإشكالاتِ المستتبعةِ لهذا المشوارِ اليوميِّ.

وينضافُ للخروجِ المتكررِ سلبياتٍ أخرى؛ منها: تفويتُ خدمتها والدتها في هذه الساعاتِ التي تغيبُ فيها الطالبةُ عن البيتِ. وكذلك: قد تُشغلُ والدها أو وليَّها بكثرةِ الترددِ بها. أيضًا: ارتباطُها بالدراسةِ المنتظمةِ يترتبُ عليه - في كثيرٍ من الأحيانِ - تفويتُ أسفارِ الطاعةِ؛ منَ عمرةٍ، أو زيارةٍ لمسجدِ رسولِ الله ﷺ، أو صلوةِ رَجَمٍ، حيثُ تسنحُ - أحيانًا - فرصٌ لربِّ الأسرةِ، وتكونُ الظروفُ مُواتيةً لمثلِ هذه الأسفارِ، فيأتي ارتباطُ الطالبةِ بالدراسةِ والتزامُها بالحضورِ - خاصةً إنْ وافقَ امتحاناتٍ - عائقًا عن إِمضاءِ ذَلِكَ السفرِ، أو على الأقلِّ: يكونُ سببًا في تقليصِ فترةِ السفرِ، بتأخيرِ الذهابِ، أو تعجيلِ العودةِ.

كما لا يخفى أن قرارها في بيتها أقربُ إلى براءةِ ذمتها من تَبَعَةٍ ما تراه من منكراتٍ تَنفَسِي في تلكَ البيئاتِ؛ من منكراتِ الأُلَيْسَةِ، والقصاصِ، وغيرها.

اللَّهُمَّ رَبَّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السماواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشهادةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيه يختلفونَ: اهْدِنَا لما

اِخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. اللَّهُمَّ
الْهِمَّنَا رِشْدَنَا، وَأَعِزَّنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهِ، وَأَنْ نَقْتَرِفَ عَلَى أَنْفُسِنَا سُوءًا أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا
نَافِعًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا.

والعبد إذا اجتهد وجاهد نفسه في تَتَبُعَ ما هو الأحبُّ إلى الله، والأقربُ
إلى مرضاه: فالله ﷻ وَعَدَ، ووَعَدَهُ لَا يُخْلَفُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].



مِنْ اسْبَابِ تَفَوُّقِ الصَّحَابَةِ ﷺ

روى الإمام أحمد في مسنده^(١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ
الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، كَانَ ثَابِتُ بْنُ
قَيْسٍ بْنِ شَمَّاسٍ رَفِيعَ الصَّوْتِ، فَقَالَ: أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَرْفَعُ صَوْتِي عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، حَبِطَ عَمَلِي، وَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ حَزِينًا، فَفَقَدَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاَنْطَلَقَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَيْهِ، فَقَالُوا لَهُ: تَفَقَّدَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
مَا لَكَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي أَرْفَعُ صَوْتِي فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَجْهَرُ لَهُ بِالْقَوْلِ،
حَبِطَ عَمَلِي، أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَأَتَا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ، فَقَالَ النَّبِيُّ
ﷺ: «لَا، بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، قَالَ أَنَسٌ: فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهَرِنَا،
وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ^(٢) كَانَ فِينَا بَعْضُ

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩)، وأحمد (١٢٣٩٩)، واللفظ له.

(٢) يَوْمُ قِتَالِ الْمُرْتَدِينَ، مَسِيلَمَةٌ وَأَصْحَابُهَا. «المؤلف».



الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماسٍ وقد تحنَّط^(١) ولبسَ كفنَه، فقال: بئسما تُعوِّدُون أقرانكم، فقاتلَهُم حتى قُتِلَ ﷺ.

هذا من أسبابِ تفوُّقِ الصحابةِ ﷺ وسَبَقِ مَنْ سِوَاهُمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا يأخذُونَ ما يسمعونَ من كلامِ الله وكلامِ رسوله ﷺ مَأْخَذَ الْجِدِّ، فيصدِّقونَ ما في الكتابِ والسنةِ من الأخبارِ ويوقنونَ بها، ويمتثلونَ ما فيها من الأحكامِ، فيبادرونَ إلى امتثالِ الأوامرِ واجتنابِ النواهي. فهذا ثابتٌ ﷺ مثالٌ لذلك.

مثالٌ آخرٌ على جِدِّ الصحابةِ ﷺ: أَنَّ النبيَّ ﷺ لما خَطَبَ مرةً في أصحابِهِ، وَذَكَرَ أخبارَ الدجالِ، وكانَ ذلكَ غداةً؛ أي: في أولِ النهارِ، يقولُ الراوي: فلما رحنا إليه - أي: عادُوا إلى النبيِّ ﷺ آخرَ النهارِ - عرفَ ذلكَ في وجوهنا؛ أي: أَنَّ أخبارَ الدجالِ أَفْرَعَتْهُمْ وَأَثَّرَتْ فيهِمْ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «ما شأنُكم؟» قالوا: ذكرتَ الدجالَ الغداةَ؛ حتى ظنناهُ في طائفةِ النخلِ...^(٢).

وهذا بخلافِ كثيرٍ من الناسِ - حينَما يسمَعُ مثلَ هذهِ الأخبارِ -، كأنَّ عندهَ ضماناً أَنَّهُ لَنْ يدركَها!.

أيضاً: لما ذَكَرَ النبيُّ ﷺ عن الدجالِ أَنَّهُ يَمْكُثُ في الأرضِ أربعينَ يوماً، يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيامِهِ كأيامِ الدنيا، قالوا: يا رسولَ الله، فذلكَ اليومُ الذي كَسَنَهُ، أَتَكْفِينَا صلاةُ يومٍ؟^(٣).

لَا حِظَّ قولَهُم ﷺ: «أَتَكْفِينَا»؛ كَأَنَّهُمْ يَجْزَمُونَ بِأَنَّهُمْ سَيَدْرِكُونَ ذلكَ اليومَ، وما قالوا: أَتَكْفِينَهُم.

على أيِّ حالٍ؛ مَنْ كانَ يريدُ السلامةَ والنجاةَ غداً فَلْيَقْتَدِ بِهِمْ ﷺ؛

(١) يعني: تطيَّبَ طيبَ الموتى. «المؤلف».

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

فَقَوْمٌ نَفْسَكَ، وَصَحَّحْ وَضَعَكَ عَلَى ضَوْءِ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَدَبَّرْ آيَاتِ الْكِتَابِ، وَنصوصَ السُّنَّةِ، وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِمَا؛ مِنَ الْأَمْرِ بِالْإِحْلَاصِ لِلَّهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَمَحَبَّةِ اللَّهِ، وَحُبِّ مَنْ يُحِبُّهُ، وَحُبِّ الْعَمَلِ الَّذِي يُحِبُّهُ، وَبُغْضِ مَا يُبْغِضُهُ - سُبْحَانَهُ - .

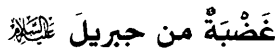
وتَدَبَّرْ النصوصَ التي فيها الأمرُ بالصلاة، وتعظيمُ شأنِها.

كذلك الأوامرُ بِبِرِّ الوالدينِ، وصِلَةِ الرَّحِمِ، والإحسانِ إلى الجارِ، والضَّعْفَةِ من المسلمين، وسائر المسلمين، وهكذا سائرُ شعائرِ الدِّينِ.

وَتَدَبَّرِ النُّصُوصَ الَّتِي فِيهَا الْأَمْرُ بِغَضِّ الْبَصَرِ، وَإِطَابَةِ الْمَطْعَمِ، وَالْأَمْرُ بِإِعْفَاءِ اللَّحِيَّةِ، وَأَنْ لَا يَنْزَلَ الثُّوبُ عَنِ الْكَعْبَيْنِ.

كذلك الأوامر والتوجيهات والآداب بترك ما لا يعنى، وسلامة الصدر، والاستعداد ليوم المعاد، والنصح للمسلمين، ومحبة الخير لهم، وحفظ الوقت عما لا يفيد، وحفظ اللسان عن قول ما لا ينفع، ونحو ذلك.

خُذْهَا مَأْخَذَ الْجِدِّ وَالتَّنْفِيزِ، وَاسْتَيْقِنْ أَنَّهَا تَوْجِيهَاتٌ مُوَجَّهَةٌ لَكَ أَنْتَ. .
اقتَدِ بِالصَّحَابَةِ رضي الله عنهم فِي هَذَا؛ لِتَلْحَقَ بِهِمْ.



قال الله تعالى في أواخر سورة يونس: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْنَاهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، بَغِيًّا وَعَدَّوْا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].



في حديث رواه الإمام أحمد والترمذي^(١) مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه لما قال فرعون: ﴿ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] قال جبريل للنبي ﷺ: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَدَسَسْتُهُ فِي فِيهِ؛ مَخَافَةً أَنْ تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ».

قال القسطلاني: فَعَلَ جبريل ﷺ ذَلِكَ مَخَافَةً أَنْ تَدْرِكُهُ الرَّحْمَةُ؛ لَسَعَتِهَا، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ غَضَبًا لِلَّهِ، وَعِلْمًا مِنْهُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ الْإِيمَانُ؛ لَا أَنَّهُ كَرِهَ إِيْمَانَهُ^(٢).

وقال: قوله: «وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ»: «حَالُ الْبَحْرِ: طِينُهُ الْأَسْوَدُ»^(٣).

لكن نتأمل قول هذا الطاغية: ﴿ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠]؛ انظر كيف لازمته التكبر حتى في هذه اللحظات، استكبر واستنكف أن يقول: لا إله إلا الله، فأتى بهذه الجملة المطولة.

وهذا يشبه موقف أبي جهل لما قُتِلَ وبقي به رَمَقٌ، وأتاه ابن مسعود رضي الله عنه، فقال أبو جهل: وهل أعمد - أي أعجب - من رجل قتل قومه!^(٤)

لأزمه الكبر والتعالي حتى في اللحظات الأخيرة - نسأل الله العافية -، ولذلك روي أن النبي ﷺ قال: «هذا فرعون هذه الأمة»^(٥).



(١) أخرجه الترمذي (٣١٠٧)، وأحمد (٢٨٢٠).

(٢) ينظر: إرشاد الساري (١٦٦/٧).

(٣) المرجع السابق (١٦٦/٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٦١)، وفيه: قتلتموه.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (٥٩٦١)، وأحمد (٣٨٢٤).

أَسْمِعُوهَا الْمَرْضَى.. بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ

هذا شرحٌ للحافظ ابن رجب رحمته الله لحديث خرَّجه البخاري ومسلم.

قال رحمته الله ^(١): «خرَّجَ البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا، فَإِذَا اغْتَدَلَتْ تَكْفَأُ بِالْبَلَاءِ، وَالْفَاجِرُ كَالْأَرْزَةِ، صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ، حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ».

وخرَّجَ أيضًا: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفَيْئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً، وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالْأَرْزَةِ، لَا تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ أَنْجَعُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً».

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: «ففي هذه الأحاديث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَرَبَ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ فِي إِصَابَةِ الْبَلَاءِ لَجَسَدِهِ بِخَامَةِ الزَّرْعِ، الَّتِي تَقْلِبُهَا الرِّيحُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً.

وَمَثَلَ الْمُنَافِقِ وَالْفَاجِرَ بِالْأَرْزَةِ ^(٢)، الَّتِي لَا تَحْرُكُهَا الرِّيحُ وَلَا تَزْعُزُعُهَا، حَتَّى يَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا رِيحًا عَاصِفًا فَتَقْتُلَعَهَا مِنَ الْأَرْضِ دَفْعَةً وَاحِدَةً.

ففي هذا فضيلةٌ عظيمةٌ للمؤمنٍ بابتلائه في الدنيا في جسده بأنواع البلاء، وتمييزٌ له على المنافق والفاجر بأنه لَا يَصِيبُهُ الْبَلَاءُ حَتَّى يَمُوتَ بِحَالِهِ، فَيَلْقَى اللَّهَ بِذُنُوبِهِ كُلِّهَا، فَيَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهَا.

وَالنُّصُوصُ فِي تَكْفِيرِ ذُنُوبِ الْمُؤْمِنِ بِالْبَلَاءِ وَالْمَصَائِبِ كَثِيرَةٌ جَدًّا، ففِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ مِنْ خَطَايَاهُ؛ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا».

وفيه أيضًا عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما

(١) غاية النفع شرح حديث تمثل المؤمن بخامة الزرع، ص (٧).

(٢) هِيَ شَجَرُ الْأَرْزِ. قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ فِي الْمَحْكَمِ (٧/٥٣٧): «الْأَرْزَةُ: شَجَرَةُ الصَّنوبرِ»، وَيَنْظُرُ أَيْضًا: فَتَحَ الْبَارِي (١٠/١٠٧).



عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ؛ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».

وفيها - أيضًا - عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا يَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ».

وفي رواية: «يُصِيبُهُ أَدَى شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ؛ كَمَا تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَرَقَهَا».

وخرَّج الإمام أحمد والنسائي والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «لَا تَزَالُ الْبَلَايَا بِالْعَبْدِ حَتَّى تَتْرُكُهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا بِهِ خَطِيئَةٌ».

وخرَّج الإمام أحمد والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا تَزَالُ الْبَلَايَا بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ».

وفي صحيح ابن حبان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَمَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ إِيَّاهَا».

وفي «المسند» عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «لَا يَمْرُضُ مُؤْمِنٌ وَلَا مُؤْمِنَةٌ وَلَا مُسْلِمٌ وَلَا مُسْلِمَةٌ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ خَطَايَاهُ».

وفيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا يَزَالُ الصَّدَاعُ وَالْمَلِيلَةُ^(١) بِالْمُؤْمِنِ وَإِنَّ ذَنْبَهُ مِثْلُ أُحُدٍ فَمَا يَدْعُهُ وَعَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ».

(١) «المَلِيلَةُ»: حَرَارَةُ الْحُمَّى وَتَوَهُّجُهَا. وَقِيلَ: هِيَ الْحُمَّى الَّتِي تَكُونُ فِي الْعِظَامِ.
«المؤلف».

وَأِنَّمَا يُعَرَفُ قَدْرُ الْبَلَاءِ إِذَا كُشِفَ الْغِطَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ فِي الدُّنْيَا».

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ عَامِرِ الرَّامِ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ الْأَسْقَامَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ السَّقَمُ ثُمَّ أَعْفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ، وَمَوْعِظَةً لَهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا مَرَضَ ثُمَّ أُعْفِيَ كَانَ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَلَمْ يَذَرِ لِمَ عَقَلُوهُ، وَلَمْ يَذَرِ لِمَ أَرْسَلُوهُ» فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ حَوْلَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْأَسْقَامُ؟! وَاللَّهِ مَا مَرِضْتُ قَطُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ عَنَّا فَلَسْتَ مِنَّا».

وَهَذَا كَمَا قَالَ لِلَّذِي سَأَلَهُ عَنِ الْحُمَى فَلَمْ يَعْرِفْهَا: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا».

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْفَرْقَ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ: إِصَابَةَ الْبَلَاءِ وَالْمَصَائِبِ؛ كَمَا جَعَلَ ذَلِكَ فَرْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْفُجَّارِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ هَاهُنَا.

فَهَذِهِ الْأَسْقَامُ وَالْبَلَايَا كُلُّهَا كَفَارَاتٌ لِلذُّنُوبِ الْمَاضِيَةِ، وَمَوَاعِظٌ لِلْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَتَّعِظُوا بِهَا وَيَرْجِعُوا بِهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ عَنِ سَيِّئِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ^(١).

هَذِهِ مَقْتَطَفَاتٌ مِنْ شَرْحِ الْعَلَامَةِ ابْنِ رَجَبٍ لِلْحَدِيثِ الْمَتَقَدِّمِ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَّأَ بِالْبَلَاءِ، وَالْفَاجِرُ كَالْأَرْزَةِ، صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ، حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ»، وَالرَّسَالَةُ قِيَمَةٌ، حَبِذَا مَطَالَعْتُهَا كَامِلَةٌ.



(١) غَايَةُ النِّفْعِ شَرْحُ حَدِيثِ تَمَثُّلِ الْمُؤْمِنِ بِخَامَةِ الزَّرْعِ، ص (٨ - ٢١) بِاخْتِصَارٍ.



مُلَحَّةٌ

من العبارات التي تُقال: «رابعُ رجبٍ: يومُ صومِكم، فيه تُصَحُّونَ»؛ بمعنى: أنَّ اليومَ الرابعَ من رجبٍ هو أولُ رمضانٍ، وهو عيدُ الأضحى. فمثلاً: هذه السَّنةُ (١٤٤٠) رابعُ رجبٍ يومُ الاثنينِ، فعلى هذا يكونُ أولُ رمضانَ يومَ اثنينٍ، وعيدُ الأضحى يومَ الاثنينِ. وهي قاعدةٌ أغلبيةٌ قد تتقدَّمُ يوماً، أو تتأخَّرُ يوماً، فهي موافقةٌ فلكيةٌ، وهي من ميزاتِ سَنَةِ الأشهرِ القمريةِ. وعلى أيِّ حالٍ؛ فهذا من مُلَحِّ العلمِ لا مَتِينِهِ.



سِرُّ الشجاعةِ والثباتِ

قال الفضيلُ بنُ عياضٍ رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ خَافَ اللهَ لَمْ يَضُرَّهُ أَحَدٌ، وَمَنْ خَافَ غَيْرَ اللهِ لَمْ يَنْفَعُهُ أَحَدٌ»^(١).



مقولتانِ

قال أحدُ العلماءِ: لَأَنَّ تَضَحُّكَ وَأَنْتَ مُقَرَّرٌ بِذَنْبِكَ؛ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَبْكِيَ وَأَنْتَ مُدِلٌّ بِعَمَلِكَ^(٢).
«مُدِلٌّ»: يعني مفتخرٌ معجبٌ.

فإذا صليتَ بالبكاءِ والخشوعِ فهذا لا شَكَّ أَنَّهُ عَمَلٌ فاضِلٌ عظيمٌ؛ لكنْ إنَّ صاحِبَهُ شَيْءٌ مِنَ الْعَجَبِ؛ فَنَسَأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ هَذَا هَلَاكٌ.

(١) سير أعلام النبلاء (٨/٤٢٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٧/٥٦).

وفي فضلِ إطعامِ الطعامِ قَالَ الحافظُ الدميّاطيُّ في «المتجرِ الرابع»^(١):
عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَأَنْ أَجْمَعَ نَفَرًا مِنْ إِخْوَانِي عَلَى صَاعٍ أَوْ صَاعَيْنِ مِنْ
طَعَامٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْخَلَ سَوْقَكُمْ فَأَشْتَرِيَ رَقَبَةً فَأَعْتَقَهَا».



من أسبابِ النشاطِ على الطاعاتِ

قال شُمَيْطُ بْنُ عَجْلَانَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ قُوَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي قَلْبِهِ، وَلَمْ
يَجْعَلْهَا فِي أَعْضَائِهِ؛ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الشَّيْخَ يَكُونُ ضَعِيفًا، يَصُومُ الْهَوَاجِرَ، وَيَقُومُ
اللَّيْلَ، وَالشَّابُّ يَعْجُزُ عَنْ ذَلِكَ»^(٢).



(١) ص (٣٠٢).

(٢) حلية الأولياء (٣/ ١٣٠).



القسمُ العاشرُ

أسئلة وأجوبة

أسئلة وأجوبة (١)

ذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: «فَتَحِ الْبَارِي شَرْحَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ»^(١): أَنَّ مَوَاطِنَ الدَّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ عَدْدُهَا كَذَا...

السؤال: كم عددُها، وما هي؟

الجواب: مَوَاطِنُ الدَّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ: سِتَّةٌ.

أولُها: بَعْدَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ.

ثَبَّتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّحِيحِ^(٢) أَنَّهُ كَانَ إِذَا كَبَّرَ اسْتَفْتَحَ بِقَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْثَلَجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرْدِ»، هَذَا فِي الْفَرِيضَةِ وَالنَّافِلَةِ.

أَيْضًا ثَبَّتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٣) أَنَّهُ أَحْيَانًا كَانَ يَسْتَفْتَحُ بِهَذَا الدَّعَاءِ - دَعَاءِ الْإِسْتِفْتَاكِ -: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ

(١) ينظر: فتح الباري (١١/١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١).

الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله بيدك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك».

أيضاً ثبت عن النبي ﷺ في «صحيح مسلم»^(١) أنه كان يستفتح صلاة الليل أحياناً بقوله ﷺ: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

وفي دعاء آخر جاء فيه التعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة^(٢).

المقصود: أن هذا أول مواطن الدعاء.

الموطن الثاني: في الركوع.

كان النبي ﷺ يقول في ركوعه: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»^(٣).

الموطن الثالث: بعد الرفع من الركوع.

ورد عن النبي ﷺ أنه بعد أن يقول: «اللهم لك الحمد ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد»، يقول: «اللهم طهرني بالثلج والبرد، والماء البارد اللهم طهرني من الذنوب والخطايا، كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٧٦٦)، والنسائي (١٦١٧)، وابن ماجه (١٣٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤).

(٤) أخرجه مسلم (٤٧٦).



الموطن الرابع: في السجود.

قال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجدٌ؛ فأكثرُوا الدعاء»^(١)، وقال: «وأما السجودُ فاجتهدوا فيه في الدعاء؛ فإنه فَمِنُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(٢)؛ أي: جديرٌ.

الموطن الخامس: الجلسة بين السجدين.

كان النبي ﷺ يقولُ بين السجدين: «اللهم اغفرْ لي، وارحمني، وعافني، واهدني، وارزقني»^(٣).

الموطن السادس: بعد الصلاة الإبراهيمية يتعوذُ من الأربع: «اللهم إني أعوذُ بك من عذابِ جهنم، ومن عذابِ القبر، ومن فتنةِ المحيا والممات، ومن فتنةِ المسيح الدجال، ثُمَّ لِيَتَخَيَّرَ من الدعاءِ أعجبه»^(٤).
وقد وَرَدَتْ أدعيةٌ كثيرةٌ عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُهَا.



أسئلة وأجوبة (٢)

تكرر في كتابِ الله اقترانُ اسمِ الله ﴿الْعَلِيمُ﴾ بـ﴿الْحَكِيمِ﴾ في عدة مواضع، وورد ذلك في سورة الأنعام في ثلاثة مواضع قُدِّمَ فيها اسمُ ﴿الْحَكِيمِ﴾ على ﴿الْعَلِيمِ﴾، كما تكرر ذلك في سورة يوسف في ثلاثة مواضع قُدِّمَ فيها اسمُ ﴿الْعَلِيمِ﴾ على ﴿الْحَكِيمِ﴾.

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤)، وابن ماجه (٨٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨)، وأما قوله: «ثُمَّ لِيَتَخَيَّرَ مِنَ الدَّعَاءِ أَعْجَبُهُ»

فأخرجه البخاري (٨٣٥، ٤٠٢) موقوفاً على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

السؤال: ما السبب في ذلك؟

الجواب: يلاحظ أن المقامات التي يتقدم فيها ﴿الْعَلِيمُ﴾ على ﴿الْحَكِيمُ﴾ منوطة بالعلم أولاً ثم بالحكمة؛ لأن مَبْنَى الأحكام على إحاطة العلم أولاً ثم الحكمة في تنزيل العلم على الواقع.

أما تقديم اسمه: ﴿الْحَكِيمُ﴾ على اسمه ﴿الْعَلِيمُ﴾ فيلاحظ أنه في مقامين هما:

١ - مقام التوحيد.

٢ - مقام إجراء المعجزات. وذلك أن مضمون الألوهية في مقام التوحيد قهرٌ وقوةٌ وغلبةٌ، يقابلها من العباد طاعةٌ وعبادةٌ وخضوعٌ، فتقديم الحكمة في هذا المقام - والله أعلم - ليُعلم أن ألوهيته السارية على من في الأرض والسموات مسارها الحكمة.

أما مقام إجراء المعجزات فهو كذلك راجعٌ إلى القوة الغالبة والمشئة الطليقة، واقتران القوة بالحكمة هو ضمانُ انتظام الأمور، فالحكمة هنا لها الصدارة، يليها العلم الذي على أساسه يكون إجراء السنن على ما قُدِّر لها، أو تعطيلها لحكمة ترجع لعلم ﴿الْعَلِيمُ﴾^(١).



اسئلة واجوبة (٢)

من الأدعية التي وَرَدَتْ عن النبي ﷺ في السجود الدعاء التالي الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه^(٢): «اللهم إني أعوذُ برضاك من سخطك،

(١) ينظر: «مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام»، د. نجلاء كردي ص (٥٥٦)، «و الله

الأسماء الحسنى» ص (٢٥٩)، باختصار.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦).



وبمعافاتِك من عقوبتِك، وأعوذُ بك منك، لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

«لا أُحصي ثناءً عليك»: لا أُطيق ولا أستطيع الثناء عليك يا ربّ كما ينبغي لك؛ لكن أنت كما أثنيت على نفسك.

السؤال: هذا الدعاء العظيم تَضَمَّنَ مطالبَ جليلة: «أعوذُ برضاك من سخطك، وبمعافاتِك من عقوبتِك، وأعوذُ بك منك»، أيُّ هذه المطالبِ الثلاثِ أَجَلٌ، كُلُّها جليلةٌ؛ لكن أيُّها أَجَلٌ وأعلى؟ مع التعليل.

الجواب: لا شكَّ أنَّ رضا الله ﷻ هو غاية ما يتمناه المسلم، يقول الله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وتلك المطالبُ التي تَضَمَّنَهَا هذا الدعاءُ كُلُّها مطالبٌ عالية، وهذا من آدابِ الدعاء؛ أعني: إعظامَ الرِّغبة، كما في الحديثِ عن النبي ﷺ: «لا يَقُلْ أحدُكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، لِيَعْرِمَ المسألة، وَلِيُعْظِمَ الرِّغبة، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»^(١).

إذن؛ من آدابِ الدعاء: إعظامُ الرِّغبة.

وهذا الدعاءُ مثالٌ ونموذجٌ من الأدعية النبوية وحُسْنِها وعَظَمَتِها وبركتِها، فينبغي للمسلم أن يجتهدَ في حفظِ الأدعية النبوية، فإنَّها أعظمُ بركة، وأجمعُ للخير، وأدفعُ للشر.

ومن كُتُبِ الأدعية المفيدة: كتابُ الشيخ سعيد بن عليّ بن وهف القحطاني رحمه الله «الدعاء من الكتاب والسنة»، وكذلك كتابه الآخر: «حصن المسلم»، فهذان الكتابان فيهما خيرٌ كثيرٌ، وحفظُ ما فيهما من الأذكار - أذكار الصلاة وغيرها من المناسبات والأدعية النبوية - مفيدٌ، وسلاحٌ يتسلحُ به المسلم.



(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

أَسْئَلَةٌ وَأَجُوبَةٌ (٤)

هذه معلوماتٌ عَنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، مصدرُها كِتَابُ «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»، سَأَطَرَحُهَا عَلَى شَكْلِ سَوَالٍ وَجَوَابٍ:

السُّوَالُ الْأَوَّلُ: مَنْ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى الَّتِي تَكَرَّرَ ذِكْرُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ و﴿الرَّحِيمُ﴾؛ أَيُّهُمَا أَكْثَرُ وُرُودًا؟ أَوْ هُمَا عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ؟

الجواب: أَكْثَرُهُمَا اسْمُ اللَّهِ ﴿الرَّحِيمُ﴾: فَقَدْ ذُكِرَ مِثَّةً وَثَلَاثًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً (١٢٣)، وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ سَبْعًا وَخَمْسِينَ مَرَّةً (٥٧)^(١).

السُّوَالُ الثَّانِي: ذُكِرَ اسْمُ رَبِّنَا ﴿اللَّهُ﴾ - سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ - أَلْفَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ مَرَّةً (٢٧٢٤)^(٢)، فَأَيُّ أَسْمَاءِ اللَّهِ - بَعْدَ ذَلِكَ - أَكْثَرُ وُرُودًا؟

الجواب: اسْمُ اللَّهِ ﴿الْعَلِيمُ﴾: فَقَدْ ذُكِرَ مِثَّةً وَسَبْعًا وَخَمْسِينَ مَرَّةً (١٥٧)^(٣)، يَلِيهِ اسْمُ اللَّهِ

﴿الرَّحِيمُ﴾ كَمَا تَقَدَّمَ، ثُمَّ ﴿الْعَزِيزُ﴾: ذُكِرَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ مَرَّةً (٩٢)^(٤)، ثُمَّ ﴿الْحَكِيمُ﴾ إِحْدَى وَتِسْعِينَ مَرَّةً (٩١)^(٥)، وَكَذَلِكَ ﴿الْقُدُّوسُ﴾ إِحْدَى وَتِسْعِينَ مَرَّةً (٩١)^(٦).



(١) ينظر: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» ص (١٠٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٦٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص (٢٨٣).

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص (٣٤٨).

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص (٢٤٠).

(٦) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٨٨).



أسئلة وأجوبة (٥)

السؤال: كم مدة افتقاد أم موسى لابنها ﷺ لما ألقته في اليم ثم عاد إليها؟ يوم، أو أسبوع، أو شهر، أو سنة؟

الجواب: قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره^(١): «ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل: يوم وليلة، أو نحو، والله سبحانه أعلم، فسبحان من بيديه الأمر! ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجاً، وبعد كل ضيق مخرجاً».

ولعله استنبط هذا من قول الله ﷻ: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢]، فَيَبْعُدُ أَنْ يَبْقَى الْبُطْلُ الرَضِيعُ حَدِيثُ الْوِلَادَةِ بِدُونِ رِضَاعَةٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَّةِ.



أسئلة وأجوبة (٦)

تكرر في كتاب الله ثلاثه أوامر جاء الأمر فيها بأن يكون على الحال الجميل؛ منها: الصبر الجميل: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، في سورة المعارج.

السؤال: ما الأمران الآخران اللذان فيهما أمر أن يكون على الحال الجميل؟

الجواب: الهجر الجميل، والصفح الجميل؛ لقول الله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ﴾ [الصفحة الجميل] [الحجر: ٨٥]، في سورة الحجر، وقول الله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، في سورة المزمل.

السؤال الآخر: ما معنى الصبر الجميل، الصفح الجميل، الهجر الجميل؟

أحدها: أن يكون بلا معاتبة.

وآخر معناه: أن يكون بلا أذى.

وآخر: أن يكون بلا شكوى إلى المخلوق.

أيها الذي هو أن يكون بلا معاتبة؟ وأيها الذي يكون بلا أذى؟ وأيها الذي يكون بلا شكوى؟

الجواب:

الصبر الجميل: صبرٌ بغير شكوى إلى المخلوق.

والصفح الجميل: صفحٌ بلا معاتبة.

والهجر الجميل: هجرٌ بلا أذى.

هذه فائدة ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله في «الفتاوى»^(١).



اسئلة وأجوبة (٧)

هذه وقفاتٌ مع بعض الآيات، وعقب كل فقرة سؤال:

الفقرة الأولى: قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]: قال الشوكاني رحمه الله: «ذهب جمهور العلماء إلى أن معناها: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نُضِيقَ عَلَيْهِ، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]: أي: يُضِيقُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧]...، أي: ضُيِّقَ»^(٢).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٨٣/١٠).

(٢) فتح القدير (٤٢١/٣).



السؤال: ما اسمُ تفسيرِ الشوكاني؟

الجواب: اسمه «فتح القدير».

الفقرة الثانية: قول الله ﷻ: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾؛ قد يفهم أن المراد: زوجاتهم. قال ابن كثير رحمه الله عن بعض السلف: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ يعني: أشباههم وأمثالهم^(١). يعني في الكفر.

السؤال: الآية المذكورة في أيِّ سورة؟

الجواب: في سورة الصافات.

الفقرة الثالثة: قول الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]: لم يكن عليه السلام شاكاً حاشاه، وهو خليل الرحمن، وإنما طلب ما يزيده يقيناً.

واليقين هو: العلم النافع الذي رَسَخَ في القلبِ فائتمرَ العملُ الصالح.

وهو - أي اليقين - ثلاث مراتب: علم اليقين، وفوقها: عين اليقين، وأعلىها: حق اليقين.

وسعى العبد فيما يزيده إيمانه ويحقق له اليقين ويرسخه محمود، وقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يدعو: «اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقها»^(٢).

السؤال: ورد في شأن هذه الآية حديث في الصحيح؛ ما هو؟

الجواب: قول النبي ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنحِي الْمَوْتِ﴾ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]»^(٣). يعني أن إبراهيم عليه السلام ما كان شاكاً.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٨/٧).

(٢) أخرجه أبو بكر الخلال في السنة (١١٢٠)، وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (٤٨/١) للإمام أحمد في كتاب «الإيمان»، وقال: «إسناده صحيح».

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٣٧)، ومسلم (١٥١).

الفقرة الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]: قال الشيخ عبد الرحمن السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿الْحَيَوَانُ﴾؛ «أي: الحياة الكاملة»^(١).

قال علماء البلاغة: الزيادة في المبنى قوة في المعنى. يعني: الزيادة في حروف الكلمة زيادة في معناها. مثال ذلك: قَطَعَ، وَقَطَعَ، وهكذا.

فهنا: كلمة «حيوان» أكمل من «حياة»؛ لأنَّ الحياة في الدنيا يَعْتَرِيهَا مرضٌ، ونومٌ - والنوم موتةٌ صغرى -، ومآلها إلى الموت؛ بخلاف الحياة في الدار الآخرة.

السؤال: أورد أمثلة أخرى على قاعدة: الزيادة في المبنى قوة في المعنى.

الجواب: الأمثلة كثيرة؛ ومنها على سبيل المثال: عُنْتُ، وَعُنْتُوَانُ.

الفقرة الخامسة: قوله تعالى: ﴿قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَنْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]: ذُكِرَتْ كلمة: ﴿مِنْ﴾ التي تُفِيدُ هُنَا التَّبَعِيضَ؛ أي: بَعْضَهُ، ذُكِرَتْ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى، أما الثانية: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾: ما ذُكِرَ فِيهَا: ﴿مِنْ﴾؛ لأنَّ الْأَصْلَ فِي النَّظَرِ الْجَوَازُ؛ إِلَّا مَا وَرَدَ تَحْرِيمُهُ أَوْ كَرَاهِيَّتُهُ فِهَذَا هُوَ الَّذِي يُعْضُ؛ بخلاف الْفَرْجِ، فالأصلُ حَفْظُهُ؛ إِلَّا عَلَى مَا أَذِنَ اللهُ، كما قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ [المؤمنون: ٥، ٦].

السؤال: تقدم أنَّ الأصل في النظر الجواز؛ إلا ما وردَ تَحْرِيمُهُ أَوْ كَرَاهِيَّتُهُ؛ مَثَلُ لما وَرَدَ كَرَاهَةُ النَّظَرِ إِلَيْهِ^(٢).



(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٧٤٧).

(٢) ذكر الفقهاء أمورًا يكره النظر إليها؛ منها: نظرُ المصلي إلى ما يُلْهِيه ويشغله. والنظرُ إلى الميتِ لغير حاجة؛ لأنه ربما كان بالميتِ عيبٌ يكرهُ اطلاعُ الناسِ عليه. ورَفْعُ النظرِ =



أسئلة وأجوبة (٨)

بَيْنَ يَدَيَّ كِتَابُ «إِرْشَادِ السَّارِي» لِلْقِسْطَلَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَقَدْ ذَكَرَ فِيهِ مَعْلُومَةٌ عَنْ إِحْدَى الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ؛ فَقَالَ: فِيهَا خَلْقُهُ عَشْرَةٌ مِنْ جَابِرَةِ الْحَيَوَانِ، وَجُهُ فَرَسٍ، وَعَيْنَا فِيلٍ، وَعُنُقُ ثَوْرٍ، وَقَرْنَا إِبِلٍ؛ أَي: وَعِلٍ، وَصَدْرُ أَسَدٍ، وَبَطْنُ عَقْرَبٍ، وَجَنَاحَا نَسِيرٍ، وَفَخِذَا جَمَلٍ، وَرِجْلَا نَعَامَةٍ، وَذَنْبُ حَيَّةٍ.

السؤال: ماذا يكون هذا؟

للتقريب: هُوَ مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ.

وللتقريب أيضًا: فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ.

وللتقريب: مِنَ الْآيَاتِ التَّسْعِ الَّتِي آتَاهَا اللهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَاءَ نَبَاتٍ مُفَصَّلَةٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

الجواب: الجراد! (١).



= إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ - عَلَى الْقَوْلِ بِمَجَرَّدِ الْكَرَاهَةِ -، وَقَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ (١/١٣٧): «وَالْمَكْرُوهُ فَضُولُ النَّظَرِ الَّذِي لَا مَصْلَحَةَ فِيهِ، فَإِنْ لَهُ فَضُولٌ كَمَا لِلْسَّانِ فَضُولًا، وَكَمْ قَادَ فَضُولُهَا إِلَى فَضُولِ غَرِّ التَّخْلُصِ مِنْهَا، وَأَعْيَى دَوَاؤُهَا، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كَانُوا يَكْرَهُونَ فَضُولَ النَّظَرِ، كَمَا يَكْرَهُونَ فَضُولَ الْكَلَامِ».

(١) ينظر: إرشاد الساري (٨/٢٧١)، وأصله في حياة الحيوان الكبرى للدميري (١/٢٧٠).



القسم الحادي عشر

قَصَصٌ وَعَبْرٌ

قصة طعام جابر رضي الله عنه يوم الخندق

هذه قصة طعام جابر رضي الله عنه يوم الخندق، والقصة رواها الإمام البخاري رحمته الله في صحيحه^(١)، وسأذكرها مع زيادة روايات أوردها الحافظ ابن حجر رحمته الله في شرحه لها في «فتح الباري»^(٢).

عن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُديّة شديدة - والكُديّة القطعة الصلبة الصماء -، فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذه كُديّة عرضت في الخندق، فقال صلى الله عليه وسلم: «أنا نازل»، ثم قام وبطنه معصوبٌ بحجر، ولَبِثْنَا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المِعْوَلَ فضربَ في الكُديّة، فعادَ كثيرًا أهيلًا. يعني: رملاً سائلاً.

وفي رواية للنسائي بإسنادٍ حسنٍ: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذَ المِعْوَلَ، فقال: «بسم الله»، فضربَ ضربةً فكسرَ ثلثها، وقال: «الله أكبر»، أُعْطِيتُ مفاتيحَ الشام، والله إني لأبصرُ قصورها الحمر الساعة»، ثم ضربَ الثانية، فقطعَ الثلثَ الآخرَ، فقال: «الله أكبر»، أُعْطِيتُ مفاتيحَ فارس، والله إني لأبصرُ قصرَ المدائن الأبيض، ثم ضربَ الثالثة، وقال: «بسم الله»، فقطعَ بقيةَ الحجر، فقال: «الله أكبر»، أُعْطِيتُ مفاتيحَ اليمن، والله إني لأبصرُ أبوابَ صنعاء في مكاني هذا الساعة».

(١) صحيح البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

(٢) ينظر: فتح الباري (٣٩٦/٧) وما بعدها.



قال جابرٌ: فقلتُ يا رسولَ الله، ائذنْ لي إلى البيتِ، فقلتُ لامرأتي - واسمُها: سهيلةُ بنتُ مسعودٍ رضي الله عنها -: رأيتُ بالنبِيِّ ﷺ شيئاً ما كانَ في ذلكَ صبرٌ، فعندَكَ شيءٌ؟ قالتُ: عِنْدِي شعيرٌ وعناقٌ - وهي الأُنثى من ولدِ المعزِ -، فذَبَحْتُ العَنَاقَ، وَطَحَنْتِ الشعيرَ حتى جَعَلْنَا اللحمَ في البُرْمَةِ - والبرمةُ قِدْرٌ من حجارةٍ -، ثُمَّ جِئْتُ النَبِيَّ ﷺ والعَجِينُ قد انكسرَ - يعني: لَانَ ورطبَ وتمكَّنَ منه الخميرُ -، والبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثافيِّ - الْأَثافيُّ الحِجارةُ التي يوضعُ عليها القِدْرُ وهي ثلاثٌ - قدْ كادتُ أَنْ تنضجَ، فقلتُ: طَعِيمٌ لي، فَقُمِ أَنْتِ يا رسولَ الله ورجلٌ أو رجلانِ، فقالَ: كَمْ هو؟ فَذَكَرْتُ لَهُ، قالَ: كَثِيرٌ طَيِّبٌ، فصاحَ النَبِيُّ ﷺ، فقالَ: «يا أَهْلَ الخَنْدِقِ! إِنَّ جابراً قدْ صَنَعَ سُوراً - أيْ طعاماً - فحَيِّ هَلَا بِكُمْ»، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ، ولا تَخْبِزَنَّ عَجِينَكُمْ حتى أَجِيءَ»، فَجِئْتُ وجاءَ رسولُ الله ﷺ يقدِّمُ الناسَ.

وفي روايةٍ: قالَ جابرٌ: فلقيتُ من الحياءِ ما لا يعلمُه إلا اللهُ ﷻ، وقلتُ - يعني في نفسه -: جاءَ الخَلْقُ على صاعٍ من شعيرٍ وعناقٍ، فَدَخَلْتُ على امرأتي أقولُ: افْتَضَحْتُ، جاءَكِ رسولُ الله ﷺ بالخَنْدِقِ أَجمَعينَ.

سؤالٌ: بماذا أَجابَتْ؟ إذا كانَ هذا تَحَرُّجُهُ فكيفَ بالمرأةِ؟ وقدْ جَرَتْ العادةُ أَنها أَكثُرُ حِساسِيَّةً.

الجوابُ: فقالتُ: هلْ كانَ سَأَلَكَ كَمْ طعامُكَ؟ فقلتُ: نَعَمْ. فقالتُ: اللهُ ورسولُه أَعْلَمُ، ونحنُ قدْ أَخبرناهُ بما عَندنا. يقولُ: فَكشَفْتُ عَنِّي غَمًّا شَدِيدًا.

فلما جاءَ النَبِيُّ ﷺ أخرجتُ له عَجِينًا، فبَصَقَ فِيهِ وباركَ، ثُمَّ عمدَ إلى بُرْمَتِنَا فبَصَقَ وباركَ، ثُمَّ قالَ: «ادْعُ خابِزَةً فلتخبِزْ مَعَكَ، واقدحي منْ برمَتِكُم - يعني: اغرفي - ولا تُنْزِلوها»، فجعلَ ﷺ يَكسِرُ الخَبْزَ، ويجعلُ عليه اللحمَ، ويخمرُ البرمةَ والتنورَ إذا أَخَذَ مِنْهُ، ويقربُ إلى أَصحابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ - يعني يأخذُ اللحمَ من البُرْمَةِ -، فلمْ يَزَلْ يَكسِرُ الخَبْزَ ويغرفُ حتى شَبِعُوا، وهم أَلْفٌ،

فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبِرُ كَمَا هُوَ.

هذه قصة من القصص الكثيرة التي فيها بيان ما جعل الله في الطعام أو الشراب من الكثرة ببركة النبي ﷺ.

ونحن لئن لم ندرك نبيّه ﷺ، ولم ندرك مثل هذه البركات الظاهرة؛ فكيف نكسب بركاته بعد وفاته؟

الجواب: يمكن للمسلم الصادق المحب لله ولرسوله ﷺ أن يظفر بركاته ﷺ، وذلك: باتباعه ﷺ، والجد والصدق في ذلك؛ سواء في أعمال القلوب - محبة الله، التوكل عليه، سلامة القلب خاصة يوم الاثنين والخميس -، أو أعمال الجوارح.

ومن أعظم البركات وأجل الثمرات التي يظفر بها من تابعه ﷺ: أن الله يُحِبُّهُ، وأعظم بهذا من غنيمه، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].



قصص في أسباب البركة

روى البخاري رحمه الله في صحيحه^(١) عَنْ أُمِّ أَمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «لَقَدْ تَوَفَّى النَّبِيُّ ﷺ وَمَا فِي رَفِيٍّ مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطَرَ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلَّتُهُ فَفَنِي».

قال ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث في «فتح الباري»^(٢): «وَوَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي مِزْوَدِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ

(١) صحيح البخاري (٣٠٩٧)، ومسلم (٢٩٧٣).

(٢) فتح الباري (١١/ ٢٨٠ - ٢٨١) باختصار.



البيهقي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ بتمرات، فقلت: يا رسول الله ادع لي فيهن بالبركة، قال: فقبض النبي ﷺ ثم دعا، ثم قال: «خذهن فاجعلن في مزود، فإذا أردت أن تأخذ منهن فأدخل يدك فخذ، ولا تنثر بهن نثرًا»، وفي رواية: «ولا تكفأ فيكفأ عليك»، قال أبو هريرة رضي الله عنه: فحملت من ذلك كذا وكذا وسقًا في سبيل الله!». .

الوسق الواحد ستون صاعًا، تصدق في سبيل الله بكذا وكذا وسقًا! يعني مجموع ما أخرجه وأنفقه في سبيل الله يعادل: كذا وسقًا.

يقول: «وكنّا نأكل ونطعم، وكان المزود معلقًا بحقوي»^(١) لا يفارق، فلما قُتل عثمان رضي الله عنه انقطع.

ونحوه ما حصل في عكة المرأة، فقد أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه أن أم مالك رضي الله عنها كانت تهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمنا، فيأتيها بنوها فيسألون الأدم فتعمد إلى العكة فتجد فيها سمنا، فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عَصَرَتْهَا - أي: العكة - فأتى النبي ﷺ فقال: «لو تركتها ما زال قائمًا».

ثم طرح ابن حجر رحمته الله سؤالاً: ما الجمع بين هذا وبين حديث: «كيّلوا طعامكم ببارك لكم» وهُنَا رُتِبَ رفع البركة بالكيل أو العصر؛ قال:

«وأجيب: بأن الكيل عند المبايعه مطلوب من أجل تعلّق حق المتبايعين، فلهذا القصد يُنَدَّب الكيل عند المبايعه، وأما الكيل عند الإنفاق فقد يبعث عليه الشُّح؛ فلذلك كُره»^(٢).

إذن الكيل يكون مطلوبًا عند المبايعه، وأما المذموم فهو عند الإنفاق.

ويؤيد هذا الجواب: ما أخرجه مسلم أيضًا^(٣) عن جابر أن رجلاً أتى

(١) الحقو: متصف البدن. «المؤلف».

(٢) فتح الباري (١١/٢٨١).

(٣) صحيح مسلم (٢٢٨١).

النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شطرَ وسقي شعير، فما زال الرجل يأكلُ منه وامرأته وضیوفهما حتى كاله فأتى النبي ﷺ، فقال ﷺ: «لو لم تكله لأكلتم منه ولقām لكم».

قال القرطبي رحمه الله: «سبب رفع النماء من ذلك عند العصر والكيل والله أعلم: الالتفات بعين الحرص مع معاناة إدراج نعم الله ومواهب كراماته وكثرة بركاته، والميل إلى الأسباب المعتادة عند مشاهدة خرق العادة»^(١)، انتهى كلام القرطبي ملخصاً.

قال ابن حجر رحمه الله: «ويستفاد منه: أن من رزق شيئاً أو أكرم بكرامة أو لطف به في أمر، فالمتعين عليه: موالاة الشكر، ورؤية المنّة لله تعالى، ولا يحدث في تلك الحالة تغييراً»^(٢).



نُبذة من سيرة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضيها

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما^(٣) عن عائشة رضيها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعُكن لحاقاً بي أطولُكن يداً»، قالت: فكن يتناولن أيتهن أطول يداً، فكانت أطولنا يداً زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق.

وفي رواية للحاكم في مستدركه^(٤) عن عائشة رضيها قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه: «أسرعُكن لحوقاً بي أطولُكن يداً»، قالت: فكن إذا اجتمعن في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمُدُ أيدينا بالجدار نتناول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن

(١) فتح الباري (٢٨١/١١) باختصار.

(٢) فتح الباري (٢٨١/١١).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢٠)، ومسلم (٢٤٥٢).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک (٦٧٧٦).



النبي ﷺ إنما أرادَ بطولِ اليدِ: الصدقةَ. وكانت زينبُ امرأةَ صنَّاعةٍ باليدِ، وكانت تدبِّعُ وتخزُّزُ وتصدقُ في سبيلِ الله ﷻ.

معَ أنَّ زينبَ رضيَ الله عنها قرشيةٌ، وهي أقربُ أزواجِ النبي ﷺ إليه نسباً، ومنَ أشرفِ بطونِ قريشٍ.

وفي روايةٍ للبخاري^(١): أنَّ أزواجَ النبي ﷺ أخذوا قصبةً يذرعونَهَا. أي: لينظُرْنَ أَيَّتَهُنَّ أطولُ يداً.

ومنَ مناقبِ زينبَ رضيَ الله عنها: أنها الوحيدةُ التي زوجَهَا اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ منَ فوقِ سبعِ سماواتٍ^(٢).

ومنَ مناقبِها: قولُ عائشةَ رضيَ الله عنها: «وهي التي كانت تُسَامِينِي فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ أَرِ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ، وَأَتَقَى اللهُ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِدَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ وَتَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ زَيْنَبَ»^(٣).

رضيَ الله عنها، وعن سائرِ أزواجِ نبيِّنا ﷺ، وعن أهلِ بيته، وعن أصحابِهِ، ومنَ تبعَهُم بِإِحْسَانٍ، وَعَنَّا مَعَهُم.



قِصَّةُ قَتْلِ كِسْرَى

ترتَبَ عَلَى صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ - الَّذِي تَمَّ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ -: أَنَّ أُمَّنَ النَّاسِ، وَمَشَى بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَكَاتَبَ النَّبِيُّ ﷺ مُلُوكَ الْأَرْضِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَرْسَلَ أَصْحَابَهُ ﷺ بِهَذِهِ الْكُتُبِ.

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٤٢).

وممنْ كَتَبَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: كِسْرَى مَلِكُ الْفُرْسِ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَمَرَهُ ﷺ أَنْ يُسَلِّمَهُ لَوَالِي الْبَحْرَيْنِ مِنْ قَبْلِ كِسْرَى، وَهُوَ الْمَنْذُرُ بْنُ سَاوَى - وَالْمَرَادُ بِالْبَحْرَيْنِ: هَجْرٌ وَالْأَحْسَاءُ وَمَا حَوْلَهَا -، فَأَوْصَلَ وَالِي الْبَحْرَيْنِ الْكِتَابَ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَرَّقَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنْ يُمَرِّقُوا كُلَّ مُمَرِّقٍ»، وَفِي رَوَايَةٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ مَرِّقْ مُلْكَهُ»^(١).

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ كِسْرَى كَتَبَ إِلَى وَالِيهِ عَلَى الْيَمَنِ - وَاسْمُهُ: بَاذَانُ، وَكَانَتِ الْيَمَنُ تَابِعَةً لِلْفُرْسِ -: بَلَّغْنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ قَرِيشٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَسِرْ إِلَيْهِ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلَّا ابْعَثْ رَأْسَهُ. وَفِي رَوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: ابْعَثْ مَنْ عِنْدَكَ رَجُلَيْنِ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بِالْحِجَازِ، فَكَتَبَ بَاذَانُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ الرَّجُلَانِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لَهُمَا: «أَبْلِغَا صَاحِبَكُمَا - يَعْنِي أَمِيرَ الْيَمَنِ بَاذَانُ - أَنَّ رَبِّي قَتَلَ رَبَّهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ»، فَلَمَّا بَلَغَ بَاذَانُ أَسْلَمَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْفُرْسِ^(٢).

أَمَّا قِصَّةُ قَتْلِ كِسْرَى - كَمَا ذَكَرَهَا ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الْفَتْحِ»^(٣) نَقْلًا عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي مَغَازِيهِ -: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَلَّطَ عَلَيْهِ ابْنَهُ شِيرَوِيَهَ، فَقَتَلَهُ، وَتَوَلَّى الْمَلِكَ بَعْدَهُ، وَكَانَ كِسْرَى - لَمَّا أَحَسَّ أَنَّ ابْنَهُ يَسْعَى لِقَتْلِهِ - احْتَالَ عَلَى قَتْلِ ابْنِهِ بَعْدَهُ، فَصَنَعَ سُمًّا، وَوَضَعَهُ فِي وَعَاءٍ، وَأَوْدَعَهُ فِي إِحْدَى خَزَائِنِهِ الْمَخْتَصِصَةِ بِهِ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ: لِلْجَمَاعِ، مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُ كَذَا جَامِعٌ كَذَا. فَقَرَأَهُ ابْنُهُ شِيرَوِيَهَ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ أَبَاهُ، وَاسْتَوَلَى عَلَى الْمَلِكِ، فَتَنَاوَلَ مِنْهُ، فَكَانَ فِيهِ هَلَاكُهُ، وَكَانَتْ مَدَّتُهُ بَعْدَ أَبِيهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَلَمَّا مَاتَ شِيرَوِيَهَ لَمْ يُخَلِّفْ أَحَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَتَلَ إِخْوَتَهُ حَرَصًا عَلَى الْمَلِكِ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يُخَلِّفْ ذُكُورًا، وَكَرِهَ الْفُرْسُ خُرُوجَ الْمَلِكِ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ، فَمَلَكُوا امْرَأَةً. وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/٢٦٠).

(٢) ينظر المرجع السابق.

(٣) ينظر: فتح الباري (٨/١٢٨).



لما بَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَ فَارِسٍ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى، قَالَ: «لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ»^(١).



قصة وفاة النبي ﷺ

روى البخاري في صحيحه^(٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ، مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ، فَهَذَا أَوْأَنُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ».

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي قِصَةِ الشَّاةِ الَّتِي سُمِّتَ لَهُ بِخَيْرٍ، فَقَالَ فِي آخِرِ ذَلِكَ: وَعَاشَ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ^(٣) ثَلَاثَ سِنِينَ، حَتَّى كَانَ وَجَعُهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: «مَا زِلْتُ أَجِدُ أَلَمَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُهَا بِخَيْرٍ عِدَادًا، حَتَّى كَانَ هَذَا أَوْأَنُ انْقِطَاعِ أَبْهَرِي»، وَتُوفِّيَ شَهِيدًا ﷺ»^(٤).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «الْأَبْهَرُ: عِرْقٌ مُسْتَبِطٌ بِالظَّهْرِ، مُتَّصِلٌ بِالْقَلْبِ، إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ»^(٥).

ثُمَّ قَالَ: «وَاخْتَلَفَ فِي مَدَّةِ مَرَضِهِ ﷺ، فَالْأَكْثَرُ عَلَى أَنَّهَا ثَلَاثَةُ عَشَرَ يَوْمًا»^(٦).

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السَّيْرَةِ: «بَدَأَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، فَأَصْبَحَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فَعَقَّدَ لِأَسَامَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»^(٧).

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٨) تعليقاً.

(٣) يعني: بعد هذه الأكلة. «المؤلف».

(٤) فتح الباري (١٣١/٨).

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق (١٢٩/٨).

(٧) المرجع السابق (١٥٢/٨).

ثُمَّ قَالَ: «وكانت آخر سرية جهزها النبي ﷺ، وأول شيء جهزه أبو بكرٍ رضي الله عنه» (١).

وكون ابتداء مرض النبي ﷺ يوم الأربعاء يوافق ما تقدّم؛ من أن مدة مرضه ثلاثة عشر يومًا، فمن الأربعاء إلى ثاني اثنين: ثلاثة عشر يومًا.

وعن أنس رضي الله عنه: أن أبا بكرٍ رضي الله عنه كان يصلي بهم في وجع النبي ﷺ الذي تُؤفّي فيه - يعني بسبب عجز النبي ﷺ عن الصلاة في المسجد -، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة فكشف النبي ﷺ ستر الحُجرة. وفي رواية: ستر حجرة عائشة رضي الله عنها ينظر إلينا وهو قائم، كأن وجهه ورقه مصحف، ثم تبسم يضحك، فهَمَمْنَا أَنْ نَفْتِنَ من الفرح برؤية النبي ﷺ، فنكص أبو بكرٍ رضي الله عنه على عقبيه ليصل الصف، وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صلاتكم، وأرخى الستر، فتؤفّي من يومه (٢).



مَنْ لَجَجِ المعاصي والأوزارِ إلى أعماق المحيطات والبحارِ

هذه قصة رجلٍ عاش أول حياته قاطع طريق، ثُمَّ مَنَّ الله عليه بالتوبة، وُحِّتَ لَهُ بِخاتمة حسنة - بإذن الله -، فما سبب توبته؟

هذا عليّ الأسدي، كان أول حياته قاطع طريق، ثُمَّ بعد أن تاب - وسيرد إن شاء الله سبب توبته - أراد أن يُكفّر عما مضى، فرأى أن الجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال، ثُمَّ رأى أن الجهاد في البحر من أفضلها؛ لأن العرب لم يكونوا معتادين على ركوب البحر، فكان شيئًا شاقًا عليهم، وقد كان عمرُ رضي الله عنه ينهى الناس عن ركوب البحر؛ خوفًا عليهم، ورفقًا بهم. وليست الرقة والرفق بالرعية شيئًا عجيبًا من عمر الشديدي في الحق رضي الله عنه،

(١) المرجع السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٠، ٧٥٤)، ومسلم (٤١٩).



فهذه لها شواهد كثيرة؛ منها: ما رواه ابن المبارك عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا حضر الشتاء تعاهدهم وكتب لهم بالوصية: «إنَّ الشتاء قد حضر، وهو عدو، فتأهبوا له أهبتة من الصوف والخفاف والجوارب، واتخذوا الصوف شعارًا ودثارًا؛ فإنَّ البرد عدو سريع دخوله، بعيد خروجه».

«الشعار» هو: اللباس الداخلي الذي يلي البدن. و«الدثار» هو: ما فوقه.

قال ابن رجب: «وإنما كان يكتب بذلك عمر رضي الله عنه إلى أهل الشام لما فتحت في زمنه، فكان يخشى على من بها من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم ممن لم يكن لهم عهد بالبرد أن يتأذوا ببرد الشام، وذلك من تمام نصيحته، وحسن نظره، وشفقته لرعيته رضي الله عنه»^(١)، انتهى.

والمقولة المشهورة عنه رضي الله عنه: «لو أنَّ بغلة في العراق عثرت لعلمت أنَّ الله سألني عنها لم لم أسو لها الطريق»^(٢).

سؤال: من أول أمراء الإسلام ركب البحر غازيًا؟

الجواب: أولهم معاوية رضي الله عنه.

قال ابن حجر رحمته الله: «وأول من ركب البحر لغزو: معاوية في خلافة عثمان رضي الله عنه، وذكر مالك أن عمر رضي الله عنه كان يمنع الناس من ركوب البحر، حتى كان عثمان رضي الله عنه، فمزال معاوية يستأذنه حتى أذن له، وكان ذلك سنة ثمان وعشرين»^(٣).

نعوذ إلى قصة علي الأسدي، وقد رواها ابن جرير رحمته الله في تفسيره،

(١) لطائف المعارف، ص (٧١٢).

(٢) روى ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٤٨٦) عن عمر رضي الله عنه: «لَوْ هَلَكَ حَمَلٌ مِنْ وَلَدِ الصَّانِ ضَيَاعًا بِسَاطِئِ الْفَرَاتِ خَشِيتُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهُ».

(٣) فتح الباري (٨٨/٦).

وساق سنده^(١)، ثم ذكر أن عليًا الأسديَّ حاربَ، وأخاف السبيلَ، وأصابَ الدَمَ والمالَ، فطلبتهُ الأئمةُ والعامَّةُ، فامتنَعَ ولم يُقدِرْ عليه؛ حتى جاء تائبًا، وذلك أنه سمعَ رجلًا يقرأ هذه الآيةَ: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] الآيةَ، فوقفَ عليه فقال: يا عبدَ الله، أعدْ قراءتها، فأعادها عليه، فعمدَ سيفه، ثم جاء تائبًا، حتى قَدِمَ المدينةَ من السَّحَرِ، فاغتسلَ، ثم أتى مسجدَ رسولِ الله ﷺ، فصلى الصبحَ، ثم قعدَ إلى أبي هريرة ؓ في حلقتِه في غمارِ أصحابِه، فلَمَّا أسفروا عَرَفَهُ الناسُ وقاموا إليه، فقال: لا سبيلَ لكم عليَّ، جئتُ تائبًا من قبلِ أنْ تقدروا عليَّ، فقال أبو هريرة ؓ: صدقَ، وأخذَ بيده حتى أتى مروانَ بنَ الحَكَمِ في إمْرته على المدينةَ في زَمَنِ معاويةَ - لَمَّا كَانَ مروانُ أميرًا -، فقال أبو هريرة: هذا عليٌّ جاء تائبًا، ولا سبيلَ لكم عليه ولا قتلَ، فترك من ذلك كُلَّهُ.

وخرَجَ عليٌّ تائبًا مجاهدًا في سبيلِ الله في البحرِ، فلقوا الرومَ ففرَّبوا سفينتهُ إلى سفينةٍ من سفنهم فاقتَحَمَ على الرومِ في سفينتهم، فهُزِمُوا منه إلى سفينتهم الأخرى، فمالتْ بهم وبِهِ فغرقوا جميعًا - رحمةُ الله عليه -.

انتَقَلَ من لُجَجِ المعاصي والأوزارِ إلى أعماقِ المحيطاتِ والبحارِ، تلكَ بدايتهُ وهذه نهايتهُ، عاشَ مفسدًا قاطعَ طريقٍ، وخاتمتهُ شهيدٌ غريقٌ، بإذنِ الله وفضلِهِ ورحمتهِ.

عَبَّرَ مِنْ وَفَاةِ ذِي النُّورَيْنِ: عثمان ؓ

قال ابنُ قدامةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مختصرِ مِنْهَاجِ القاصدينِ»^(٢):

❖ وفَاةُ عثمانِ بنِ عفانَ ؓ:

عن نائلةَ بنتِ الفرافصةِ - امرأةِ عثمان ؓ - قالت: لَمَّا كَانَ اليومُ الذي

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/٣٩٧).

(٢) ص (٣٩٧ - ٣٩٨).

فُقِتِلَ فِيهِ عَثْمَانُ ظَلَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَبْلَهُ صَائِمًا، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ إِفْطَارِهِ سَأَلَهُمُ الْمَاءَ الْعَذْبَ ^(١) فَلَمْ يَعْطُوهُ، فَنَامَ وَلَمْ يُفْطِرْ ^(٢)، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ السَّحْرِ أَتَيْتُ جَارَاتِ لِي عَلَى أَجَاجِيرَ مُتَصِلَةٍ ^(٣)، فَسَأَلْتُهُمُ الْمَاءَ الْعَذْبَ، فَأَعْطَوْنِي كُوزًا مِنْ مَاءٍ، فَأَتَيْتُهُ فَحَرَكْتُهُ - أَيَّ عَثْمَانَ ﷺ - فَاسْتَيْقِظَ، فَقُلْتُ: هَذَا مَاءٌ عَذْبٌ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَى الْفَجْرِ.

سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا الْقَلْبُ الْقَوِيُّ! الْمَحَاصِرُونَ يَحَاصِرُونَهُ، وَيُرِيدُونَ قَتْلَهُ، وَهُوَ قَدْ نَامَ نَوْمًا مُسْتَغْرِقًا وَهْنِيًّا! ﷺ هَذَا مِنْ ثَمَرَاتِ الْيَقِينِ وَالتَّسْلِيمِ وَالرَّضَا بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ.. وَمَا أَكْثَرَ أَنْ يَحْصَلَ لَأَحَدِنَا ارْتِبَاطٌ أَوْ شُغْلٌ أَوْ مَوْعِدٌ، فَأَحْيَانًا يَجْلِسُ لَيْلَتَيْنِ لَمْ يَأْتِهِ النُّومُ!

تَقُولُ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَى الْفَجْرِ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَطْلَعَ عَلَيَّ مِنْ هَذَا السَّقْفِ وَمَعَهُ مَاءٌ عَذْبٌ ^(٤)، فَقَالَ: «اشْرَبْ يَا عَثْمَانُ»، فَشَرِبْتُ حَتَّى رَوَيْتُ، ثُمَّ قَالَ: «ارْزُدْ»، فَشَرِبْتُ حَتَّى نَهَلْتُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْقَوْمَ سَيَنْكُرُونَ عَلَيْكَ، فَإِنْ قَاتَلْتَهُمْ ظَفَرْتُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ أَفْطَرْتُ عِنْدَنَا»، قَالَتْ: فَدَخَلُوا عَلَيْهِ مِنْ يَوْمِهِ فَقَتَلُوهُ.

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ ^(٥): أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَصْحَفُ مَنْشُورًا يَقْرَأُ مِنْهُ،

(١) يَعْنِي سَأَلَ أَهْلَ الْفِتْنَةِ الْمَحَاصِرِينَ لَهُ نَسَأُ اللَّهُ الْعَافِيَةَ. «المؤلف».

(٢) كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَصَلَّى وَثَرَهُ وَنَحَرَ ذَلِكَ. «المؤلف».

(٣) «الْأَجَاجِيرُ» هِيَ السُّطُوحُ، وَكَانَتْ عِنْدَنَا إِلَى وَقْتٍ لَيْسَ بَعِيدًا، كَانَ النِّسَاءُ يَتَوَاصَلْنَ مِنْ خِلَالِ السُّطُوحِ، يَتَحَدَّثْنَ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَبِلْتَقِي بَعْضُهُنَّ بِبَعْضٍ، وَكَانَتْ الْجِدْرَانُ قَصِيرَةً، تَقْفِرُ السَّطْحَ الْقَصِيرَ وَتَذْهَبُ إِلَى الْجِيرَانِ، وَكَانُوا يَتَحَاشَوْنَ التَّوَاصُلَ مِنْ خِلَالِ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْبَيْتِ، ثُمَّ تَذْهَبَ إِلَيْهِمْ وَتَطْرُقَ بَابَ الْبَيْتِ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلشَّوَابِ وَنَحْوِهِنَّ. «المؤلف».

(٤) يَعْنِي أَنَّهَا رُؤْيَا مَنَامٍ. «المؤلف».

(٥) يَنْظُرُ: الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ (٧٤/٣).

فوقعت قطرة على قول الله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

«وعن العلاء بن الفضيل عن أبيه قال: لما قُتل عثمان رضي الله عنه فتشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً، ففتحوه، فإذا فيه ورقة مكتوب فيها:

هذه وصية عثمان: بسم الله الرحمن الرحيم، عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الله يبعث من في القبور ﴿لَيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ لَا يُخْلِفُ أَلِيمُكَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، عليها نحيا، وعليها نموت، وعليها نبعث إن شاء الله تعالى»^(١).

اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْهُ وارضِهِ، وارْضَ عَنْ أَصْحَابِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَأَلْحِقْنَا بِهِمْ غَيْرَ مُضَيِّعِينَ، وَلَا مُبَدِّلِينَ وَلَا مَقْتُونِينَ، ونعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.





فهرس المراجع

- ١ - الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، عالم الكتب.
- ٢ - الأدب المفرد للبخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية.
- ٣ - الأذكار والآداب، عبد المحسن القاسم، من سلسلة متون طالب العلم، ط٢، ١٤٤٠هـ.
- ٤ - الأذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت: صلاح الدين الحمصي وآخرين، دار المنهاج، ط٤، ١٤٣٣هـ.
- ٥ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري = شرح القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، ط٧، ١٣٢٣هـ.
- ٦ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
- ٧ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: الألباني، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩٧هـ.
- ٨ - البداية والنهاية لابن كثير، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٩ - بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، ت: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ١٠ - بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن السعدي، ت: عبد الكريم بن رسمي ال دريني، مكتبة الرشد، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١١ - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، المباركفوري، دار الكتب العلمية.

- ١٢ - الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية.
- ١٣ - تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد بن سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- ١٤ - تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ.
- ١٥ - تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، ط الأولى.
- ١٦ - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ت: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٦هـ.
- ١٧ - تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٨ - تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ.
- ١٩ - تفسير آيات من القرآن الكريم، مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ت: محمد بلتاجي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٢٠ - تفسير سورة آل عمران، محمد ابن عثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ٢١ - تفسير سورة ص، محمد ابن عثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط السابعة، ١٤٣٧هـ.
- ٢٢ - التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، طار التوحيد، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٢٣ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر،



- ت: مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
- ٢٤ - تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن البسام، ت: محمد بن صبحي حلاق، مكتبة الصحابة، ط ١٠، ١٤٢٦هـ.
- ٢٥ - جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير، ت: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، ط الأولى، ١٣٨٩هـ.
- ٢٦ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي، ت: محمد الأحمد أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٤هـ.
- ٢٧ - جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية - المجموعة الثالثة، ت: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٢٨ - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٢٩ - فُتيا في صيغة الحمد، محمد بن أبي بكر، شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الله البطاطي، دار عالم الفوائد، ط ٤، ١٤٣٧هـ.
- ٣٠ - جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، محمد موسى الموسى، دار ابن خزيمة، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٣١ - الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين، عبد الرحمن السعدي، دار ابن القيم، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- ٣٢ - الحل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري، عبد الله بن مانع الروقي، دار التدمرية، ط الأولى، ١٤٢٨هـ.
- ٣٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبي نعيم الأصبهاني، مكتبة السعادة، ١٣٩٤هـ.
- ٣٤ - الدعاء للطبراني، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

- ٣٥ - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي الصديقي الشافعي، دار المعرفة، ط ٤، ١٤٢٥هـ.
- ٣٦ - الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الرشد، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٣٧ - رياض الصالحين للنووي، ت: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية وغيرها، ط ١٣، ١٤١٢هـ.
- ٣٨ - زاد المستقنع في اختصار المقنع، الحجاوي، ت: عبد الرحمن بن علي العسكر، دار الوطن.
- ٣٩ - زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط ٢٧، ١٤١٥هـ.
- ٤٠ - سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، دار الحديث.
- ٤١ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، مكتبة المعارف، ط الأولى، ١٤١٥ - ١٤٢٢هـ.
- ٤٢ - السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، ت: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ٤٣ - سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- ٤٤ - سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية.
- ٤٥ - سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥هـ.
- ٤٦ - السنن الكبرى للنسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٤٧ - سنن النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٦هـ.



- ٤٨ - سير أعلام النبلاء للذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ.
- ٤٩ - شأن الدعاء للخطابي، ت: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ط ٣، ١٤١٢هـ.
- ٥٠ - شرح السنة للبغوي، ت: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- ٥١ - الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد ابن عثيمين، دار ابن الجوزي، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٥٢ - شرح رياض الصالحين، محمد ابن عثيمين، مدار الوطن للنشر، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ٥٣ - الصحاح للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ.
- ٥٤ - صحيح ابن حبان = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٥٥ - صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٥٦ - صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٥٧ - صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- ٥٨ - صلاة المؤمن، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي، ط ٤، ١٤٣٤هـ.
- ٥٩ - صيد الخاطر، ابن الجوزي، دار القلم، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ٦٠ - العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي، ت: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد، ط ٢، ١٤٢٦هـ.



- ٦١ - العقد الفريد، ابن عبد ربه، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ٦٢ - عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٥هـ.
- ٦٣ - غاية النفع شرح حديث تمثل المؤمن بخامة الزرع، ابن رجب الحنبلي، ت: أبو عبد الرحمن إبراهيم بن محمد العرف، مكتبة السوادي، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٦٤ - الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٦٥ - فتاوى نور على الدرب لابن باز، جمعها: محمد بن سعد الشويعر.
- ٦٦ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، قام بإخراجه محب الدين الخطيب، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
- ٦٧ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٨٣هـ.
- ٦٨ - فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، محمد ابن عثيمين، مدار الوطن للنشر، ١٤٢٤هـ.
- ٦٩ - فقه السنة، سيد سابق، دار الكتب العربي، ط ٣، ١٣٩٧هـ.
- ٧٠ - فقه النوازل، محمد حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي.
- ٧١ - الفوائد المجنية من التعليقات البازية، جمع الشيخ سعيد بن علي القحطاني، مؤسسة الجريسي، ط الأولى، ١٤٣٩هـ.
- ٧٢ - القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦هـ.
- ٧٣ - القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن السعدي، دار الوطن.
- ٧٤ - القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ.
- ٧٥ - لسان العرب لابن منظور، دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ.



٧٦ - لطائف المعارف، لابن رجب، تحقيق عامر ياسين، دار ابن خزيمة، ط ١، ١٤٢٨هـ.

٧٧ - المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح، أبو محمد شرف الدين عبد المؤمن خلف الدمياطي، ت: ابن دهيش، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة.

٧٨ - مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان المعروف بابن أبي الدنيا، ت: زياد حمدان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

٧٩ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

٨٠ - مجموع فتاوى ابن باز، إشراف: محمد بن سعد الشويعر.

٨١ - المحجة في سير الدلجة، الحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار البشائر، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

٨٢ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن القيم، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم البعلي، ت: سيد إبراهيم، دار الحديث، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨٣ - مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق: محمد وهبي سليمان و علي عبد الحميد أبو الخير، دار الخير، ط ٣، ١٤١٨هـ.

٨٤ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ.

٨٥ - المراسيل لأبي داود، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨٦ - مسائل صلاة الليل، محمد بن فهد الفريخ، دار ابن الجوزي.

٨٧ - مستخرج أبي عوانة، ت: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، ط الأولى، ١٤١٩هـ.

- ٨٨ - المستدرك على الصحيحين للحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١١هـ.
- ٨٩ - مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٩٠ - المصنف لابن أبي شيبة، مكتبة الرشد، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٩١ - المعجم الكبير للطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية.
- ٩٢ - معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين البيهقي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، دارالوفاء، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ٩٣ - منظومة أصول الفقه وقواعده، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي.
- ٩٤ - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
- ٩٥ - موطأ مالك، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ.
- ٩٦ - النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، المكتبة العلمية، ت: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، ١٣٩٩هـ.
- ٩٧ - الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، ت: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ٩٨ - والله الأسماء الحسنى، عبد العزيز الجليل، القسطاوي للطباعة والتجليد، ط الأولى، ١٤٣٩هـ.





فهرس الموضوعات

٥	مقدمة
٨	القسم الأول: وقفات مع الآيات
٨	قصة أنبياء الله داود وسليمان عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (١)
١٠	قصة أنبياء الله داود وسليمان عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (٢)
١٢	قصة أنبياء الله داود وسليمان عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (٣)
١٥	قصة أنبياء الله داود وسليمان عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (٤)
١٦	قصة نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (٥)
١٩	قصة نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (٦)
٢٣	قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم
٢٦	تأملات في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام
٢٧	تأملات في قصة مريم عليها الصلاة والسلام
٣١	﴿هُوَ خَيْرُ نَوَابِك﴾
٣٤	الاعتصام بالله
٣٥	﴿مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّر﴾
٣٦	آيتان من سورة الزمر
٣٧	تفسير آية
٣٧	ما الشجرة الملعونة في القرآن؟
٣٨	هل يستويان؟
٣٩	هل تدبرتها؟
٤٠	هينئنا له يُحرَسُ
٤٢	فائدة قيمة من مواقف يعقوب عليه السلام
٤٢	مما يعين العبد على حسن ظنه بالله
٤٢	مبشرات

- ٤٤ فائدة من خواتيم سورة الحديد
- ٤٦ فائدة من «أضواء البيان»
- ٤٨ القسم الثاني: رَقَائِقُ
- ٤٨ تمجيدُ الربِّ تعالى (١)
- ٤٩ تمجيدُ الربِّ تعالى (٢)
- ٥٠ تمجيدُ الربِّ تعالى (٣)
- ٥١ من أخبار النمل والنحل
- ٥١ من نعيم الجنة
- ٥٢ الشمسُ تسجدُ لله
- ٥٣ تدبرُ آياتِ الله الكونية
- ٥٥ متى يورثُ العلمُ الخشية
- ٥٨ من مناقب الشيخ ابن باز رحمته الله
- ٥٩ قصيدة مؤثرة
- ٦٠ من أسماء الله الحُسنى: «المحيطُ»
- ٦١ إقرأها ثم أعد قراءتها
- ٦٢ دعوة للتأمل: اسمُ الله «الرحمن»
- ٦٢ من فوائد تدبرِ أسماءِ الله الحُسنى
- ٦٤ من أسماءِ الله الحُسنى: «المقدم والمؤخرُ»
- ٦٧ سلامة القلب
- ٦٨ من لطفِ الله بعباده
- ٦٨ من أَلطافِ الله
- ٦٩ سبحانَ من يسوقُ ما يشاءُ إلى من يشاءُ
- ٧٠ * هذه القصةُ فيها من الفوائد
- ٧٢ القسم الثالث: مواسمُ الطاعات
- ٧٢ فضلُ الله على عباده بتوالي مواسمِ الخيرات
- ٧٣ صيامُ المُحرَّم (١)
- ٧٤ * المجلسُ الأول: في فضلِ شهرِ الله المحرم
- ٧٤ صيامُ المُحرَّم (٢)
- ٧٥ صيامُ المُحرَّم (٣)



٧٦	فَضْلُ الصَّوْمِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ
٧٨	مَنْ قَصَصَ الصَّائِمِينَ
٧٩	حَبْذا عِبَادَةٌ وَأَنَا نَائِمَةٌ
٨٠	هَلْ اغْتَنِمْتَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ؟ (اليَوْمُ الثَّامِنُ مِنَ الْمَحْرَمِ)
٨٢	اسْتِقْبَالُ السَّلَفِ لَشُعْبَانَ
٨٣	فَضْلُ صَوْمِ شُعْبَانَ
٨٤	سَبَبُ اخْتِصَاصِ شُعْبَانَ بِاسْتِحْبَابِ الصِّيَامِ
٨٥	* وَفِي إِحْيَاءِ الْوَقْتِ الْمَغْفُولِ عَنْهُ بِالطَّاعَةِ فَوَائِدُ
٨٥	الدَّعَاءُ بِلُغَةِ رَمَضَانَ
٨٦	حَدَّثْتُ كَوْنِي فِي رَمَضَانَ
٨٨	احْذَرُوا السَّارِقَ فِي رَمَضَانَ
٨٩	رَمَضَانُ شَهْرُ الْمَوَاسَاةِ
٩٠	فَضْلُ الْجُودِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ
٩١	لِرَمَضَانَ خُصُوصِيَّةٌ بِالْقُرْآنِ
٩٣	جِهَادَانِ
٩٤	اخْتِمَ رَمَضَانَ بِخَيْرٍ
٩٧	الْحَنِينُ لِمَوَاسِمِ الطَّاعَةِ
٩٨	فَضْلُ الْمَبَادِرَةِ بِالسُّتِّ
٩٨	دَعْوَةٌ لِإِعْفَاءِ اللَّحِيَةِ بِمُنَاسِبَةِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ
٩٩	تَنْبِيهَاتٌ لِلْحِجَاجِ
١٠٣	رِسَالَةٌ إِلَى الْإِشْرَافِ الثَّقَافِيِّ فِي الْحَمَلَاتِ
١٠٥	يَوْمُ النَّحْرِ
١٠٨	الْقِسْمُ الرَّابِعُ: الصَّلَاةُ
١٠٨	مَنْزِلَةُ الصَّلَاةِ فِي الْإِسْلَامِ
١١٠	مَنْ جُودَ رَبَّنَا وَكَرَمِهِ
١١٢	مَا الَّذِي أَفْرَعَ الصَّحَابَةَ ﷺ؟
١١٧	فَضْلُ الْعِبَادَةِ فِي وَقْتِ الْفَتَنِ
١١٧	نَعَمَ الرَّجُلُ لَوْ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ
١١٩	فَضْلُ قِيَامِ اللَّيْلِ (١)

- ١٢١ فضلُ قِيَامِ اللَّيْلِ (٢)
- ١٢٢ فضلُ قِيَامِ اللَّيْلِ (٣)
- ١٢٣ فضلُ قِيَامِ اللَّيْلِ (٤)
- ١٢٥ رسالةُ أَنْصَحُ بِقِرَاءَتِهَا
- ١٢٧ نَصِيحَةُ مُجِبِّ
- ١٢٨ أوْصَلُوهَا إِلَى الْأُتْمَةِ
- ١٣٢ مِنْ آدَابِ قِيَامِ اللَّيْلِ
- ١٣٣ مِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ
- ١٣٤ جَمْعُ الْقَلْبِ فِي الصَّلَاةِ
- ١٣٥ وَالِدَةُ صَاحِبِي
- ١٣٧ الْقِسْمُ الْخَامِسُ: الصَّدَقَةُ
- ١٣٧ «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالْصَّدَقَةِ»
- ١٣٧ «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ»
- ١٣٨ إِطْعَامُ الطَّعَامِ
- ١٣٨ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ فِي تَمْرَةٍ
- ١٤٠ فَضْلُ الْوَقْفِ
- ١٤٢ * وَلِلْمَسَاهِمَةِ فِي هَذِهِ الْأَوْقَافِ مِيزَاتٌ؛ مِنْهَا
- ١٤٦ الْقِسْمُ السَّادِسُ: أَذْكَارٌ وَأَدْعِيَةٌ
- ١٤٦ مِنْ فَوَائِدِ الدَّعَاءِ بِمَا وَرَدَ
- ١٤٨ أَدْعِيَةٌ مَأْثُورَةٌ (١)
- ١٤٩ أَدْعِيَةٌ مَأْثُورَةٌ (٢)
- ١٥٠ أَدْعِيَةٌ مَأْثُورَةٌ (٣)
- ١٥٢ «اُحْتِزَّ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ»
- ١٥٢ مِنْ فَضَائِلِ التَّسْبِيحِ
- ١٥٢ اكْسَبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ
- ١٥٣ حِرْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
- ١٥٤ فَضْلُ الشُّكْرِ
- ١٥٥ مُعَقَّبَاتُ: حَافِظَانِ وَكَاتِبَانِ
- ١٥٦ مِنْ بَرَكَاتِ كِتَابِ اللَّهِ



١٥٧	تلاوة القرآن الكريم .. فضائل وآداب ..
١٥٧	* من آداب التلاوة ..
١٥٨	من فوائد إخفاء الدعاء ..
١٥٩	تعويذ الصبيان ..
١٦٠	من فضائل الصلاة على النبي ﷺ ..
١٦١	فضل سؤال الله العفو والعافية ..
١٦٣	من أدعية الاستفتاح ..
١٦٣	ساعة الإجابة في يوم الجمعة ..
١٦٦	الاستنصار بالدعاء ..
١٦٨	«أفضل ما نعوذ به المتعوذون» ..
١٦٩	* ومن فضائل المعوذات ..
١٧٣	من جوامع الدعاء ..
١٧٤	فضل الذكر ..
١٧٧	من أسباب انشراح الصدر ..
١٨٠	متى يكون الدعاء أفضل من الذكر؟ ..
١٨٢	دعاء كان الشيخ ابن باز رحمه الله يعظم من شأنه ..
١٨٣	صيغ الحمد بعد الفراغ من الطعام ..
١٨٥	حديث: «اللهم اقسِم لنا من خشيتك» ..
١٨٦	أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه ..
١٨٧	ما الذي استغربه الصحابة رضي الله عنهم؟ ..
١٨٩	دعوات تجمع لك دنياءك وأخرأك ..
١٨٩	«اللهم إني أسألك عيشة نقية» ..
١٩١	القسم السابع: الزهد والورع ..
١٩١	قلب الكبير شاب في اثنتين ..
١٩١	هل تدبرت هذا الحديث؟ ..
١٩١	أحاديث في كراهة كثرة الضحك ..
١٩٣	الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر ..
١٩٤	صور سامية من الإيثار ..
١٩٦	صور من زهد النبي ﷺ ..

- ١٩٨ زُهِدْ فَاطِمَةُ ﷺ
- ٢٠١ «كَانَ بَيْنَهُمَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْإِرْفَاءِ»
- ٢٠٢ ﴿أَلْهَكُمُ الْكَاذُ﴾
- ٢٠٤ الْقِسْمُ الثَّامِنُ: فَوَائِدُ تَرْبِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ
- ٢٠٤ حَقُّ الرَّحِمِ
- ٢٠٥ سُنَّةُ نَبِيِّهِ
- ٢٠٦ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الْأَطْفَالِ
- ٢٠٦ صِلَاةُ الدُّرَّةِ
- ٢٠٨ فَضْلُ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ
- ٢٠٩ احْذَرُ! فَقَدْ تُحِبُّ عَنْكَ الْمَغْفِرَةُ
- ٢١١ مَنْ هُوَ الْعَالَمُ الرَّبَّانِيُّ؟
- ٢١١ نَصِيحَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْعَثِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَطَالِبِ الْعِلْمِ
- ٢١٣ فَائِدَةُ تَرْبِيَّةٍ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْعَثِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ
- ٢١٤ فَضْلُ الرَّفْقِ
- ٢١٤ * هَذِهِ أَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الرَّفْقِ
- ٢١٦ الْقِسْمُ التَّاسِعُ: مَسَائِلُ وَفَوَائِدُ
- ٢١٦ تَسْوِيَةُ الصَّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ (١)
- ٢١٩ تَسْوِيَةُ الصَّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ (٢)
- ٢٢١ الْغِيْبَةُ فِي الْقَلْبِ
- ٢٢٢ مَا حَكَمُ قَوْلِ «جَمْعَةٌ مُبَارَكَةٌ»؟
- ٢٢٣ فَائِدَةٌ مِنْ «اِقْتِضَاءِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ»
- ٢٢٤ تَخَيُّمٌ أَوْ تَتَدَبَّرُ
- ٢٢٦ أَنْوَاعُ الشَّهَدَاءِ
- ٢٢٩ مِنْ أَحْكَامِ الْحَيَّاتِ
- ٢٣١ فَائِدَةٌ مِنْ كِتَابِ «الْمَمْتَعِ»
- ٢٣٢ اقْتِدِ بِنَبِيِّكَ ﷺ فِي مَظْهَرِهِ وَمَخْبَرِهِ
- ٢٣٤ مَاذَا قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعَثِيمُ رَحِمَهُ اللَّهُ؟
- ٢٣٥ إِقْرَأْ وَتَأَمَّلْ
- ٢٣٨ مِنْ حَقُوقِ النَّبِيِّ ﷺ



٢٤٠	«الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»
٢٤٣	«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»
٢٤٣	التحذيرُ من مشاهدة عيدِ النصرى «رأس السنَّة»
٢٤٥	لُعْنَتُنَا الْعَرَبِيَّةُ
٢٤٨	١، ٢، ٣... أرقامُ عربيةٌ أو هندية؟
٢٥٠	«موتُ المؤمنِ بَعْرَقِ الجبينِ»
٢٥١	«لقنوا موتاكم»
٢٥٢	«هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ؟»
٢٥٤	مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَسْتَعْدِمُ جِنًّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
٢٥٥	فائدة: أَيُّ النوازلِ يُفْنَتُ لها؟
٢٥٦	«ما بينَ بيتي ومنبري روضةٌ من رياضِ الجنة»
٢٥٧	فوائدُ من الشيخ محمدٍ العثيمين رَحِمَهُ اللهُ
٢٥٨	* فائدةٌ أخرى: قَالَ رَحِمَهُ اللهُ
٢٥٨	* فائدةٌ أخرى: قَالَ رَحِمَهُ اللهُ
٢٥٩	حكمُ مَسِّ المصحفِ للصبيانِ
٢٥٩	متى يكونُ النَوْمُ ناقِضًا للوضوء؟
٢٦٠	هلْ تَمْسُحُ الْمَرْأَةُ عَلَى طَبَقَةِ الْحَنَاءِ عِنْدَ الْوُضُوءِ؟
٢٦٠	منْ أَحْكَامِ الْوَسَاوِسِ وَالشُّكُوكِ
٢٦٢	«مَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ»
٢٦٣	من العباداتِ القلبية: الْخَوْفُ
٢٦٦	سَوْقُ الْهَدْيِ
٢٦٧	السَّمَرُ بَعْدَ الْعِشَاءِ
٢٦٩	قِصَّةُ صَاحِبِ السَّوَالِكِ
٢٧١	أَيْنَ يَنْصَبُ الشَّيْطَانُ رَايَتَهُ؟
٢٧٣	«فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ»
٢٧٣	حُبُّ الرِّشَادِ
٢٧٣	جِهَادُ الْمَرْأَةِ
٢٧٥	قَرَارُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا
٢٨٠	منْ أَسْبَابِ تَقْوَى الصَّحَابَةِ رَحِمَهُمُ اللهُ

٢٨٢	 غَضْبَةٌ مِنْ جَبْرِيلَ ﷺ
٢٨٤	 أَسْمِعُوهَا الْمَرْضَى .. بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ
٢٨٧	 مُلَحَّةٌ
٢٨٧	 سِرُّ الشَّجَاعَةِ وَالثَّبَاتِ
٢٨٧	 مَقُولَتَانِ
٢٨٨	 مِنْ أَسْبَابِ النَّشَاطِ عَلَى الطَّاعَاتِ
٢٨٩	 الْقِسْمُ الْعَاشِرُ: أَسْئَلَةٌ وَأَجُوبَةٌ
٢٨٩	 أَسْئَلَةٌ وَأَجُوبَةٌ (١)
٢٩١	 أَسْئَلَةٌ وَأَجُوبَةٌ (٢)
٢٩٢	 أَسْئَلَةٌ وَأَجُوبَةٌ (٣)
٢٩٤	 أَسْئَلَةٌ وَأَجُوبَةٌ (٤)
٢٩٥	 أَسْئَلَةٌ وَأَجُوبَةٌ (٥)
٢٩٥	 أَسْئَلَةٌ وَأَجُوبَةٌ (٦)
٢٩٦	 أَسْئَلَةٌ وَأَجُوبَةٌ (٧)
٢٩٩	 أَسْئَلَةٌ وَأَجُوبَةٌ (٨)
٣٠٠	 الْقِسْمُ الْحَادِي عَشَرَ: قَصَصٌ وَعِبَرٌ
٣٠٠	 قِصَّةُ طَعَامِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ
٣٠٢	 قِصَصٌ فِي أَسْبَابِ الْبَرَكَةِ
٣٠٤	 بُبْدَةٌ مِنْ سِيرَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
٣٠٥	 قِصَّةُ قَتْلِ كِسْرَى
٣٠٧	 قِصَّةُ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ
٣٠٨	 مِنْ لُجَجِ الْمَعَاصِي وَالْأَوْزَارِ إِلَى أَعْمَاقِ الْمَحِيطَاتِ وَالْبَحَارِ
٣١٠	 عِبَرٌ مِنْ وَفَاةِ ذِي التُّورَيْنِ: عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٣١٠	 * وَفَاةُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٣١٣	 فَهْرَسُ الْمَرَاجِعِ
٣٢١	 فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ